

(١٠٤٣)

النظر والبصر

في القران

(تفسير موضوعي)

من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"(ثم ارجع البصر كرتين)

أي: ارجع البصر، وكرر النظر أبدا، وقد أمرناك بذاك كرتين إيجابا للحجة عليك.

(خاسئا)

صاغرا ذليلا.

(وهو حسير)

معيى كليل، قال:

١٢٨٥ - تطاولت كيما أبصر الروح خاسئا ... فعاد إلي الطرف وهو حسير

١٢٨٦ - وددت من الشوق المبرح أنني ... أعار جناحي طائر فأطير.

(شهيقا)

زفرة من زفرات جهنم.." (١)

"والكل أيضا الذي لا ولد له ولا والد. والكل العيال، والجمع الكلول، يقال منه: كل السكين كلا أي غلظت شفرته فلم يقطع. (أينما يوجهه لا يأت بخير) قرأ الجمهور" يوجهه" وهو خط المصحف، أي أينما يرسله صاحبه لا يأت بخير، لأنه لا يعرف ولا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه. وقرا يحيى بن وثاب" أينما يوجهه" على الفعل المجهول. (وروي «١» عن ابن مسعود) أيضا" توجه" على الخطاب. (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل. وهو. على صراط مستقيم) أي هل يستوي هذا الأبكم ومن يأمر بالعدل وهو على الصراط المستقيم.

[سورة النحل (١٦): آية ٧٧]

ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير (٧٧)

قوله تعالى: (ولله غيب السماوات والأرض) تقدم معناه «٢» وهذا متصل بقوله:" إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون" أي شرع التحليل والتحريم إنما يحسن ممن يحيط بالعواقب والمصالح وأنتم أيها المشركون لا تحيطون بها فلم تتحكمون. (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) وتجازون فيها بأعمالكم. والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة. واللمح النظر

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٣/١٥٢١

بسرعة، يقال لمحه لمحا ولمحانا. ووجه التأويل أن الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر. وقال الزجاج: لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها، أي يقول للشيء كن فيكون. وقيل: إنما مثل **بلمح البصر لأنه** يلمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الأرض. وقيل: هو تمثيل للقرب، كما يقول القائل: ما السنة إلا لحظة، وشبهه. وقيل: المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين، دليله قوله:" إنهم يرونه بعيدا. ونراه قريبا «٣» ". (أو هو أقرب) ليس" أو" للشك بل للتمثيل بأيهما أراد الممثل. وقيل: دخلت لشك المخاطب. وقيل:" أو" بمنزلة بل. (إن الله على كل شيء قدير) تقدم «٤».

---

(١). من ى.

(٢). راجع ج ٩ ص ١٧٧.

(٣). راجع ج ١٨ ص ٢٨٣.

(٤). راجع ج ١ ص ٢٢٤.." [١]

"وهي الفناتق، أي الفنادق، والزبون يدخل الدكان للابتياع، والحاقن يدخل الخلاء للحاجة، وكل يؤتى على وجهه من بابه. وأما قول ابن زيد والشعبي فقول «١»! وذلك أن بيوت القيساريات محظورة بأموال الناس، غير مباحة لكل من أراد دخولها بإجماع، ولا يدخلها إلا من أذن له ربها، بل أربابها موكلون بدفع الناس.

[سورة النور (٢٤): آية ٣٠]

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠)

فيه سبع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ٣٠ وصل تعالى بذكر الستر ما يتعلق به من أمر النظر، يقال: غض بصره يغضه غضا، قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال عنترة.

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥٠/١٠

ولم يذكر الله تعالى ما **يغض البصر عنه** ويحفظ الفرج، غير أن ذلك معلوم بالعادة، وأن المراد منه المحرم دون المحلل. وفي البخاري:" وقال سعيد بن أبي الحسن للحسن إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن؟ قال: اصرف بصرك، يقول الله تعالى:" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ٣٠" وقال قتادة: عما لا يحل لهم،" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن" [النور: ٣١] خائنة الأعين [من «٢»] **النظر إلى** ما نهي عنه. الثانية- قوله تعالى: (من أبصارهم) ٣٠" من" زائدة، كقوله:" فما منكم من أحد عنه حاجزين «٣» " [الحاقة: ٤٧]. وقيل:" من" للتبعيض، لأن **من النظر ما** يباح. وقيل: الغض النقصان، يقال: غض فلان من فلان أي وضع منه، فالبصر إذا لم يمكن من عمله فهو موضوع منه ومنقوص. ف"- من" [من «٤»] صلة الغض، وليست للتبعيض ولا للزيادة.

---

(١). في ط: فتقول.

(٢). زيادة عن صحيح البخاري.

(٣). راجع ج ١٨ ص ٢٧٦.

(٤). من ب وك.." (١)

"البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والجلوس على الطرقات) فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال: (فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه) قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: (**غض البصر وكف** الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). رواه أبو سعيد الخدري، خرجه البخاري ومسلم. وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية). وروى الأوزاعي قال: حدثني هارون بن رئاب أن غزوان وأبا موسى الأشعري كانا في بعض مغازيهم، فكشفت جارية فنظر إليها غزوان، فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت «١»، فقال: إنك للحاظة إلى ما يضرك ولا ينفعك، فلقي أبا موسى فسأله فقال: ظلمت عينك، فاستغفر الله وتب، فإن لها أول نظرة وعليها ما كان بعد ذلك. قال الأوزاعي: وكان غزوان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات رضي الله عنه. وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة، فأمرني أن أصرف

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٢٢/١٢

بصري. وهذا يقوي قول من يقول: إن" من" للتبعيض، لأن النظرة الأولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف، إذ وقوعها لا يتأتى أن يكون مقصودا، فلا تكون مكتسبة فلا يكون مكلفا بها، فوجب التبعيض لذلك، ولم يقل ذلك في الفرج، لأنها تملك. ولقد كره الشعبي أن يديم **الرجل النظر إلى** ابنته أو أمه أو أخته، وزمانه خير من زماننا هذا! وحرام على الرجل أن ينظر إلى ذات محرمة «٢» نظر شهوة يرددها. الرابعة قوله تعالى: (ويحفظوا فروجهم) ٣٠ أي يستروها عن أن يراها من لا يحل. وقيل:" ويحفظوا فروجهم ٣٠" أي عن الزنى، وعلى هذا القول لو قال «٣»:" من فروجهم" لجاز. والصحيح أن الجميع مراد واللفظ عام. وروى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: (احفظ

---

(١). نفرت العين وغيرها من الأعضاء تنفر نفورا: هاجت وورمت.

(٢). في ك: محرم.

(٣). أي في غير القرآن.." (١)

"جزم جوابا. وبدأ بالغض قبل الفرج **لأن البصر رائد** للقلب، كما أن الحمى رائد الموت. وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

ألم تر أن العين للقلب رائد ... فما تألف العينان فالقلب آلف

وفي الخبر (النظر سهم من سهام إبليس مسموم فمن غض بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه). وقال مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر، فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر. وعن خالد بن أبي عمران قال: لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل «١» منها قلبه كما ينغل الأديم فلا ينتفع به. فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عما لا يحل، فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ولا المرأة إلى الرجل، فإن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده منها. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان **وزناهما النظر ..**) الحديث. وقال الزهري **في النظر إلى** التي لم تحض من النساء: لا **يصلح النظر إلى** شي منهن ممن **يشتهى النظر إليهن** وإن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٢٣/١٢

كانت صغيرة. وكره **عطاء النظر إلى** الجواري اللاتي يبعن بمكة إلا أن يريد أن يشتري. وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سألته، وطفق الفضل ينظر إليها «٢». وقال عليه السلام: (الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق). والمذاء هو أن يجمع الرجل بين النساء والرجال ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضا، مأخوذ من المذي. وقيل: هو إرسال الرجال إلى النساء، من قولهم: مذيت الفرس إذا أرسلتها ترعى. وكل ذكر يمذي، وكل أنثى تقذي، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له، أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد، فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها.

---

(١). النغل (بالتحريك): الفساد. ونغل الأديم إذا عفن وتهرى في الدباغ فينفسد ويهلك.

(٢). في البخاري:" عن ابن عباس قال: كان الفضل رديف النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الأخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال نعم".." (١)

"[سورة القمر (٥٤): الآيات ٥٠ الى ٥٥]

وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٥٠) ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر (٥١) وكل شيء فعلوه في الزبر (٥٢) وكل صغير وكبير مستطر (٥٣) إن المتقين في جنات ونهر (٥٤)

في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥)

قوله تعالى: (وما أمرنا إلا واحدة) أي إلا مرة واحدة. (كلمح بالبصر) أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. **واللمح النظر بالعجلة**، يقال: لمح البرق ببصره. وفي الصحاح: لمحه وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم اللمحة، ولمح البرق والنجم لمحا أي لمع. قوله تعالى: (لقد أهلكنا أشياعكم) أي أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية. وقيل: أتباعكم وأعوانكم. (فهل من مدكر) أي من يتذكر. أي جميع ما فعلته الأمم قبلهم من خير أو شر كان مكتوبا عليهم، وهذا بيان قوله: (إنا كل شيء خلقناه بقدر). (في الزبر) أي في اللوح المحفوظ. وقيل: في كتب الحفظة. وقيل: في أم الكتاب. (وكل صغير وكبير مستطر) أي كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله «١» ليجازى به، ومكتوب إذا فعله، سطر يسطر سطرا كتب، واستطر مثله. قوله تعالى: (إن المتقين في جنات ونهر) لما وصف الكفار وصف المؤمنين أيضا. (ونهر) يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن، قاله ابن جريج. ووحد لأنه رأس الآية، ثم الواحد قد

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٢٧

ينبئ عن الجميع. وقيل: في (نهر) في ضياء وسعة، ومنه النهار لضيائه، ومنه أنهرت الجرح، قال الشاعر «٢»:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

---

(١). في ب، ح، س، هـ: (قبل أن يفعلوه ليجازوا ومكتوب إذا فعلوه).

(٢). هو قيس بن الخطيم يصف طعنة. وملكت أي شددت وقويت. [.....]." (١)

"الخاسئ الذي لم ير ما يهوى. (وهو حسير) أي قد بلغ الغاية في الإعياء. فهو بمعنى فاعل، من الحسور الذي هو الإعياء. ويجوز أن يكون مفعولا من حسره بعد الشيء، وهو معنى قول ابن عباس. ومنه قول الشاعر:

من مد طرفا إلى ما فوق غايته ... ارتد خسآن منه الطرف قد حسرا

يقال: قد حسر بصره يحسر حسورا، أي كل وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك، فهو حسير ومحسور أيضا. قال:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... فعاد إلي الطرف وهو حسير

وقال آخر يصف ناقة:

فشطرها نظر العينين محسور «١»

نصب" شطرها" على الظرف، أي نحوها. وقال آخر:

والخيل شعث ما تزال جيادها ... حسرى تغادر بالطريق سخالها

وقيل: إنه النادم. ومنه قول الشاعر:

ما أنا اليوم على شي خلا ... يا بنة القين تولى بحسر

المراد ب كرتين ها هنا التكثير. والدليل على ذلك: ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير وذلك دليل على كثرة النظر.

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٥ الى ٦]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٩/١٧

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (٥) وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير (٦)

قوله تعالى: (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) جمع مصباح وهو السراج. وتسمى الكواكب مصابيح لإضاءتها. (وجعلناها رجوما) أي جعلنا شهبها، فحذف المضاف.

---

(١). هذا عجز بيت لقيس بن خويلد الهذلي. وصدره:

إن العسير بها داه مخامرها

والعسير: الناقة التي لم ترض (لم تذلل).." (١)

"منافعه ومضاره، وكل مستدير كفة، وكل مستطيل كفة. ورجل مكفوف البصر، أي منع عن النظر، فالجماعة تسمى كافة لامتناعهم عن التفرق. ولا تتبعوا نهي. خطوات الشيطان مفعول، وقد تقدم «١». وقال مقاتل: استأذن عبد الله بن سلام وأصحابه بأن يقرءوا التوراة في الصلاة، وأن يعملوا ببعض ما في التوراة، فنزلت" ولا تتبعوا خطوات الشيطان" فإن اتباع السنة أولى بعد ما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من خطوات الشيطان. وقيل: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان، إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة، وقد تقدم «٢».

[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٩]

فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم (٢٠٩)

فإن زللتم أي تنحيتم عن طريق الاستقامة. وأصل الزلل في القدم، ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك، يقال: زل يزل زلا وزللا وزلولا، أي دحضت قدمه. وقرأ أبو السمال العدوي" زللتم" بكسر اللام، وهما لغتان. وأصل الحرف، من الزلق، والمعنى ضللتم وعجتم عن الحق. من بعد ما جاءتكم البينات أي المعجزات وآيات القرآن، إن كان الخطاب للمؤمنين، فإن كان الخطاب لأهل الكتابين فالبينات ما ورد في شرعهم من الإعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به. وفي الآية دليل على أن عقوبة العالم بالذنب أعظم من عقوبة الجاهل به، ومن لم تبلغه دعوة الإسلام لا يكون كافرا بترك الشرائع. وحكى النقاش أن كعب الأحبار

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٠/١٨

لما أسلم كان يتعلم القرآن، فأقرأه الذي كان يعلمه" فاعلموا أن الله غفور رحيم" فقال كعب: إني لأستنكر أن يكون هكذا، ومر بهما رجل فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل:" فاعلموا أن الله عزيز حكيم" فقال كعب: هكذا ينبغي. وعزيز لا يمتنع عليه ما يريده. حكيم فيما يفعله.

---

(١). راجع المسألة الثالثة ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢). تراجع المسألة الرابعة ج ٢ ص ٢٠٩." (١)

"قوله تعالى: (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) أي ما نفهم، لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله. وقيل: قالوا ذلك إعراضا عن سماعه، واحتقارا لكلامه، يقال: فقه يفقه إذا فهم فقها، وحكى الكسائي: فقه فقها وفقها إذا صار فقيها «١». (وإنا لنراك فينا ضعيفا) قيل: إنه كان مصابا ببصره «٢»، قاله سعيد ابن جبير وقتادة. وقيل: كان ضعيف البصر، قاله الثوري، وحكى عنه النحاس مثل قول سعيد بن جبير وقتادة. قال النحاس: وحكى أهل اللغة أن حمير تقول للأعمى ضعيفا، أي قد ضعف بذهاب بصره، كما يقال، له ضرير، أي قد ضر بذهاب بصره، كما يقال له: مكفوف، أي قد كف **عن النظر بذهاب** بصره. قال الحسن: معناه مهين. وقيل: المعنى ضعيف البدن، حكاه علي بن عيسى. وقال السدي: وحيدا ليس لك جند وأعوان تقدر بها على مخالفتنا. وقيل: قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها و" ضعيفا" نصب على الحال. (ولولا رهطك) رفع بالابتداء، ورهط الرجل عشيرته الذي يستند إليهم ويتقوى بهم، ومنه الراهطاء لجحر اليربوع، لأنه يتوثق به ويخبأ فيه ولده. ومعنى" (لرجمناك) " لقتلناك بالرجم، وكانوا إذا قتلوا إنسانا رجموه بالحجارة، وكان رهطه من أهل ملتهم. وقيل: معنى" لرجمناك" لشتمناك، ومنه قول الجعدي:

تراجمنا بمر القول حتى ... نصير كأننا فرسا رهان

والرجم أيضا اللعن، ومنه الشيطان الرجيم. (وما أنت علينا بعزيز) أي ما أنت علينا بغالب ولا قاهر ولا ممتنع. قوله تعالى: (قال يا قوم أرهطي) " أرهطي" رفع بالابتداء، والمعنى أرهطي في قلوبكم (أعز عليكم من الله) وأعظم وأجل وهو يملككم. (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي اتخذتم ما جئتكم به من أمر الله ظهريا، أي جعلتموه وراء ظهوركم، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤/٣

(١). عبارة الأصول هنا مضطربة، وصوبت عن كتب اللغة، وعبارة الأصل: فقه يفقه إذا فهم فقها وفقها وحكى الكسائي: فقها، وفقه فقها إذا صار فقيها.

(٢). ليس شعيب الرسول عليه السلام ضريرا لأن هذا الوصف ينافي العصمة مما يقدح وإنما شعيب الضرير هو صاحب موسى وليس بنبي وبينهما ثلاثمائة سنة.." (١)

"[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ٤٢ الى ٤٣]

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٤٢) مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣)

قوله تعالى: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أعجبه من أفعال المشركين ومخالفتهم دين إبراهيم، أي اصبر كما صبر إبراهيم، وأعلم المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم، بل سنة الله إمهال العصاة مدة. قال ميمون بن مهران: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. (إنما يؤخرهم) يعني مشركي مكة يمهلهم ويؤخر عذابهم. وقراءة العامة" يؤخرهم" بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله:" ولا تحسبن الله". وقرأ الحسن والسلمي وروي عن أبي عمرو أيضا" نؤخرهم" بالنون للتعظيم. (ليوم تشخص فيه الأبصار) أي لا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم، قاله الفراء. يقال: شخص الرجل بصره **وشخص البصر نفسه** أي سما وطمح من هول ما يرى. قال ابن عباس: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون. (مهطعين) أي مسرعين، قاله الحسن وقتادة وسعيد بن حبير، مأخوذ من أهطع يهطع إهطاعا إذا أسرع ومنه قوله تعالى:" مهطعين إلى الداع" «١» [القمر: ٨] أي مسرعين. قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

وقيل: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع، أي ناظرين من غير أن يطرفوا، قاله ابن عباس، وقال مجاهد والضحاك:" مهطعين" أي مديمي النظر. وقال النحاس: والمعروف في اللغة أن يقال: أهطع إذا أسرع، قال أبو عبيد: وقد يكون الوجهان جميعا يعني الإسراع مع إدامة النظر. وقال ابن زيد: المهطع الذي لا يرفع رأسه. (مقنعي رؤسهم) أي رافعي رؤسهم ينظرون في ذل. وإقناع الرأس رفعه، قاله ابن عباس ومجاهد. قال ابن عرفة والقتبي وغيرهما: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه، ومنه الإقناع في الصلاة «٢»

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩١/٩

(١). راجع ج ١٧ ص ١٣٠.

(٢). الإقناع في الصلاة أن يرفع المصلى رأسه حتى يكون أعلى من ظهره. [.....]." [١]

"ابن عرفة: فإن قلت: الذي نص سيبويه وغيره على أن الأصل تقديم المبتدأ المسند إليه على المسند، قلنا: إما باعتبار حقيقة ذلك فهو الأصل، وإما باعتبار الكلام فالأكثر في كلامهم تقديم المسند فيقال: عندي ثوب جديد.

قوله تعالى: ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض ... (٣)﴾

ابن عرفة: احتج بها من يقول بالتجسيم، واحتج آخرون على منعه باستحالة حلول الجوهر الواحد والجسم الواحد في مكانين في زمن واحد، قيل لابن عرفة: لعله غير متناه فيحل في السماوات، وفي الأرض، يقال: جعل بعضه في هذه وبعضه في هذه، أو الآية اقتضت [...] كله في الأرض [...] وأنها لقوله تعالى: (وهو معكم أين ما كنتم) أي بعلمه وإحاطته.

قوله تعالى: (يعلم سركم وجهركم).

هذه دليل على أن متعلق الحواس الخمس من قبيل المعلومات بعد تقرير أن صفة السمع مغايرة لصفة البصر.

وقوله تعالى: (يعلم السر وأخفى)

قيل: هو كلام النفس، وقال بعضهم: هو الكلام قبل كونه سرا.

قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤)﴾

قال الزمخشري: من الثانية للتبعيض.

ابن عرفة: ويحتمل أن يكون لبيان الجنس تعظيما للآية وتنزيلا لها منزلة كل الآيات إشارة إلى أن كل آية في نفسها عظيمة تقوم مقام الآيات الكثيرة.

قوله تعالى: (إلا كانوا عنها معرضين).

من شرط قيام الصفة بالموصوف عدم اتصافه بضدها وهم لما أتتهم الآية الثالثة على صدق الرسول المشروطة بالنظر أعرضوا عنها، ولم ينظروا فلو نظروا لآمنوا فشرط **الإيمان النظر في** الآية فاتصفوا بضد شرطها وهو

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٧٦/٩

الإعراض.

قوله تعالى: ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ... (٥)﴾ ... إشارة إلى غوايتهم وشدة تعنتهم في مبادرتهم بالتكذيب بنفس المجيء من غير تأن ولا تأمل.." (١)

"قوله تعالى: ﴿فتحسسوا من يوسف ... (٨٧)﴾

انظر في آل عمران في قوله (فلما أحس عيسى منهم الكفر) قال الجوهري في الصحاح: وتحسست من الشيء أي [تخبرت خبره*] وحسست له أحس بالكسر أي رفعت له وحسست بالخير وأحست به أي تعقبته وقال زيد بن [صوحان*] حين [ارتث*] يوم الجمل [ادفنوني*] في ثيابي ولا تحسوا عني [ترابا، أي لا تنفضوه]، ابن عطية: [فتحسسوا*] أي استقصوا [ونقروا*] [والتحسس الشيء بالحواس **من البصر والسمع***]، وقوله (من يوسف) متعلق بمحذوف يعمل فيه (تحسسوا) حقيقة من أمر يوسف، أبو حيان: وفيه [نظر*] لم يبين [وجهة*] النظر، فقال ابن عرفة: لعله يريد [أن من هنا بمعنى عن*] لأن هذا إنما يتعدى باللام أو بمن قلت وهذا لا يصح لأن الجوهري قال في الصحاح وحسست عن الشيء تخبرت خبره.

قوله تعالى: ﴿مسنا وأهلنا الضر ... (٨٨)﴾

إن قلت: قال في سورة الأنبياء (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فأكد أيوب شكواه بأن هؤلاء لم يؤكد وأن المناسب كان العكس لأن هؤلاء يخاطبون يوسف الذي لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه وأيوب يشكو لحاله إلى الله تعالى العالم بخفيات الأمور، فأجيب: بأن سبب الشكوى في أيوب أشد من سبب الشكوى في إخوة يوسف لكن لما ورد أن الدود أكل جميع بدنه حتى وصل إلى قلبه [...]، الزمخشري قيل: [إنها الصنوبر وحبة الخضراء. وقيل: المقل*]. ابن عرفة ودهن المقل.

قوله تعالى: (فأوف لنا الكيل).

ابن عطية: يؤخذ عنه أن الكيل على البائع ولو كان على المبتاع لقالوا فاسمح لنا بالوفاء في الكيل، وقال مالك: الكيل على البائع، وقال فيما إذا قطع يد رجل أو رجله أنه ليس له أن يلي القصاص لنفسه بل تنبيهه من له. [...]. بذلك قال مالك: وجزاء ذلك النائب على المقتص له ومذهب غيره أنه المقتص فيه،

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/١٤٢

وحجة مالك: أنه بنفس الجنايات صارت اليد للمجني عليه وأجره قطعها عليه وحجة المخالف أن المجني عليه يقول للجاني أعطني يدا عوضا عن يدي ولا يمكن إعطاؤها إلا مقطوعة فبغى فيها حق التوفية وهو القطع، ابن عرفة: فجعل مالك الجزاء [...]، المالك على المقتص له ومذهب غيره الحق للمجني عليه فيها قبل القطع بدليل أنه في أوسط كتاب الديات." (١)

"أي من شفيع في رفع العذاب عنهم فهو تأسيس وقوله (فلا مرد له) هي فلا دافع له عنهم ابتدأ قبل وقوعه بهم ولا ناصر لهم يرفعه عنهم بعد وقوعه.

قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ... (١٢)﴾

نسب الرؤية للبرق والإنشاء للسحاب؛ لأن الإنشاء المرتبة أسهلها **على البصر** [...] البياض الساطع فنحن نعجز عن **مداومة النظر للشمس** والنعمة في البرق في أقدارنا **على النظر إليه** وانظر قوله: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) وأما السحاب فجرم ثقيل جدا والنعمة التي فيه هي إبرازه من العدم إلى الوجود.

قوله تعالى: (خوفا وطمعا).

أعربهما الزمخشري: حالا ومنع أن يكونا مفعولا من أجله إذ ليس عنده فعلين والفاعل الفعل المعلل على مذهبه في أن الله تعالى لم يخلق الشر ولا أراده ونحن نجيز ذلك ونقول أراده وخلق في قلوب بعضنا الخوف منه، وفي قلوب [الآخرين*] الطمع فيه والفرق بين إرادة الخوف وبين خلق الخوف إنك تريده من زيد أن يخاف منك ولا تقدر على إيقاع ذلك به، الزمخشري يخاف المطر [من له فيه ضرر*]، كالمسافر، ومن في [جرينه التمر*] [والزبيب*] ومن له بيت يقطر عليه ومن [البلاد*] من يتضرر أهلها بالمطر كأهل مصر فإنه يفسد عليهم أبنيتهم، ونزول المطر فيها قليل جدا، ابن عرفة رأيت في خزانة التواريخ لابن سليم لما ذكر دخول مصر وما جرى له مع أهلها قال طلبت من بعضهم أن يهجوها فامتنع فلما أكثرت عليه قال:

كم ذا تقيم بمصر ... معذبا بذويها

وكيف ترجو نداهم ... والسحب تبخل فيها

قوله تعالى: (وينشئ السحاب الثقال) حكى ابن رشد في بيانه في كتاب السواد والأنهار: خلافا فقيل: إن الماء كلها من السماء، وقيل: من البحار وإنه يتصعد منها بخار تكسبه [...] وتذوبه فيكون في السحاب

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٤٠٣

ثم ينزل مطرا، وقيل: بالوقف وهو اختياره، وذكر بعضهم أنه إذا نحن ما البحر وجعلت على القدر ثباته فإنه يعذب، وقيل: بل تكثر ح دته [...] المضطر إليه.

قوله تعالى: ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ... (١٣)﴾
قيل: إن الرعد اسم ملك، ورده ابن عرفة بقوله: (فيه ظلمات ورعد وبرق) فقد نكره فإن كان لفظ الرعد هو العلم على الملك لم." (١)
"قوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة ... (٧٧)﴾
الألف واللام فيها [**للقلب] بخلاف الساعة التي يعبر بها عن زمن الحال فإن الألف واللام فيها المحصور،

قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ... (٧٨)﴾
الزمخشري: الهاء في أمهاتكم زائدة لأنه جمع أم كما زيدت في أراق فقالوا: أهراق ونقله ابن عطية عن بعضهم ثم قال: وفيه نظر ابن عرفة: لا أدري ما هذا النظر، قلت: وقال صاحبنا الأستاذ أبو العباس أحمد بن القصار: يحتمل أن يريد والله أعلم أن أهراق اتفقوا فيه بعد اختلافهم على أن الهاء فيه بدل من الهمزة في قولهم: هراق ثم اختلفوا في أهراق فمنهم من قال إنه جمع بين البدل والمبدل منه ومنهم من قال: إن الهمزة فيه زائدة وليست بدلا ووزن أراق أفعل لأن أصله أروق، قال ابن القصار: وجمعوا بين البدل والمبدل منه كما جمع الشاعر بينهما في قوله:
هما نفثا في في من فمويهما ... على النابح العاوي أشد رجام
قوله تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أفرد السمع لأنه مصدر في الأصل وجمع الأبصار لأن البصر اسم، واختلفوا أيهما أشرف فاحتج من شرف السمع بأن الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم حاسة السمع ولأن الإنسان إذا مشى في الظلمة المختلطة يسمع ولا يرى منها فقدانه قبل السمع بهذه الحالة ولأن البصر لا يتعلق إلا بما هو أمامك والسمع يتعلق بالجهات الست، فإن قلت إني أدير وجهي إلى خلفي والبصر من ورائي، قلنا: أو حينئذ الخلف إماما واحتج من شرف البصر على السمع بأن السمع لا يستقل بنفسه لأن الإنسان إذا سمع كلاما والأعلى شيء فلا بد أن ينظر في دلالته عليه بالمطابقة والتضمن والالتزام وهل هو حقيقة أو مجاز وهل قابله ممن يعتمد على خبره أم لا؟ إلى غير ذلك فلا بد

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٢٢/٢

من استعمال الفكرة في ذلك **بخلاف البصر فإنه** إذا شاهد الشيء ورآه على حقيقته بأول وهلة ونفى بهذا قولهم ليس الخبر كالمعاينة وقولكم إن السمع يتعلق به الوحي للأنبياء، قلنا: هذا في دار الدنيا والبصر يتعلق به رؤية المؤمنين وهم بأبصارهم في الدار الآخرة وهي أشرف بكل اعتبار.

قوله تعالى: (لعلكم).." (١)

"قوله تعالى: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ... (١٠٨)﴾

قال صاحب الإرشاد: واختلافا في الطبع ما هو [...]. فمنهم من قال هو أن يختم عليه بالكفر، وقيل: هو أن يجعل عليه علامة دالة على الكفر، وأما المعتزلة فقالوا: هو أن يجعل عليه علامة من غير أن يخلق في قلبه الكفر، وفي الحديث "أنه يخلق فيه نكتة سوداء".

قوله تعالى: (وسمعهم وأبصارهم).

إن قلت: الطبع على القلب يستلزم ما سواه، فالجواب: أنه نفي بالطبع على القلب **المعلوم النظر به**، وبعض الضروريات وهي الأوليات تكون الواحد نصف الاثنين والوحدانيات كعلمك بشبع نفسك وبقيت المحسوسات فنفاها بقوله: (وسمعهم وأبصارهم) قيل لابن عرفة: الأوليات والوحدانيات أجلا من المحسوسات فإذا انتفت فأحرى أن ينتفي عنهم المحسوسات، فقال: هذا أبلغ، قلت له: ويحتمل أن يقال: الفكر القلبي مسبب عن السمع والبصر، ونفي المسبب ما يستلزم نفي السبب فلهذا قال وسمعهم وأبصارهم، قال: وأفرد السمع لأنه مصدر في الأصل منهم لا يثنى ولا يجمع إلا إذا اختلفت أنواعه على العموم والاشتغال **بخلاف البصر فإنه** ليس بمصدر.

قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ... (١١١)﴾

ابن عرفة: قال ابن عصفور: إن الإضافة في قولك مررت بالرجل الحسن وجهه إنما هي عن نصب وليست عن رفع إذ لو كانت عن رفع يلزم عليه إضافة الشيء إلى نفسه لأنك إذا قلت: الحسن وجهه بالرفع فالحسن هو الوجه لأنه فاعله حينئذ يرتفع على أنه فاعل بالحسن وإذا قلت: وجهه بالنصب فالحسن هو الرجل لأن فاعله حينئذ ضمير عائد على الرجل فإذا كانت إضافة وجهه عن نصب لم يكن فيه إضافة الشيء إلى نفسه بل إضافة الحسن الذي هو من صفة الرجل إلى وجهه وعلى الرفع أضاف صفة الوجه إلى الوجه فهي إضافة الشيء إلى نفسه لا يجوز فقوله تعالى: (عن نفسها) أضاف الشيء إلى نفسه خبر وفيه إشكال إذ لا يجوز

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٩/٣

إضافة الشيء إلى نفسه.

ابن عرفة: والجواب أن ابن عصفور قال: لا يجوز تعدي فعل المضمر المتصل إلى مضمر المتصل فلا يجوز مرتني ويجوز مرت نفسي لأن الاسم الظاهر يتنزل منزلة الأجنبي مكانه قيل هنا تجادل عن غيرها قلت: وهذا الذي نقل عن ابن عصفور ذكره." (١)

"سورة المدثر

[يا أيها المدثر (١) *]

قال بعضهم -أظنه السهيلي-: فائدة هذه الصفة ما أشار إليه في الحديث "أنا النذير العريان" فقال هنا المدثر على سبيل الحض له على التدثر كما أشار إليه الزمخشري في (يا أيها المزمل).

قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور (٨)﴾

في الآية إشكالان، معنوي ولفظي، أما الأول: فإذا ظرف بمعنى الوقت؛ فالمعنى: فإذا حضر وقت النقر في الناقور، فذلك الوقت وقت أن ينقر في الناقور، وقت تمييز؛ لأن التنوين في (يومئذ) عوض من الجملة المحذوفة المفهومة من (إذا نقر).

إلا أن يقال أن (يومئذ) بدل من ذلك.

الإشكال الثاني: أن [إذ*] ظرف لما يستقبل من الزمان و [إذا*]. ظرف لما مضى، فكيف صح اجتماعهما في كلام واحد؛ لأنه إن كان ماضيا فلا معنى لـ[إذ*]، وإن كان مستقبلا فلا معنى لـ[إذا*]، والجواب: أنه مستقبل وأدخلت [إذا*] لوجهين: إما لتحقيق وقوعه مثل (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)، وإما باعتبار ما يأتي بعده من الأمور المستقبلة عنه، فهو ماض بالنسبة إليها.

قوله تعالى: ﴿إنه فكر ... (١٨)﴾

من الأصوليين من جعل الفكر عين النظر، وهو الفخر، **قال: النظر والفكر** ترتيب أمرين ليتوصل بهما إلى ثالث، ومنهم من جعلهما متغايرين، وهو إمام الحرمين، فالفكر هو استحضار أمور ومعلومات، والنظر هو ترتيبها ليتوصل بها إلى نتيجة.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٥٣/٣

قوله تعالى: ﴿ثم قتل ... (٢٠)﴾

العطف بـ ثم إشارة إلى أنه لعن لعنا بعد لعن [...] التكثير والتكرار مثل: [فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر*]، وقال مالك في كتاب الأيمان بالطلاق: وإذا قال لها: أنت طالق ثم طالق ثم طالق إنه يلزمه الثلاث، وتوقف في العطف بالواو.

قوله تعالى: ﴿ثم نظر (٢١)﴾." (١)

"الاستماع لا يتوقف على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحائل وانفصال الشعاع والنور الموافق لنور البصر، والتقدير في قوله ومنهم من يستمعون ومنهم من ينظر ومنهم ناس يستمعون ومنهم بعض ينظر.

(أفأنت تسمع الصم) الهمزة للإنكار يعني أن هؤلاء وإن استمعوا في الظاهر فهم صم والصمم مانع من سماعهم فكيف يطمع منهم في ذلك مع حصول المانع وهو الصمم، فكيف إذا انضم إلى ذلك (ولو كانوا لا يعقلون) فإن من كان أصم غير عاقل لا يفهم شيئا ولا يسمع ما يقال له، والفاء عاطفة.

وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه، ولذلك لا توصف به البهائم، وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مريضة بمعارضة الوهم ومتابعة الإلف والتقليد، تعذر أفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق.

والكلام في." (٢)

"(ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) كالكلام فيما تقدم لأن العمى مانع فكيف يطمع من صاحبه في النظر، وقد انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة، لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يكون له من الحدس الصحيح ما يفهم به في بعض الأحوال فهما يقوم مقام النظر، وكذلك الأصم العاقل قد يتحدس تحدسا يفيده بعض فائدة بخلاف من جمع له بين عمى البصر والبصيرة فقد تعذر عليه الإدراك، وكذا من جمع له بين الصمم وذهاب العقل فقد انسد عليبه باب الهدى.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣١٧/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦٨/٦

والمقصود من هذا الكلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الطبيب إذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه واستراح من الاشتغال به والهمزة للإنكار.." (١)

"وانفصال الشعاع والنور الموافق لنور البصر، والتقدير في قوله ومنهم من يستمعون ومنهم من ينظر ومنهم ناس يستمعون ومنهم بعض ينظر.

(أفأنت تسمع الصم) الهمزة للإنكار يعني أن هؤلاء وإن استمعوا في الظاهر فهم صم والصمم مانع من سماعهم فكيف يطمع منهم في ذلك مع حصول المانع وهو الصمم، فكيف إذا انضم إلى ذلك (لو كانوا لا يعقلون) فإن من كان أصم غير عاقل لا يفهم شيئا ولا يسمع ما يقال له، والفاء عاطفة.

وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مريضة بمعارضة الوهم ومتابعة الإلف والتقليد، تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق.

والكلام في (ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) كالكلام فيما تقدم لأن العمى مانع فكيف يطمع من صاحبه في النظر، وقد انضم إلى **فقد البصر فقد** البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يكون له من الحدس الصحيح ما يفهم به في بعض الأحوال فهما يقوم مقام النظر، وكذلك الأصم (وعصوا) أي رؤساؤهم وسفلتهم (رسله) أي هودا وحده لأنه لم يكن في عصره رسول سواه، وإنما جمع هنا للتعظيم أو لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل.

وقيل إنهم عصوا هودا ومن كان قبله من الرسل أو كانوا بحيث لو بعث الله إليهم رسلا متعددين لكذبوهم (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) الجبار المتكبر والعنيد الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له ويتجاوز في الظلم.

قال أبو عبيدة: العنيد والعنود والعاند والمعاند هو المعارض بالخلاف منه، ومنه قيل للعرق الذي يتفجر بالدم عاند، وعن قتادة قال: عنيد مشرك، وقال السدي: العنيد المشاق.." (٢)

"(الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو تعريض لأمته فكأنه قال ولا تحسب أمتك يا محمد، ويجوز أن يكون خطابا لكل من يصلح له من المكلفين وإن كان الخطاب

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦٨/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠٣/٦

للنبي صلى الله عليه وسلم من غير تعريض لأمته، فمعناه التثبيت على ما كان عليه من عدم الحسبان كقوله (ولا تكونن من المشركين) ونحوه، وقيل المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم؛ أو يكون المراد بالنهي عن الحسبان الإيذان بأنه عالم بذلك لا تخفى عليه منه خافية.

قال ميمون بن مهران في الآية: هي تعزية للمظلوم ووعيد للظالم، وعن سفيان بن عيينة نحوه، والغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ؛ وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلام للمشركين بأن تأخير العذاب عنهم ليس للرضا بأفعالهم بل سنة الله سبحانه في إمهال العصاة.

(إنما يؤخرهم) أي يؤخر جزاءهم وعذابهم ولا يؤاخذهم بظلمهم، وهذه الجملة استئناف وقع تعليلا للنهي السابق (ليوم) أي لأجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى إلى التي للغاية (تشخص فيه الأبصار) أي أبصارهم فلا تقر في أماكنها، قال الفراء: المعنى ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم.

شخوص البصر حدة النظر وعدم استقراره في مكانه، يقال شخص سمعه وبصره وأشخصهما صاحبهما وشخص بصره أي لم يطرف جفنه، ويقال شخص من بلده أي بعد، والشخص سواد الإنسان المرئي من بعيد، والمراد أن الأبصار بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة. قال قتادة: شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترتد إليهم، قيل أل للعهد وقيل لو حمل على العموم كان أبلغ في التهويل وأسلم من التكرير.." (١)

"(ولله غيب السماوات والأرض) أي يختص ذلك به لا يشاركه فيه غيره ولا يستقل به، والمراد علم ما غاب عن العباد فيهما، أو أراد بغيبهما يوم القيامة لأن علمه غائب عن العباد ومعنى الإضافة إليهما التعلق بهما، والمراد التوبيخ للمشركين والتقريع لهم، أي أن العبادة إنما يستحقها من كانت هذه صفته لا من كان جاهلا عاجزا لا يضر ولا ينفع ولا يعلم بشيء من أنواع العلم.

(وما أمر الساعة) التي هي أعظم ما وقعت فيه المماراة من الغيوب المختصة به سبحانه، وهو إماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوان أجمعين، أو المعنى ما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته (إلا كلمح البصر) أي كرجع طرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه، **واللمح النظر بسرعة** ولا بد فيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣٠/٧

قابل للتجزئة ولذا قال.

(أو هو) أي بـ‍ل أمرها (أقرب) منه بأن يكون من زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدأ فيه، فإن الله تعالى يحيي الخلق دفعة، وما يوجد دفعة كان في آن أي جزء غير منقسم.

وليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق، لأن مدة ما." (١)

"(ولا تمدن) أي لا تطل نظر (عينيك) بطريق الرغبة والميل (إلى ما متعنا به) أي لذذنا، فالإمتاع والتمتيع معناه الإيقاع في اللذة (أزواجا منهم) **مد النظر تطويله** وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به، وفيه **أن النظر غير** الممدود معفو عنه، وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف، ولقد شدد المتقون في وجوب **غض البصر عن** أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم، حتى قال الحسن: " لا تنظروا إلى دقدقة (١) هماليج (٢) الفسقة، ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب " وهذا لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها، وقد تقدم تفسير هذه الآية في الحجر.

(زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها وبهجتها بالنبات وغيره، وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي نور النبات، وذكر السمين في نصبه تسعة أوجه. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أن رسول الله ((- صلى الله عليه وسلم -)) قال: " إن أخوف ما أخاف عليك ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا "، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؛ قال: " بركات الأرض ".

---

(١) الدقدقة حكاية أصوات حوافر الدواب مثل الطقطقة. إهـ صحاح.

(٢) الهملاج من البراذين واحد الهماليج ومشيها الهملجة فارسي معرب إهـ صحاح.." (٢)

"ويؤيده ما حكاه القرطبي عن ابن عباس وأبي وسعيد بن جبير أنهم قرءوا حتى تستأذنوا، قال ما لك فيما حكاه عنه ابن وهب: الاستئناس فيما نرى والله أعلم - الاستئذان؛ وعن ابن عباس قال: أخطأ الكاتب: حتى تستأذنوا.

(وتسلموا على أهلها) وفي مصحف عبد الله حتى تسلموا على أهلها، وتستأذنوا؛ وعن عكرمة نحوه: أخرج ابن أبي شيبة؛ والطبراني وغيرهما عن أبي أيوب قال: قلت يا رسول الله أرأيت قول الله حتى تستأنسوا أو

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٨٨/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٩٥/٨

تسلموا على أهلها، هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس. قال: " يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة؛ ويتنحنح؛ فيؤذن أهل البيت " قال ابن كثير: هذا حديث غريب (١).

وأخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " الاستئناس أن تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت، الذين تسلم عليهم " وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد قال: اطلع رجل من جحر في حجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعه مدرى يحك بها رأسه قال: " لو أعلم أنك تنظر لطعنت بها في عينيك، إنما جعل الاستئذان من **أجل النظر** " (٢) وفي لفظ: إنما جعل الإذن من أجل البصر، وعن أنس قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله في هذه الآية فما أدركتها: إن أستأذن على بعض إخواني فيقول: إرجع فأرجع وأنا مغتبط لقوله (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم).

وعن ابن عباس قال: نسخ واستثنى من ذلك. فقال (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) أخرج أحمد والبخاري في الأدب وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي من طريق كلدة أن صفوان بن

(١) ابن كثير ٣/ ٢٨٠.

(٢) مسلم ٢١٥٦ - البخاري ٢٣٠٠.." (١)

"**منها النظر هم** أحق بها من غيرهم، وأولى بذلك ممن سواهم، وقيل: إن في الآية دليلا على أن الكفار غير مخاطبين بالشرعيات كما يقوله بعض أهل العلم، وفي الكلام حذف، والتقدير: قل للمؤمنين غضوا يغضوا، ومعنى **غض البصر إطباق** الجفن على العين بحيث يمنع الرؤية، و (من) هي التبعيضية، وإليه ذهب الأكثرون وعليه اقتصر القاضي كالكشاف، وبينوه بأن المعنى **غض البصر عما** يحرم، والاقتصار به على ما يحل.

وقيل وجه التبعيض أنه يعفى للناظر، أول نظرة تقع من غير قصد، وقال الأخفش: إنها زائدة، وأنكر ذلك سيبويه. وقيل: إنها لبيان الجنس قاله أبو البقاء، واعترض عليه بأنه لم يتقدم مبهم حتى يكون مفسرا بـ (من) وقيل إنها لابتداء الغاية، قاله ابن عطية، وعليه اقتصر أبو حيان في النهر، وقيل: الغض: النقصان، يقال: غض فلان من فلان، أي: وضع منه. فالبصر إذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض منه، ومنقوص، فتكون

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٧/٩

(من) صلة للغض، وليست لمعنى من تلك المعاني الأربعة، وفي هذه الآية دليل على **تحريم النظر إلى** غير من **يحل النظر إليه**.

قال ابن عباس: يغضوا أبصارهم يعني. من شهواتهم، مما يكره الله. وأخرج أبو داود، والترمذي، والبيهقي في سننه، عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الأخرى " (١).

وفي مسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، عن جرير البجلي قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف (٢). وفي الصحيحين؛ وغيرهما؛ من حديث أبي سعيد قال: قال

---

(١) أبو داوود كتاب النكاح باب ٤٣ – الترمذي كتاب الأدب ٢٨.

(٢) مسلم ٢١٥٩ – الترمذي كتاب الأدب باب ٢٨.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إياكم والجلوس على الطرقات "! قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها! فقال: " إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه ". قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: " غض البصر؛ وكف الأذى؛ ورد السلام؛ والأمر بالمعروف؛ والنهي عن المنكر " (١).

(ويحفظوا فروجهم) أي يجب عليهم حفظها عما يحرم عليهم ولا يحل لهم. وقيل المراد ستر فروجهم عن أن يراها من لا تحل له رؤيتها، ولا مانع من إرادة المعنيين، فالكل يدخل تحت حفظ الفرج، وقيل وجه المجيء بمن في الأبصار دون الفروج أنه موسع **في النظر فإنه** لا يحرم منه إلا ما استثنى، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن؟ وكذا الإماء المستعرضات للبيع بخلاف حفظ الفرج، فإنه مضيق فيه. فإنه لا يحل منه إلا ما استثنى.

وقيل الوجه أن **غض البصر كله** كالمتعذر، بخلاف حفظ الفرج، فإنه ممكن على الإطلاق قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا ما في هذا الموضع فإنه أراد به الإستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه.

(ذلك) أي ما ذكر من الغض والحفظ (أزكى) أي أطهر (لهم) من دنس الريبة، وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة (إن الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه شيء من صنعهم، فيجازيهم عليه، وفي ذلك وعيد لمن لم يغض بصره ويحفظ فرجه.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠١/٩

(١) مسلم ٢١٢١ – البخاري ١٢١٧.." (١)

"تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال أو تكون في رجلها خلاخل، فتحركهن عند الرجال، فنهى الله عن ذلك، لأنه من عمل الشيطان. وسماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سمي صوت الحلى وسواسا فنبه به على أن الذي لأجله نهى عنه به ما عليهن من الحلي وغيره.

وفي القرطبي من فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه، ومن فعل ذلك منهن تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بنعله الأرض من الرجال فعل ذلك عجبا حرم فإن العجب كبيرة، وإن فعل ذلك تبرجا لم يحرم انتهى.

ثم أرشد سبحانه عباده إلى التوبة عن المعاصي فقال:

(وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) مما وقع لكم **من النظر الممنوع** منه ومن غيره وفيه الأمر بالتوبة ولا خلاف بين المسلمين في وجوبها وأنها فرض من فرائض الدين. قيل العبد لا يخلو عن سهو ويقصر في أوامره ونواهيه، وإن اجتهد فلذا وصاهم جميعا بالتوبة، وقد تقدم الكلام على التوبة في سورة النساء.

وقيل إن المراد بالتوبة هنا هي عما كانوا يعملونه في الجاهلية، والأول أولى لما تقرر في السنة أن الإسلام يجب ما قبله، وقد ورد أحاديث في الأمر بالتوبة والاستكثار منها قيل وأحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة، وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافي الإيمان ثم ذكر ما يرغبهم في التوبة فقال (لعلكم تفلحون) أي تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة أو تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفي الآية تغليب المذكور على الإناث.

ولما أمر سبحانه بغض الأبصار وحفظ الفروج أرشد بعد ذلك إلى ما يحل للعباد من النكاح الذي يكون به قضاء الشهوة وسكون دواعي الزنا، ويسهل بعده **غض البصر عن** جميع المحرمات. وحفظ الفرج عما لا يحل فقال:." (٢)

"الرواية بطلت الدراية.

وقد اختلف في تفسير القانت هنا فقيل المطيع، وقيل: الخاشع أو القائم في صلاته، وقيل: الداعي لربه، قال النحاس: أصل القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو داخل في الطاعة.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠٢/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٢/٩

(آناء الليل) جمع إنى بكسر الهمزة والقصر كمعي وأمعاء، وقيل: واحدها أنو، يقال: مضى من الليل أنيان وأنوان والمراد بآناء الليل ساعاته وأوقاته، وقيل: جوفه، وقيل: ما بين المغرب والعشاء، وقيل: أوله وأوسطه وآخره.

(ساجدا وقائما) منصوبان على الحال، أي جامعا بين السجود والقيام في الصلاة، وقدم السجود على القيام لكونه أدخل في العبادة، والآية دلت على ترجيح قيام الليل على النهار، وأنه أفضل منه وذلك لأن الليل استر فيكون أبعد عن الرياء، ولأن ظلمة الليل تجمع الهم **وتمنع البصر عن النظر إلى** الأشياء، وإذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلي، وهو الخشوع في الصلاة، ومعرفة من يصلي له.

وقيل لأن الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس، فيكون الثواب فيه أكثر قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل، ذكره القرطبي.

(يحذر الآخرة) أي يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل (ويرجو رحمة ربه) فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتمعا في قلب رجل إلا فاز قيل: وفي الكلام حذف تقديره كمن لا يفعل شيئا من ذلك، كما يدل عليه السياق، قيل: الرحمة هنا المغفرة، وقيل: الجنة، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل، وأولى أن ينسب إلى الله تعالى.

وعن ابن عمر أنه تلا هذه الآية وقال " ذاك عثمان بن عفان " (١). وفي

---

(١) قاله السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٣).." (١)

"أو فعلة واحدة، وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة، أو كلمة واحدة، وهي قوله: (كن فيكون)، فهنا بان الفرق بين الإرادة والقول، فالإرادة قدر والقول قضاء، وقيل: المراد بالأمر القيامة (كلمح بالبصر) في سرعته، **واللمح النظر على** العجلة والسرعة، وفي الصحاح: لمحه وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والإسم اللمحة، أي فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه، فكذلك الأفعال كلها عندنا، بل أيسر، قال الكلبي: وما أمرنا بمجيىء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨٨/١٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٩/١٣

"(ثم **ارجع البصر كرتين**) أي رجعتين مرة بعد مرة وانتصابه على المصدر والمراد بالتثنية التكثير كما في لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد إنما يريدون التكثير أي رجعة بعد رجعة وإن كثرت، وإجابة لك بعد أخرى، وإلا تناقض الغرض، ووجه الأمر **بتكرير النظر على** هذه أنه قد لا يرى ما يظنه من العيب في النظرة الأولى ولا في الثانية ولهذا قال أولا (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ثم قال ثانيا (ثم **ارجع البصر كرتين**) فيكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة وأقطع للمعذرة، وقيل: الأولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها.

(ينقلب **إليك البصر خاسئا**) أي يرجع **إليك البصر خاشعا** متباعدا عن أن يرى شيئا من ذلك، وقيل: معنى خاسئا مبعدا مطرودا عن أن يبصر." (١)

"" صفحة رقم ٢٣٤ "

وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة .

) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذالك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (

النور : (٣٠) قل للمؤمنين يغضوا . . . . .

من للتبعيض ، والمراد **غض البصر عما** يحرم ، والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش أن تكون مزيدة ، وأباه سيبويه . فإن قلت : كيف دخلت في **غض البصر دون** حفظ الفروج ؟ قلت : دلالة على أن **أمر النظر أوسع** . ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات ، والأجنبية ينظر إلي وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين . وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقا أن **أبيح النظر إلا** ما استثنى منه ، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه ، ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإقضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء . وعن ابن زيد : كل ما في القرآن من ءفظ الفرج فهو عن الزنا ، إلا هذا فإنه أراد به الاستتار . ثم أخبر أنه) خبير (بأفعالهم وأحوالهم ، وكيف يجيلون أبصارهم ؟ وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم ؟ فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون .

) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ءابآئهن أو ءاباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسآئهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٣٢/١٤

من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسآء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون (

النور : (٣١) وقل للمؤمنات يغضضن . . . . .

النساء مأمورات أيضا بغض الأبصار ، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته ، وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك . وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن . ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت :

(٧٤٧) كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد." (١)

"" صفحة رقم ٥٨١ "

وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت : وهو أنه خلق الرحمن ، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب ، والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب . وقوله تعالى :) **فارجع البصر** (متعلق به على معنى التسبيب ؛ أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ، ثم قال :) **فارجع البصر** (حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ، ولا تبقى معك شبهة فيه) هل ترى من فطور (من صدوع وشقوق : جمع فطر وهو الشق . يقال : فطره فانفطر . ومنه : فطر ناب البعير ، كما يقال : شق وبزل . ومعناه : شق اللحم فطلع . وأمره **بتكرير البصر فيهن** متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا) ينقلب إليك (أي إن **رجعت البصر وكررت النظر لم** يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب ، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور ، أي : بالبعد عن إصابة الملتمس ، كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة ، وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد . فإن قلت : كيف **ينقلب البصر خاسئا** حسيرا برجعه كرتين اثنتين ؟ قلت : معنى التثنية التكرير بكثرة ، كقولك : لبيك وسعديك ، تريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض ، وقولهم في المثل : دهدرين سعد القين من ذلك ، أي : باطلا بعد باطل . فإن قلت : فما معنى ثم ارجع ؟ قلت : أمره **برجع البصر** ، ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء ، وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ، ثم يعاود ويعاود ، إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة ، فإنه لا يعثر على شيء من فطور .

) ولقد زينا السمآء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٣/٢٣٤

الملك : (٥) ولقد زينا السماء . . . . .

) الدنيا (القربى ؛ لأنها أقرب السموات إلى الناس ، ومعناها : السماء الدنيا منكم . والمصابيح السرج ، سميت بها الكواكب ، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٨٢٥

من التطابق والتشابه «١».

من تفاوت ، وتفوت «٢» مثل : تعاهد وتعهد ، وتجاوز وتجوز «٣».

وقيل : التفوت مخالفة الجملة ما سواها ، والتفاوت مخالفة بعض [الجملة] «٤». بعضا كأنه الشيء المختلف لا على نظام. ومن لطائف المعاني أن الفوت الفرجة بين الإصبعين ، والفوت والتفوت واحد «٥» ، فمعنى : «من تفوت» معنى هل ترى من فطور ، أي : صدوع.

ثم **ارجع البصر كرتين** **ارجع البصر وكرر النظر أبدا** قد أمرناك بذلك كرتين.

خاسئا : صاغرا ذليلا «٦».

وهو حسير : معيى كليل «٧».

«شهيق» «٨» : زفرة من زفرات جهنم «٩».

٧ تفور : تغلي. ______________

(١) ذكره الماوردي في تفسيره : ٤/ ٢٧١ عن ابن بحر.

(٢) بتشديد الواو من غير ألف ، وهي قراءة حمزة ، والكسائي.

السبعة لابن مجاهد : ٦٤٤ ، والتبصرة لمكي : ٣٥٥ ، والتيسير للداني : ٢١٢.

(٣) تفسير الطبري : ٢٩/ ٢ ، وتفسير القرطبي : ١٨/ ٢٠٨.

(٤) في الأصل : الحكمة والمثبت في النص عن «ج».

(٥) معاني القرآن للفراء : ٣/ ١٧٠ ، وتفسير القرطبي : ١٨/ ٢٠٨.

(٦) تفسير الطبري : ٢٩/ ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج : ٥/ ١٩٨ ، وتفسير الماوردي : ٤/ ٢٧٢ ، والمفردات للراغب : ١٤٨. [.....]

(٧) الكليل : الذي ضعف عن إدراك مرآه.

ينظر هذا المعنى في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٧٤ ، وتفسير الطبري : ٢٩/ ٣ ، ومعاني الزجاج

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٤/٥٨١

: ٥/ ١٩٨ ، وتفسير الماوردي : ٤/ ٢٧٢.
(٨) من قوله تعالى : إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور [آية : ٧].
(٩) تفسير الفخر الرازي : ٣٠/ ٦٣ ، وتفسير القرطبي : ١٨/ ٢١١.." (١)

"والأخذ: انتزاع الشيء وتناوله من مقره، وهو هنا مجاز في السلب والإعدام، لأن السلب من لوازم الأخذ بالنسبة إلى المأخوذ منه فهو مجاز مرسل.ولك أن تجعله تمثيلا لأن الله هو معطي السمع والبصر فإذا أزالها كانت تلك الإزالة كحالة أخذ ما كان أعطاه، فشبهت هيئة إعدام الخالق بعض مواهب مخلوقه بهيئة انتزاع الآخذ شيئا من مقره.فالهيئة المشبهة هنا عقلية غير محسوسة والهيئة المشبهة بها محسوسة.والختم على القلوب تقدم بيانه في سورة البقرة[٧] عند قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ .والمراد بالقلوب العقول التي بها إدراك المعقولات.

والسمع مصدر دال على الجنس فكان في قوة الجمع، فعم بإضافته إلى ضمير المخاطبين ولا حاجة إلى جمعه.

والأبصار جمع بصر، وهو في اللغة العين على التحقيق.وقيل: يطلق البصر على حاسة الإبصار ولذلك جمع ليعم بالإضافة جميع أبصار المخاطبين، ولعل إفراد السمع وجمع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفة أحد اللفظين مفردا والآخر مجموعا عند اقترانهما، فإن في انتظام الحروف والحركات والسكنات في تنقل اللسان سرا عجيبا من فصاحة كلام القرآن المعبر عنها بالنظم.وكذلك نرى مواقعها في القرآن قال تعالى: ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ [الاحقاف: ٢٦] .

والقلوب مراد بها العقول في كلام العرب لأن القلب سبب إمداد العقل بقوة الإدراك.

وقوله: ﴿من إله﴾ معلق لفعل الرؤية لأنه استفهام، أي أعلمتم جواب هذا الاستفهام أم أنتم في شك.وهو استفهام مستعمل في التقرير يقصد منه إلجاء السامعين إلى النظر في جوابه فيوقنوا أنه لا إله غير الله يأتيهم بذلك لأنه الخالق للسمع والأبصار والعقول فإنهم لا ينكرون أن الأصنام لا تخلق، ولذلك قال لهم القرآن: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [النحل: ١٧]

و ﴿من﴾ في موضع رفع على الابتداء، و ﴿إله﴾ خبر ﴿من﴾ ، و ﴿غير الله﴾ صفة ﴿إله﴾ ، ﴿ويأتيكم﴾ جملة في محل الصفة أيضا، والمستفهم عنه هو إله، أي ليس إله غير الله يأتي بذلك، فدل على

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٨٢٥

الوحدانية.ومعنى ﴿يأتيكم به﴾ يرجعه، فإن أصل أتى به، جاء به.ولما كان الشيء المسلوب إذا استنقذه منقذ يأتب به إلى مقره أطلق الإتيان بالشيء على." (١)

"كناية بمرتبتين، ذلك لأن النهي عن الشيء يؤذن بان المنهي عنه بحيث يتلبس به المخاطب، فنهيه عنه تحذير من التلبس به **بقطع النظر عن** تقدير تلبس المخاطب بذلك الحسبان. وعلى هذا الاستعمال جاءت الآية سواء جعلنا الخطاب لكل من يصح أن يخاطب فيدخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم أم جعلناه للنبي ابتداء ويدخل فيه أمته.

ونفي الغفلة عن الله ليس جاريا على صريح معناه لأن ذلك لا يظنه مؤمن بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين. ومنه جاء معنى التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

والغفلة: الذهول، وتقدم في قوله تعالى: ﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ في سورة الأنعام [١٥٦].

والمراد بالظلم هنا الشرك، لأنه ظلم للنفس بإيقاعها في سبب العذاب المؤلم. وظلم لله بالاعتداء على ما يجب له من الاعتراف بالوحدانية. ويشمل ذلك ما كان من الظلم دون الشرك مثل ظلم الناس بالاعتداء عليهم أو حرمانهم حقوقهم فإن الله غير غافل عن ذلك. ولذلك قال سفيان بن عيينة: هي تسلية للمظلوم وتهديد للظالم.

وقوله: ﴿فيه الأبصار﴾ مبنية لجملة ﴿ولا تحسبن الله غافلا...﴾ الخ.

وشخوص البصر: ارتفاعه كنظر المبهوت الخائف.

وأل في ﴿الأبصار﴾ للعموم، أي تشخص فيه أبصار الناس من هول ما يرون. ومن جملة ذلك مشاهدة هول أحوال الظالمين.

والإهطاع: إسراع المشي مع مد العنق كالمتختل، وهي هيئة الخائف.

وإقناع الرأس: طأطأته من الذل، وهو مشتق من قنع من باب منع إذا تذلل. و ﴿مهطعين مقنعي رؤوسهم﴾ حالان.

وجملة ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ في موضع الحال أيضا. والطرف: تحرك جفن العين.

ومعنى ﴿لا يرتد إليهم﴾ لا يرجع إليهم، أي لا يعود إلى معتاده، أي لا يستطيعون تحويله. فهو كناية عن

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/١٠٤

هول ما شاهدوه بحيث يبقون ناظرين إليه لا تطرف أعينهم.

وقوله: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ تشبيه بليغ، إذ هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول.." [1]

"إلى مشاهدتها حواس المخلوقات الأرضية.

والإخبار بأنها ملك لله يقتضي بطريق الكناية أيضا أنه عالم بها.

وتقديم المجرور أفاد الحصر، أي له لا لغيره. ولام الملك أفادت الحصر، فيكون التقديم مفيدا تأكيد الحصر أو هو للاهتمام.

و ﴿أمر الساعة﴾: شأنها العظيم فالأمر: الشأن المهم، كما في قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل:١]، وقول أبي بكر - رضي الله عنه -: "ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر"، أي شأن وخطب.

و ﴿الساعة﴾: علم الغلبة على وقت فناء العالم، وهي من جملة غيب الأرض.

ولمح البصر: توجهه إلى المرئي لأن اللمح هو النظر. ووجه الشبه هو كونه مقدورا بدون كلفة، لأن **لمح البصر هو** أمكن وأسرع حركات الجوارح فهو أيسر وأسرع من نقل الأرجل في المشي ومن الإشارة باليد.

وهذا التشبيه أفصح من الذي في قول زهير:

فهن ووادي الرس كاليد للفم

ووجه الشبه يجوز أن يكون تحقق الوقوع بدون مشقة ولا أنظار عند إرادة الله تعالى ووقوعه، وبذلك يكون الكلام إثباتا لإمكان الوقوع وتحذيرا من الاغترار بتأخيره.

ويجوز أن يكون وجه الشبه السرعة، أي سرعة الحصول عند إرادة الله أي يحصل فجأة بدون أمارات كقوله تعالى: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ [ألأعراف:١٨٧].

والمقصود: إنذارهم وتحذيرهم من أن تبغتهم الساعة ليقلعوا عما هم فيه من وقت الإنذار. ولا يتوهم أن **يكون البصر تشبيها** في سرعة الحصول إذ احتمال معطل لأن الواقع حارس منه.

و ﴿أو﴾ في ﴿أو هو أقرب﴾ للإضراب الانتقالي، إضرابا عن التشبيه الأول بأن المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به، فالمتكلم يخيل للسامع أنه يريد تقريب المعنى إليه بطريق التشبيه ثم يعرض عن التشبيه بأن المشبه أقوى في وجه الشبه وأنه لا يجد له شبيها فيصرح بذلك فيحصل التقريب ابتداء ثم الإعراب عن

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢/٢٦٧

الحقيقة ثانيا.

ثم المراد بالقرب في قوله تعالى: ﴿أقرب﴾ على الوجه الأول في تفسير لمح البصر." [1]

"البعث. واستعمل الماضي موضع المضارع تنبيها على تحقيق وقوعه.

والنفخ في الصور تمثيلية مكنية تشبيها لحال الداعي المطاع وحال المدعو الكثير العدد السريع الإجابة، بحال الجند الذين ينفذون أمر القائد بالنفير فينفخون في بوق النفير، وبحال بقية الجند حين يسمعون بوق النفير فيسرعون إلى الخروج. على أنه يجوز أن يكون الصور من مخلوقات الآخرة.

والحالة الممثلة حالة غريبة لا يعلم تفصيلها إلا الله تعالى.

وتأكيد فعلي ﴿جمعناهم﴾ و ﴿عرضنا﴾ بمصدريهما لتحقق أنه جمع حقيقي وعرض حقيقي ليسا من المجاز، وفي تنكير الجمع والعرض تهويل.

ونعت الكافرين ب ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾ للتنبيه على أن مضمون الصلة هو سبب عرض جهنم لهم، أي الذين عرفوا بذلك في الدنيا.

والغطاء: مستعار لعدم الانتفاع **بدلالة البصر على** تفرد الله بالإلهية. وحرف ﴿من﴾ للظرفية المجازية. وهي تمكن الغطاء من أعينهم بحيث كأنها محوية للغطاء.

و ﴿عن﴾ للمجاوزة، أي **عن النظر فيما** يحصل به ذكري.

ونفي استطاعتهم السمع أنهم لشدة كفرهم لا تطاوعهم نفوسهم للاستماع. وحذف مفعول ﴿سمعا﴾ لدلالة قوله: ﴿عن ذكري﴾ عليه.

والتقدير: سمعا لآياتي، فنفي الاستطاعة مستعمل في نفي الرغبة وفي الإغراض كقوله ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر﴾ [فصلت: ٥]

وعرض جهنم مستعمل في إبرازها حين يشرفون عليها وقد سيقوا إليها فيعملون أنها المهيئة لهم، فشبه ذلك بالعرض تهكما بهم، لأن العرض هو إظهار ما فيه رغبة وشهوة.

[١٠٢] ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ .

أعقب وصف حرمانهم الانتفاع بدلائل المشاهدات على وحدانية الله وإعراضهم عن سماع الآيات بتفريع الإنكار لاتخاذهم أولياء من دون الله يزعمونها نافعة لهم تنصرهم." [2]

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٥/١٣

(٢) التحرير والتنوير، ١٣٩/١٥

"وجملة ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ مستعملة في التحذير من تجاوز ما أشارت إليه الآية من القيود وهي كون البيوت غير مسكونة وكون الداخل محتاج إلى دخولها بله أن يدخلها بقصد التجسس على قطانها أو بقصد أذاهم أو سرقة متاعهم.

[٣٠] ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾

أعقب حكم الاستئذان ببيان آداب ما تقتضيه المجالسة بعد الدخول وهو أن لا يكون الداخل إلى البيت محدقا بصره إلى امرأة فيه بل إذا جالسته المرأة غض بصره واقتصر على الكلام ولا ينظر إليها **إلا النظر الذي** يعسر صرفه.

ولما كان الغض التام لا يمكن جيء في الآية بحرف من الذي هو للتبعيض إيماء إلى ذلك إذ من المفهوم أن المأمور بالغض فيه هو مالا يليق **تحديق النظر إليه** وذلك يتذكره المسلم من استحضاره أحكام الحلال والحرام في هذا الشأن فيعلم أن **غض البصر مراتب**: منه واجب ومنه دون ذلك، فيشمل **غض البصر عما** اعتاد الناس كراهية التحقق فيه كالنظر إلى خبايا المنازل، بخلاف ما ليس كذلك فقد جاء في حديث عمر بن الخطاب حين دخل مشربة النبي صلى الله عليه وسلم فرفعت بصري إلى السقف فرأيت أهبة معلقة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: "لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية" .

وفي هذا الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباعدة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام أو ما عسى أن يكلفها صبرا شديدا عليها.

والغض: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر. ويكون من الحياء كما قال عنترة:

وأغض طرفي حين تبدو جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

ويكون من مذلة كما قال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير

ومادة الغض تفيد معنى الخفض والنقص.

والأمر بحفظ الفروج عقب الأمر بالغض من الأبصار **لأن النظر رائد** الزنى. فلما كان ذريعة له قصد المتذرع إليه بالحفظ تنبيها على المبالغة في غض الأبصار في محاسن." (١)

"إن الله على كل شيء قدير﴾

اعتراض انتقالي من الإنكار عليهم ترك الاستدلال بما هو بمرأى منهم، إلى إرشادهم للاستدلال بما هو

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/١٦٣

بعيد عنهم من أحوال إيجاد المخلوقات وتعاقب الأمم وخلف بعضها عن بعض، فإن تعود الناس بما بين أيديهم يصرف عقولهم عن التأمل فيما وراء ذلك من دلائل دقائقها على ما تدل عليه، فلذلك أمر الله رسوله أن يدعوهم إلى السير في الأرض ليشاهدوا آثار خلق الله الأشياء من عدم فيوقنوا أن إعادتها بعد زوالها ليس بأعجب من ابتداء صنعها.

وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحتوياتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيرا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانا لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه، لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائبا عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة. وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي لأن السائر ليس له من قرار في طريقه فنذر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها بعد أن لم تكن وأنه قادر على إيجاد أمثالها فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها.

والاستدلال بالأفعال التي مضت أمكن لأن للشيء المتقرر تحققا محسوسا.

وجيء في هذا الاستدلال **بفعل النظر لأن** إدراك ما خلقه الله حاصل **بطريق البصر وهو** **بفعل النظر أولى** وأشهر لينتقل منه إلى إدراك أنه ينشئ النشأة الآخرة.

ولذلك أعقب بجملة ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ فهي جملة مستقلة. و ﴿ثم﴾ للترتيب الرتبي كما تقدم في قوله ﴿ثم يعيده﴾ .

وإظهار اسم الجلالة بعد تقدم ضميره في قوله ﴿كيف بدأ الخلق﴾ وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ثم ينشئ. قال في الكشاف: لأن الكلام كان واقعا في الإعادة فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فالذي لم يعجزه." (١)

"وتشديد العين مفتوحة. ومفاد هذه القراءات متحد المعنى على التحقيق.

وروى الطبري عن أبي عمرو بن العلاء وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى: أن بين ضاعف وضعف فرقا، فأما

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥٣/٢٠

ضاعف فيفيد جعل الشيء مثليه فتصير ثلاثة أعذبه وأما ضعف المشدد فيفيد جعل الشيء مثله. قال الطبري: وهذا التفريق لا نعلم أحدا من أهل العلم ادعاه غيرهما. وصيغة التثنية في قوله: ﴿ضعفين﴾ مستعملة في إرادة الكثرة كقوله تعالى: ﴿ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير﴾ [الملك: ٤] لظهور **أن البصر لا** يرجع خاسئا وحسيرا من **تكرر النظر مرتين**، والتثنية ترد في كلام العرب كناية عن التكرير، كقولهم: لبيك وسعديك، وقولهم: دواليك، ولذلك لا نشتغل بتحديد المضاعفة المرادة في الآية بأنها تضعيف مرة واحدة بحيث يكون هذا العذاب بمقدار ما هو لأمثال الفاحشة مرتين أو بمقدار ذلك ثلاث مرات وذلك ما لم يشتغل به أحد من المفسرين، وما إعراضهم عنه إلا لأن أفهامهم سبقت إلى الاستعمال المشهور في الكلام، فما روي عن أبي عمرو وأبي عبيدة لا يلتفت إليه.

والفاحشة: المعصية قال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف: ٣٣] وكلما وردت الفاحشة في القرآن نكرة فهي المعصية وإذا وردت معرفة فهي الزنا ونحوه.

والمبينة: بصيغة اسم الفاعل مبالغة في بيان كونها فاحشة ووضوحه حتى كأنها تبين نفسها وكذلك قرأها الجمهور. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء، أي: يبينها فاعلها.

والمضاعفة: تكرير شيء ذي مقدار بمثل مقداره.

والضعف: مماثل عدد ما. وتقدم في قوله تعالى: ﴿فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ في سورة الأعراف [٣٨].

ومعنى مضاعفة العذاب: أنه يكون ضعف العذاب عذاب أمثال تلك المعصية إذا صدرت من غيرهن، وهو ضعف في القوة وفي المدة، وأريد عذاب الآخرة.

وجملة ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ معترضة، وتقدم القول في نظيرها آنفا. والمعنى: أن الله يحقق وعيده ولا يمنعه من ذلك أنها زوجة نبيء، قال تعالى ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ إلى قوله: ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾ [التحريم: ١٠].

والتعريف في ﴿العذاب﴾ تعريف العهد، أي: العذاب الذي جعله الله للفاحشة.." [١]

"وكلمة: ﴿فرادى﴾ معدول بها عن قولهم: فردا فردا تكريرا يفيد معنى الترصيف كذلك. وكذلك سائر أسماء العدد إلى تسع أو عشر ومنه قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ ، وتقدم في سورة النساء [٣].

وانتصب: ﴿مثنى وفرادى﴾ على الحال من ضمير: ﴿تقوموا﴾ أي أن تكونوا في القيام على هذين الحالين

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/٢٣٧

فيجوز أن يكون المعنى: أن تقوموا لحق الله وإظهاره على أي حال من اجتماع وانفراد، فيكون: ﴿مثنى﴾ كناية عن التعدد وهو من استعمال معنى التثنية في التكرر لأن التثنية أول التكرير فجعل التكرر لازما للتثنية ادعاء كما في قوله تعالى: ﴿ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير﴾ [الملك: ٤] **فإن البصر لا** يرجع خاسئا من إعادة نظرة واحدة بل المراد منه **تكرير النظر ومنه** قولهم: لبيك وسعديك، وقولهم: دواليك.

ويجوز أن يكون المعنى أن تقوموا لحق الله مستعينا أحدكم بصاحب له او منفرد بنفسه فإن من **أهل النظر من** ينشط إليه بالمدارسة ما لا ينشطه بالخلوة. ومنهم من حاله بعكس هذا، فلهذا أقتصر على ﴿مثنى وفرادى﴾ لأن ما زاد على ذلك لا اضطرار إليه. وقدم ﴿مثنى﴾ لأن الاستعانة أعون على الفهم فيكون المراد دفع عوائق الوصول إلى الحق بالنظر الصحيح الذي لا يغالط فيه صاحب هوى ولا شبهة ولا يخشى فيه الناظر تشنيعا ولا سمعة، فإن الجماهير إذا اجتمعت لم يخلو مجتمعهم من ذي هوى وذي شبهة وذي مكر وذي انتفاع، وهؤلاء بما يلزم نواياهم من الخبث تصحبهم جرأة لا تترك فيهم وازعا عن الباطل ولا صدا عن الاختلاق والتحريف للأقوال بعمد أو خطأ، ولا حياء يهذب من حدتهم في الخصام والأذى، ثم يطيرون بالقالة وأعمال أهل السفالة.

فللسلامة من هذه العوائق والتخلص من تلك البوائق الصادة عن طريق الحق قيل هنا ﴿مثنى وفرادى﴾ فإن المرء إذا خلا بنفسه عند التأمل لم يرض لها بغير النصح، وإذا خلى ثاني أثنين فهو إنما يختا ثانيه أعلق أصحابه به وأقربهم منه رأيا فسلم كلاهما من غش صاحبه.

وحرف ﴿ثم﴾ للتراخي في الرتبة لأن التفكر في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم أهم في إصلاح حال المخاطبين المعرضين عن دعوته، بخلاف القيام لله فإنهم لا يأبونه.

والتفكر: تكلف الفكر وهو العلم، وتقدم عند قوله تعالى: ﴿أفلا تتفكرون﴾ في الأنعام. [٥٠]." [(١)]

"هذا مفرع على التسلية التي تضمنها قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ [الصافات:١٧١].التولي حقيقته: المفارقة كما تقدم في قصة إبراهيم ﴿ فتولوا عنه مدبرين﴾ [الصافات:٩٠]،واستعمل هنا مجازا في عدم الاهتمام بما يقولونه وترك النكد من إعراضهم.

والحين:الوقت.وأجمل هنا إيماء إلى تقليله،أي تقريبه، فالتنكير للتحقير المعنوي وهو التقليل.ومعنى ﴿أبصرهم﴾ أنظر إليهم،أي من الآن،وعدي "أبصر" إلى ضميرهم الدال على ذواتهم،وليس **المراد النظر إلى**

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢/٩٤

ذواتهم لكن إلى أحوالهم،أي تأمل أحوالهم تركيف نصرك عليهم،وهذا وعيد بما حل بهم يوم بدر.

وحذف ما يتعلق به الإبصار من حال أو مفعول معه بتقدير:وأبصرهم مأسورين مقتولين،أو وأبصرهم وما يقصى به عليهم من أسر وقتل لدلالة ما تقدم من قوله: ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات:١٧٣،١٧٢]عليه،إذ ليس المأمور به أيضا ذواتهم،وهذا من دلالة الاقتضاء.وصيغة الأمر في ﴿وأبصرهم﴾ مستعملة في الإرشاد على حد قول:

إذا أعجبتك الدهر حال من امرئ ... فدعه وواكل أمره واللياليا

أي إذا شئت أن تتحقق قرارة حاله فانتظره.

وعبر عن ترتيب نزول الوعيد بهم بفعل الإبصار للدلالة على أن ما توعدوا به واقع لا محالة وأنه قريب حتى أن الموعود بالنصر يتشوف إلى حلوله فكان ذلك كناية عن تحققه وقربه لأن **تحديق البصر لا** يكون إلا إلى شيء أشرف على الحلول.

وتفريع ﴿فسوف يبصرون﴾ على ﴿وأبصرهم﴾ تفريع لإنذارهم بوعيد قريب على بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بقربه فإن **ذلك البصر يسر** النبي صلى الله عليه وسلم ويحزن أعداءه،ففي الكلام اكتفاء، كنه قيل:أبصرهم وما ينز بهم فسوف تبصر ما وعدناك وليبصروا ما ينزل بهم فسوف يبصرونه. وحذف مفعول ﴿يبصرون﴾ لدلالة ما دلت عليه الاقتضاء.

واعلم أن تفريع ﴿فسوف يبصرون﴾ على ﴿وأبصرهم﴾ يمنع من إرادة أن يكون المعنى:وأبصرهم حين ينزل بهم العذاب بعد ذلك الحين كما لا يخفى.

[١٧٦.١٧٧] ﴿أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾

هذا تفريع على التأجيل المذكور في قوله: ﴿حتى حين﴾ [الصافات:١٧٤]فإن ذلك ما." (١)

"يلقم وإن يقتل ينقم. الأرقم: ضرب من الحيات يعتقد العرب أنه من الجن فإن تركه المرء يتسور عليه فيلسعه ويقتله وإن قتله المرء انتقم بتأثيره فأمات قاتله وهذا من أوهام العرب.

والمراد بالانتقام استئصالهم وانقراضهم. وتقدم في قوله تعالى ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ في سورة الأعراف.[١٣٦] ولذلك فالنظر في قوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ نظر التفكر والتأمل فيما قص الله على رسوله من أخبارهم كقوله تعالى ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ [النمل:٢٧] وليس **نظر البصر إذ** لم ير النبي حالة الانتقام فيهم ويجوز أن يكون الخطاب لغير معين، أي لكل من يتأتى منه

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٢/٢٣

التأمل.

و ﴿كيف﴾ استفهام عن الحالة وهو قد علق فعل النظر عن مفعوله.

[٢٦,٢٧] ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾

لما ذكرهم الله بالأمم الماضية وشبه حالهم بحالهم ساق لهم أمثالا في ذلك من مواقف الرسل مع أممهم منها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه.

وابتدأ بذكر إبراهيم وقومه إبطالا لقول المشركين ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ [الزخرف: ٢٢] بأن أولى آبائهم بأن يقتدوا به هو أبوهم الذي يفتخرون بنسبته إبراهيم.

وجملة ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ عطف على عموم الكلام السابق من قوله ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير﴾ [الزخرف: ٢٣] إلى قوله ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ وهو عطف الغرض على الغرض.

و ﴿إذ﴾ ظرف متعلق بمحذوف، تقديره: واذكر إذ قال إبراهيم، ونظائر هذا كثيرة في القرآن كما تقدم في قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ في سورة البقرة.[٣٠]

والمعنى: واذكر زمان قول إبراهيم لأبيه وقومه قولا صريحا في التبرئ من عبادة الأصنام.

وخص أبو إبراهيم بالذكر قبل ذكر قومه وما هو إلا واحد منهم اهتماما بذكره لأن براءة إبراهيم مما يعبد أبوه أدل على تجنب عبادة الأصنام بحيث لا يتسامح فيها ولو كان الذي يعبدها أقرب الناس إلى موحد الله بالعبادة مثل الأب، ولتكون حكاية كلام." (١)

"وقوله: ﴿كلمح بالبصر﴾ في موضع الحال من ﴿أمرنا﴾ باعتبار الإخبار عنه بأنه كلمة واحدة، أي حصول مرادنا بأمرنا كلمح بالبصر، وهو تشبيه في سرعة الحصول، أي ما أمرنا إلا كلمة واحدة سريعة التأثير في المتعلقة هي به كسرعة لمح البصر.

وهذا التشبيه في تقريب الزمان أبلغ ما جاء في الكلام العربي وهو أبلغ من قول زهير:

فهن ووادي الرس كاليد للفم

وقد جاء في سورة النحل[٧٧] ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ فزيد هنالك ﴿أو هو أقرب﴾ لأن المقام للتحذير من مفاجأة الناس بها قبل أن يستعدوا لها فهو حقيق بالمبالغة في التقريب، بخلاف ما في هذه الآية فإنه لتمثيل أمر الله وذلك يكفي فيه مجرد التنبيه إذ لا يترددالسامع في التصديق به.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣٧/٢٥

وقد أفادت هذه الآية إحاطة علم الله بكل موجود وإيجاد الموجودات بحكمة، وصدورها عن إرادة وقدرة.

واللمح: النظر السريع واخلاس النظر، يقال: لمح البصر، ويقال: لمح البرق كما يقال: لمع البرق. ولما كان **لمح البصر أسرع** من لمح البرق قال تعالى: ﴿لمح بالبصر﴾ كما قال في سورة النحل [٧٧] ﴿إلا كلمح البصر﴾ .

[٥١] ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر﴾ .

التفت من طريق الغيبة إلى الخطاب ومرجع الخطاب هم المشركون لظهور أنهم المقصود بالتهديد، وهو تصريح بما تضمنه قوله ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾ [القمر:٤٣] فهو بمنزلة النتيجة لقوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ إلى كلمة ﴿كلمح بالبصر﴾ . [القمر:٤٩، ٥٠].

وهذا الخبر مستعمل في التهديد بالإهلاك وبأنه يفاجئهم قياسا على إهلاك الأمم السابقة، وهذا المقصد هو الذي لأجله أكد الخبر بلام القسم وحرف "قد" أما إهلاك من قبلهم فهو معلوم لا يحتاج إلى تأكيد. ولك أن تجعل مناط التأكيد إثبات أن إهلاكهم كان لأجل شركهم وتكذيبهم الرسل.

وتفريع ﴿فهل من مدكر﴾ قرينة على إرادة المعنيين فإن قوم نوح بقوا أزمانا فما أقلعوا عن إشراكهم حتى أخذهم الطوفان بغتة. وكذلك عاد وثمود كانوا غير مصدقين بحلول العذاب." (١)

"الكلام على وجه الاعتراض ولا يكون إظهارا في مقام الإضمار.

والتعبير بوصف ﴿الرحمن﴾ دون اسم الجلالة إيماء إلى أن هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس لتجري أمورهم على حالة تلائم نظام عيشهم، لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سببا لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق، قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [يونس:٥].

وأيضا في ذلك الوصف تورك على المشركين إذ أنكروا اسمه تعالى: ﴿الرحمن﴾ ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ [الفرقان:٦٠].

وفرع عليه قوله: ﴿فارجع البصر﴾ الخ. والتفريع للتسبب، أي انتفاء رؤية التفاوت، جعل سببا للأمر بالنظر ليكون نفي التفاوت معلوما عن يقين دون تقليد للمخبر.

ورجع البصر: تكريره والرجع: العود إلى الموضع الذي يجاء منه، وفعل: رجع يكون قاصرا ومتعديا إلى مفعول

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠٩/٢٧

بمعنى: أرجع، فأرجع هنا فعل أمر دون رجع المتعدي.

والرجع يقتضي سبق حلول بالموضع، فالمعنى: أعد النظر، **وهو النظر الذي** دل عليه قوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي أعد رؤية السماوات وأنها لا تفاوت فيها إعادة تحقيق وتبصر، كما يقال: أعد نظرا.

والخطاب في قوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ وقوله: ﴿فارجع البصر﴾ الخ. خطاب لغير معين.

وصيغة الأمر مستعملة في الإرشاد للمشركين مع دلالته على الوجوب للمسلمين **فإن النظر في** أدلة الصفات واجب لمن عرض له داع إلى الاستدلال. والبصر مستعمل في حقيقته. والمراد **به البصر المصحوب** بالتفكر والاعتبار بدلالة الموجودات على موجدها.

وهذا يتصل بمسألة إيمان المقلد وما اختلف فيه من الرواية عن الشيخ أبي الحسن الأشعري.

والاستفهام في ﴿هل ترى من فطور﴾ تقريري ووقع ب ﴿هل﴾ لأن ﴿هل﴾ تفيد تأكيد." (١)

"الاستفهام إذ هي بمعنى "قد" في الاستفهام، وفي ذلك تأكيد وحث على التبصر والتأمل، أي لا تقنع بنظرة ونظرتين، فتقول: لم أجد فطورا، بل **كرر النظر وعاوده** باحثا عن مصادفة فطور لعلك تجده.

والفطور: جمع فطر بفتح الفاء وسكون الطاء، وهو الشق والصدع، أي لا يسعك إلا أن تعترف بانتفاء الفطور في نظام السماوات فتراها ملتئمة محبوكة لا ترى في خلالها انشقاقا، ولذلك كان انفطار السماء وانشقاقها علامة على انقراض هذا العالم ونظامه الشمسي، قال تعالى: ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابا﴾ [النبأ:١٩] ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق:١] ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [الانفطار:١].

وعطف ﴿ثم **ارجع البصر كرتين**﴾ دال على التراخي الرتبي كما هو شأن ﴿ثم﴾ في عطف الجمل، فإن مضمون الجملة المعطوفة ب ﴿ثم﴾ هنا أهم وأدخل في الغرض من مضمون الجملة المعطوف عليها لأن **إعادة النظر تزيد** العلم بانتفاء التفاوت في الخلق رسوخا ويقينا.

و ﴿كرتين﴾ تثنية كرة وهي المرة وعبر عنها هنا بالكرة مشتقة من الكر وهو العود لأنها عود إلى شيء بعد الانفصال عنه ككرة المقاتل يحمل على العدو بعد أن يفر فرارا مصنوعا. وإيثار لفظ كرتين في هذه الآية دون مرادفة نحو مرتين وتارتين لأن كلمة كرة لم يغلب إطلاقا على عدد الاثنين، فكان إيثارها في مقام لا يراد فيه اثنين أظهر في أنها مستعملة في مطلق التكرير دون عدد اثنين أو زوج وهذا من خصائص الإعجاز،

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧/٢٩

ألا ترى أن مقام إرادة عدد الزوج كان مقتضيا تثنية مرة في قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ [البقرة: ٢٢٩] لأن أظهر في إرادة العدد إذ لفظ مرة أكثر تداولا.

وتثنية ﴿كرتين﴾ ليس المراد بها عدد الاثنين الذي هو ضعف الواحد إذ لا يتعلق غرض بخصوص هذا العدد، وإنما التثنية مستعملة كناية عن مطلق التكرير فإن من استعمالات صيغة التثنية في الكلام أن يراد بها التكرير وذلك كما في قولهم لبيك وسعديك، يريدون تلبيات كثيرة وإسعادا كثيرا، وقولهم: دواليك، ومنه المثل دهدرين، سعد القين الدهدر الباطل، أي باطلا على باطل، أي أتيت يا سعد القين دهدرين وهو تثنية دهدر الدال مهملة في أوله مضمومة فهاء ساكنة فدال مهملة مضمومة فراء مشددة. وأصله كلمة فارسية نقلها العرب وجعلوها بمعنى الباطل. وسبب النقل مختلف فيه وتثنيته مكنى بها عن مضاعفة الباطل، وكانوا يقولون هذا المثل عند تكذيب الرجل صاحبه وأما." (١)

"مخرج الغالب في التخاطب لأن المرأة كانت بمعزل عن المشاركة في شؤون ما كان خارج البيت.

والمراد: ينظر الإنسان من ذكر أو أنثى، ما قدمت يداه. وهذا يعلم من استقراء الشريعة الدال على عموم التكاليف للرجال والنساء إلا ما خص منها بأحد الصنفين لأن الرجل هو المستحضر في أذهان المتخاطبين عند التخاطب.

وتعريف ﴿المرء﴾ للاستغراق مثل ﴿إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [العصر: ٢-٣].

وفعل ﴿ينظر﴾ يجوز أن يكون من نظر العين أي البصر، والمعنى: يوم يرى المرء ما قدمت يداه. ومعنى نظر المرء ما قدمت يداه: حصول جزاء عمله له، فعبر عنه بالنظر لأن الجزاء لا يخلو من أن يكون مرئيا لصاحبه من خير أو شر، **فإطلاق النظر هنا** على الوجدان على وجه المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق ونظيره قوله تعالى: ﴿ليروا أعمالهم﴾ [الزلزلة:٦]، وقد جاءت الحقيقة في قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ [آل عمران:٣٠] الآية. و"ما" موصولة صلتها جملة ﴿قدمت يداه﴾ .

ويجوز أن يكون من نظر الفكر، وأصله مجاز شاع حتى لحق بالمعاني الحقيقية كما يقال: هو بخير النظرين، ومنه التنظر: توقع الشيء، أي يوم يترقب ويتأمل ما قدمت يداه، وتكون "ما" على هذا الوجه استفهامية وفعل ﴿ينظر﴾ معلقا عن العمل بسبب الاستفهام، والمعنى: ينظر المرء جواب من يسأل: ما قدمت يداه؟ ويجوز أن يكون من الانتظار كقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف:٥٣].

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/٢٩

وتعريف ﴿المرء﴾ تعريف الجنس المفيد للاستغراق.

والتقديم: تسبيق الشيء والابتداء به.

و ﴿ما قدمت يداه﴾ هو ما أسلفه من الأعمال في الدنيا من خير أو شر فلا يختص بما عمله من السيئات فقد قال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية.

وقوله: ﴿ما قدمت يداه﴾ إما مجاز مرسل بإطلاق اليدين على جميع آلات الأعمال وإما أن يكون بطريقة التمثيل بتشبيه هيئة العامل لأعماله المختلفة بهيئة الصانع للمصنوعات." (١)

" ٥٦ والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة إن كيدي متين سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة يعني بصاحبهم النبي صلى الله عليه وسلم فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون ويحتمل أن يكون قوله ما بصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به والمعنى أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة ويحتمل أن يكون الكلام قد تم في قوله أو لم يتفكروا ثم ابتدأ إخبار استئنافا لقوله ما بصاحبهم من جنة والأول أحسن أو لم ينظروا يعني نظر استدلال ما خلق الله عطف على الملكوت ويعني بقوله من شيء جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم أن الأولى مخففة من الثقيلة وهي عطف على الملكوت وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى وأجلهم يعني موتهم والمعنى لعلهم يموتون عن قريب فينبغي لهم أن يسارعوا **إلى النظر فيما** يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل فبأي حديث بعده الضمير للقرآن يسألونك عن الساعة السائلون اليهود أو قريش وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله وما أمر الساعة إلا **كلمح البصر أو** هو أقرب أيان مرساها معنى أيان متى ومرساها وقوعها وحدوثها وهي من الإرساء بمعنى الثبوت قل إنما علمها عند ربي أي استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد لا يجليها لوقتها إلا هو معنى يجليها يظهرها فهو من الجلاء ضد الخفاء واللام في لوقتها ظرفية أي عند وقتها والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله ثقلت في السموات والأرض في معناه ثلاثة أقوال الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها والثاني ثقلت على أهل السموات

---

(١) التحرير والتنوير، ٥١/٣٠

والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض والثالث معنى ثقلت أي ثقل علمها أي خفي يسألونك كأنك حفي عنها الحفي بالشيء هو المهتبل به المعتني به والمعنى." (١)

" ٦٤ أيهما يقدم فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم ثم يقول أأدخل وقيل يقدم الاستئذان لتقديمه في الآية وليس في الآية عدد الاستئذان وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات وهو تفسير للآية ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية فقيل هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها أحد بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك وقيل هي الخرب التي تدخل للبول والغائط والمتاع على هذا حاجة الإنسان وقيل هي حوانيت القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة في إبراهيم وقد ذكر ومن أبصارهم للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وقيل معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج بها ويمنع ما بعدها وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة وقيل هي لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة أو إلى ما لا يحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به هو عن الزنا وقيل أراد ستر العورة والأظهر أن الجميع مراد وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهمن تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا وعن سائر جسد المرأة أم لا فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها وهو ما لا بد." (٢)

"١٣٤ الخلق وحياتهم وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله وإن الدار الآخرة لهي الحيوان وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر ليبلوكم أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم أيكم أحسن عملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقال أيكم أحسن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٣١/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٥٦/٢

عملا وأشدكم لله خوفا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله

سبع سموات طباقا أي بعضها فوق بعض والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي من قلة تناسب وخروج عن الإتقان والمعنى أن خلقة السموات في غاية الإتقان وقيل أراد خلقه جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سموات طباقا فبان قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ما قبله والخطاب في قوله ما ترى **وارجع البصر وما** بعده للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب ليعتبر **فارجع البصر هل** ترى من فطور الفطور الشقوق جمع فطر وهو الشق **وإرجاع البصر ترديده في النظر ومعنى** الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملئمة مستوية ثم **ارجع البصر كرتين** أي انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق وقال الزمخشري معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة كقولهم لبيك فإن معناه إجابات كثيرة ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير الخاسئ هو المبعد عن الشئ الذي طلبه والحسير هو االكليل الذي أدركه التعب فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خلالا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك فكانه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من **شدة النظر وكثرة** التأمل." (١)

"والحجاب مختص بالحرائر دون الإماء، كما كانت سنة المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه أن الحرة تحتجب والأمة تبرز، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ إذا رأى أمة مختمرة ضربها، وقال أتتشبهين بالحرائر، أي لكاع [اللكاع : المرأة اللئيمة] ، فيظهر من الأمة رأسها ويداها ووجهها .

/ وقال تعالي : ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن ﴾ [النور : ٦٠] ، فرخص للعجوز التي لا تطمع في النكاح أن تضع ثيابها فلا تلقي عليها جلبابها ولا تحتجب، وإن كانت مستثنئة من الحرائر لزوال المفسدة الموجودة في غيرها، كما استثني التابعين غير أولي الإربة من الرجال في إظهار الزينة لهم، لعدم الشهوة التي تتولد منها الفتنة، وكذلك الأمة إذا كان يخاف بها الفتنة كان عليها أن ترخي من جلبابها وتحتجب، ووجب **غض البصر عنها** ومنها .

وليس في الكتاب والسنة **إباحة النظر إلى** عامة الإماء ولا ترك احتجابهن وإبداء زينتهن، ولكن القرآن لم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٠١/٣

يأمرهن بما أمر الحرائر، والسنة فرقت بالفعل بينهن وبين الحرائر، ولم تفرق بينهن وبين الحرائر بلفظ عام، بل كانت عادة المؤمنين أن تحتجب منهم الحرائر دون الإماء، واستثني القرآن من النساء الحرائر القواعد فلم يجعل عليهن احتجابا، واستثني بعض الرجال وهم غير أولي الإربة، فلم يمنع من إبداء الزينة الخفية لهم، لعدم الشهوة في هؤلاء وهؤلاء، فأن يستثني بعض الإماء أولي وأحري، وهن من كانت الشهوة والفتنة حاصلة بترك احتجابها وإبداء زينتها .

". (١)

"وكما يتناول غض البصر عن عورة الغير وما أشبهها من النظر إلى المحرمات فإنه يتناول الغض عن بيوت الناس، فبيت الرجل يستر بدنه كما تستره ثيابه، وقد ذكر . سبحانه . غض البصر وحفظ الفرج بعد آية الاستئذان، وذلك أن البيوت سترة كالثياب التي على البدن، كما جمع بين اللباسين في قوله تعالي : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ [النحل : ٨١] ، فكل منهما وقاية من الأذى الذي يكون سموما مؤذيا كالحر والشمس والبرد، وما يكون من بني آدم من النظر بالعين واليد وغير ذلك .

وقد ذكر في أول (سورة النحل) أصول النعم، وذكر هنا ما يدفع البرد فإنه من المهلكات، وذكر في أثنائها تمام النعم وما يدفع الحر فإنه من المؤذيات، ثم قال : ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ [النحل : ٨١] ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح) . وهذا الخاص يفسر العام الذي في الصحيح عن عبد الله بن مغفل : أنه رأي رجلا يخذف، قال : لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن الخذف، وقال : (إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين) . وفي الصحيحين عن سهل بن سعد : أن رجلا اطلع في حجرة في باب النبي صلى الله عليه وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدري يحك بها رأسه، فقال : (لو أعلم أنك تنظر إلى لطعنت به في عينك؛ إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) .

". (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٤/٤

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٠/٤

"قال شيخ الإسلام : وأما النور والعلم والحكمة،فقد دل عليه قوله ـ تعالى ـ فى قصة يوسف : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴾ [يوسف : ٢٢] ، فهى لكل محسن . وفى هذه السورة ذكر آية النور بعد **غض البصر وحفظ** الفرج، وأمره بالتوبة مما لا بد منه أن يدرك ابن آدم من ذلك . وقال أبو عبد الرحمن السلمى [هو أبو عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدى السلمى النيسابورى، من علماء المتصوفة . إمام حافظ محدث شيخ خراسان، بلغت تصانيفه مائة أو أكثر، منها : [حقائق التفسير] و [طبقات الصوفية] وغيرها، ولد سنة ٣٢٥هـ، ومات فى شهر شعبان سنة ٤١٢ هـ، وكانت جنازته مشهودة] سمعت أبا الحسين الوراق يقول : من غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدى بها، ويهدى بها إلى طريق مرضاته؛ وهذا لأن الجزاء من جنس العمل؛ فإذا **كان النظر إلى** محبوب فتركه لله عوضه الله م ا هو أحب إليه منه، وإذا **كان النظر بنور** العين مكروها أو إلى مكروه فتركه لله، أعطاه الله نورا فى قلبه وبصرا يبصر به الحق . قال شاه الكرمانى : من غض بصره عن المحارم، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال، وكف نفسه عن الشهوات، لم تخطئ له فراسة . وإذا صلح علم الرجل فعرف الحق وعمله واتبع الحق، صار زكيا تقيا مستوجبا للجنة .
". (١)

"فى قوله فى آخر الآية : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور : ٣١] ، فوائد جليلة، منها : أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة فى هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التى هى ترك **غض البصر وحفظ** الفرج، وترك إبداء الزينة وما يتبع ذلك، فمستقل ومستكثر، كما فى الحديث : (ما من أحد من بنى آدم إلا أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا) . وذلك لا يكون إلا عن نظر، وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) ، وفى الصحيح عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى : يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالى، فاستغفرونى أغفر لكم) .
وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : ما رأيت شئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن ا لله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق) الحديث إلى آخره . وفيه : (والنفس / تتمنى ذلك وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٨

أخرجه البخارى تعليقا من حديث طاووس عن أبى هريرة . ورواه مسلم من حديث سهيل بن أبى صالح، عن أبيه عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) ، وقد روى الترمذى حديثا واستغربه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إلا اللمم ﴾ [النجم : ٣٢] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن تغفر اللهم تغفر جما، وأى عبد لك لا ألما) .
". (١)

"وإنما وقع النزاع بين العلماء فى (القسم الثالث) من النظر، وهو : النظر إليه بغير شهوة . لكن مع خوف ثورانها، ففيه وجهان فى / مذهب أحمد، أصحهما وهو المحكى عن نص الشافعى وغيره أنه لا يجوز . والثانى : يجوز، لأن الأصل عدم ثورانها، فلا يحرم بالشك بل قد يكره . والأول هو الراجح، كما أن الراجح فى مذهب الشافعى وأحمد أن النظر إلى وجه الأجنبية من غير حاجة لا يجوز، وإن كانت الشهوة منتفية، لكن لأنه يخاف ثورانها، ولهذا حرم الخلوة بالأجنبية، لأنه مظنة الفتنة . والأصل أن كلما كان سببا للفتنة فإنه لا يجوز، فإن الذريعة إلى الفساد سدها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة .
ولهذا كان النظر الذى قد يفضى إلى الفتنة محرما، إلا إذا كان لحاجة راجحة، مثل نظر الخاطب والطبيب وغيرهما، فإنه يباح النظر للحاجة مع عدم الشهوة . وأما النظر لغير حاجة إلى محل الفتنة فلا يجوز . ومن كرر النظر إلى الأمرد ونحوه وأدامه، وقال : إنى لا أنظر لشهوة كذب فى ذلك، فإنه إذا لم يكن له داع يحتاج معه إلى النظر، لم يكن النظر إلا لما يحصل فى القلب من اللذة بذلك .
وأما نظر الفجأة فهو عفو إذا صرف بصره، كما ثبت فى الصحاح عن جرير، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، قال : (اصرف بصرك) ، وفى السنن أنه قال لعلى ـ رضى الله عنه : يا على، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية) .
وفى الحديث الذي فى المسند وغيره : (النظر سهم مسموم من سهام إبليس) ، وفيه : (من نظر إلى محاسن امرأة ثم غض بصره عنها أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة) أو كما قال .
ولهذا يقال : إن غض البصر عن الصورة التي ينهى عن النظر إليها : كالمرأة، والأمرد الحسن، يورث ذلك

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥٥/٤

ثلاث فوائد جليلة القدر :

". (١)

"الاستئذان من **أجل البصر**، وفي لفظ : إنما جعل الله الاذن من أجل البصر.

وأخرج الطبراني عن سعد بن عبادة قال : جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقمت مقابل الباب فاستأذنت فأشار الي أن تباعد وقال هل الاستئذان إلا من أجل النظر.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان عن قتادة في قوله ﴿حتى تستأنسوا﴾ قال : هو الاستئذان قال : وكان يقال الاستئذان ثلاث فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع ، اما الاولى فيسمع الحي.

وأما الثانية فيأخذوا حذرهم ، واما الثالثة فان شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوه.

وأخرج مالك والبخاري ومسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال : كنت جالسا في مجلس من مجالس الانصار فجاء أبو موسى فزعا فقلنا له : ما افزعك قال : أمرني عمر أن آتيه فأتيته فأستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتيني قلت : قد جئت فاستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له." (٢)

"من أبصارهم﴾ الآية.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ الآية أي عما لا يحل لهم ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ أي عما لا يحل لهم.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ قال : من شهواتهم عما يكره الله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ يعني أبصارهم فمن هنا صلة في الكلام ، يعني يحفظوا أبصارهم عما لا يحل **لهم النظر إليه** ويحفظوا فروجهم عن الفواحش ﴿ذلك أزكى لهم﴾ يعني **غض البصر وحفظ** الفرج.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال : كل آية يذكر فيها

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٦٨/٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢/١١

حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية في النور ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ ﴿ويحفظن فروجهن﴾ فهو ان يراها. وأخرج أحمد ، وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود والترمذي." (١)

"يا رسول الله قال : **غض البصر وكف** الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأخرج أبو القاسم البغوي في معجمه والطبراني عن أبي أمامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة ، اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذ ائتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم.

وأخرج أحمد والحكيم في نوادر الاصول والطبراني ، وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن ابي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا **العين النظر وزنا** اللسان المنطق وزنا الاذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطو والنفس تمنى وتشتهي والفرج." (٢)

" صفحة رقم ٣٨

إشارة إلى أن الدلة الصلية في الوضوح بحيث لاتخفى على أحد ولا يخالفها إلامن ستر مرآة عقله إما هناداواإما **بغهمال النظر لاسديد** والركون ألى نوع تقليد .

ولما كان من أعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله : (ختم الله (اي) على قلوبهم) أي ختمامستعلياعليها فهي لاتعي حق الوعي ، لأن الختم على الشيء يمنع الدخول إليه والخروج منه ، وأكد المعنى بإعادة الجار فقال : (وعلى سمعهم (فهم لا يسمعنون حق السمع ، وأفراده لأن التفاوت فيه نادر ، قال الرالي : وشركة في الختم مع القلب لأن أحدالايسمع إلا ما عقل. انتهى .

) وعلى أبصارهم غشاوة (فهم لا ينظرون باليامل .

ولما سوى هنا بين الإنذار وعدمه كانت البداءة بالقلوب أنسب تسوية لهم بالبهائم ، ولما كان الغبي قد يسمع أو يبصر فيهتدي وكان إلى السمع أضر لعمومه **وخصوص البصر باحوال** الضياء نفي السمع **ثم**

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/١٧

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٢٠

البصر تسفيلالهم عن حال الهائم ، بخلاف ما في الجاثية فإنه لما أخبر فيها بالإضلا وكان الضال أحوج شيء إلى سماع الهادي نفاه ، ولما كان الأصم " ذا كان افهم أو بصر أمكنت هدايته واكن الفهم أشرف نفاهما على ذلك الترتيب .

ولما وصفهم بذلك أخبر بمآلهم فقال : (ولهم عذاب عظيم (قال الحرالي : وفي وقوله : (ولهم (إعلام بقوة تداعي حالهم لذلك العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم إليه حتى يشهد عيان المعرفة به أي العذاب وبهم أنه لهم وكان عذابهم عظيماآخذا في عموع ذواتهم لكونهم لم تلتبس أبدانهم ولا نفوسهم ولا أرواحهم بما يصد عنهم شيئامن عذابها كما يكون للمعاقبين من مذنبي مؤمني المم حيث يتنكب العذاب." (١)

" صفحة رقم ٣٣٠

أن يكون فارسا أو راجلا أو رامحا أو نابلا ، من تكلف غير ما يجد منته فقد ضيع الحق وعمل بالتكليف ، والصمت عند اللقاء **وغض البصر عن النظر إلى** الأعداء ، وقال (صلى الله عليه وسلم) (إذا أكثبوكم فارموهم ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ، وكف اليد عما للغير فيه حق وهو الغلول ، وأن لا يدعوا للبراز وأن يجيب إذا دعي وقال (صلى الله عليه وسلم) : (يقول الله عز وجل : عبدي كل عبدي الذي يذكر الله وهو ملاق قرنه) ولكل أمر وتلبس بمأمور أدب يخصه على ما يستقرأ من السنن النبوية وآثار الخلفاء وصالحي الأمراء فبهذه الأمور من إخلاص القلب وطيب النفس وأدب الجوارح ، فيصح قراءة حرف الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – انتهى .

ولما تقدم أن شرط رفع الإثم عن المضطر ترك العدوان وكان العدوان في ذلك وفي غيره ربما أدى إلى القتل وتلا ذلك بما استتبعه كما تقدم إلى أن ختم بهذه الآية وختمها بمدح الصبر والصدق في دعوى الإيمان والوفاء بالعهد وكل شيء وكان من جملة ما خاف فيه أهل الكتاب العهد أمر سفك الدماء فغيروه كله أو بعضه على ما أشار إليه تعالى بقوله

٧٧ ( ) وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ( ) ٧

[البقرة : ٨٤] الآيات وكان الصبر على بذل الروح أعظم الصبر وفعله أعظم مصدق في الإيمان والاستسلام للقصاص أشد وفاء بالعهد أخبر المؤمنين بما أوجب عليهم من ذلك وما يتبعه فقال تعالى ملذذا لهم بالإقبال

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٣٨

عليهم بالخطاب) يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا الإيمان بألسنتهم ، ولما حصل التعديل بها وقع سابقا من التأديب فعلم المخاطبون أن الحكم." (١)

" صفحة رقم ٣٣٣

ثواب الدنيا (لقصور نظره على المحسوس الحاضر مع خسته كالبهائم) فعند) أي فليقبل إلى الله فإنه عند) الله) أي الذي له الكمال المطلق) ثواب الدنيا (الخسيسة الفانية) الآخرة) أي النفسية الباقية فليطلبها منه ، فإنه يعطي من أراد ما شاء ، ومن علت همته عن ذلك فأقبل بقلبه إليه وقصر همه عليه فلم يطلب إلا الباقي جمع سبحانه وتعالى له بينهما ، كمنا يجاهد الله خالصا ، فإنه يجمع له بين الأجر والمغنم ، وما أشد التئامها مع ذلك بما قبلها ، لأن من كان تام القدرة واسع الملك كان كذلك .

ولما كان الناشيء عن الإرادة إما قولا أو فعلا ، وكان الفعل قد يكون قلبيا قال : (وكان الله) أي المختص بجميع صفات الكمال) سميعا) أي بالغ السمع لكل قول وإن خفي ، نفسيا كان أو لسانيا) بصيرا) أي بالغ البصر لكل ما يمكن أن يبصر من الأفعال ، والعلم بكل ما يبصر وما لا يبصر منها ومن غيرهان فيكون من البصر ومن البصيرة ، فليراقبه العبد قولا وفعلا .

النساء : (١٣٥ - ١٣٦) يا أيها الذين. .. . .

) يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهدآء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملآئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (( )

ولما كان ذلك من أحسن المواعظ لقوم طعمة الذين اعتصبوا له ، التفت إليهم مستعطفا بصيغة الإيمان ، جائيا بصيغة الأمر على وجه يعم غيرهم ، قائلا ما هو كالنتيجة لام مضى من الأمر بالقسط من أول السورة إلى هنا على وجه أكده وحث عليه : (يأيها الذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان بألسنتهم) وكونوا قوامين) أي قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه .

ولما كان أعظم مباني هذه السورة العدل قدمه فقال : (بالقسط (بخلاف ما يأتي في المائدة فإن النظر فيها إلى الوفاء الذي إنما يكون بالنظر إلى الموفي له) شهداء) أي حاضرين متيقظين حضور المحاسب لكل شيء أردتم الدخول فيه) لله) أي لوجه الذي كل شيء بيده لا لشيء غيره) ولو (طان ذلك القسط

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٣٣٠

) على أنفسكم) أي فإني لا أزيدكم بذلك إلا عزاء ، وإلا تفعلوا ذلك قهرتكم على الشهادة على أنفسكم على رؤوس الأشهاد ، فضحتم في يوم يجتمع فيه الأولون والآخرون من جميع العباد .

ولما كان ذكر أعز ما عند الإنسان أتبعه ما يليه وبدأ منه بمن جمع إلى ذلك." (١)

" صفحة رقم ١٥٩

ولما كان كأنه قيل : ما لهم رضوا لأنفسهم بطريق جهنم ؟ قيل : (لهم (ولما كان السياق للتفكير ، بدأ بالقلوب فقال : (قلوب لا يفقهون بها) أي الفقه الذي كلفوا به ، **وهو النظر في** أدلة التوحيد وثبوت النبوة وما تفرغ عن ذلك ، وههو الفقه المسعد ، عد غيره عد غيره عدما لأنه لم ينفعهم النفع المقصود في الحقيقة ، وما أحسن التعبير بالفقه في السياق إقامه الأدلة التي منها إرسال الرسل وإنزال الكتب ولما **كان البصر أعم** من السمع ، لأنه ينتفع به الصغير الذي لا يفهم القول ، وكذا كل من في حكمه ، قدمه فقال : (ولهم أعين (ولما لم يترتب عليهما الإبصار النافع في الآخرة الباقية ، نفى إبصارهم وإن كانوا أحد الناس إبصارا فقال : (لا يبصرون بها) أي الآيات المرئية إبصار تفكر واعتبار) ولهم آذان (ولما لم يتؤتب على سمعها ما ينفعهم ، نفاه على نحو ما مضى فقال : (لا يسمعون بها) أي الآيات المسموعة وما يدل عليها سماع ادكار وافتكار ، ولما سلبت عنهم هذه المعاني كانت النتيجة : (أولئك) أي البعداء من المعاني الإنسانية) كالأنعام) أي في عدم الفقه ، ولما كانوا قد زادوا على ذلك تفقد نفع السمع والبصر قال : (بل هم أضل (لأنهم إما معاند وإما جاهل بما يضره وينفعه ، والأنعام تهرب إذا سمعت صوتا منكرا فرأت بعينها أنه يترتب عليه ضرها ، وتنتظر ما ينفعها من الماء والمرعى فتقصده ، والأنعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه .

وهؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوا فنزلوا عن رتبتها درجة كما أن من طلب الكمال وسعى له سعيه مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملائكة بما قاسى من الجهاد .

ولما تشاركوا الأنعام بهذه في الغفلة وزادوا عليها ، أنتج ذلك قطعا على طريق الحصر : (أولئك) أي البعداء البغضاء) هم) أي خاصة) الغافلون / (لا الأنعام ، فإنها – وإن كانت غافلة عما يراد بها – غير خالدة في العذاب ، فلم تشاركهم في العمى والصمم عما ينفعها ولا في الغفلة عن الخسارة الدائمة ، فقد أشارت الآية إلى تفصيل الإنسان على الملك كما اقتضيته سورة الزيتون ، لأنه جعل في خلقه وسطا بين الملك الذي هو عقل صرف والحيوان الذي هو شهوة مجردة ، فإن غلب عقله كان أعلى بما عالجه من

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٣٣/٢

جهاد الشهوات فكان في

٧٧ ( ) أحسن تقويم ( ) ٧

[التين : ٥] وإن غلبت شهوته كان اسفل من الحيوان بما أضاع من عقله فكان

٧٧ ( ) أسفل سافلين ( ) ٧

[التين : ٥] ولما أنتج هذا أن لهم الأسماء السوأى ولمعبوداتهم أسوأ منها ، عطف عليه دفعا لوهم من يتوهم بالحكم بالضلال والذرء لجهنم مالا يليق ، وتنبيها على أن الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله ودعائه – قوله : (ولله) أي الملك الأعلى المحيط." (١)

" صفحة رقم ١٦٣

السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شآء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ٧٣

( ) ٧١

ولما **كان النظر في** امر النبوة مفرعا على تقرير أدلة التوحيد ، وكان المقصود من الإنذار الرجوع عن الإلحاد ، قال منكرا عليهم **عدم النظر في** دلائل التوحيد الراد عن كل حال سيئ : (أولم (ولما كان الأمر واضحا قال : (ينظرون) أي نظر تأمل اعتبار ، ودل على أنه بالبصيرة **لا البصر بالصلة** ، فقال إشارة إلى كل ذرة فيها دلائل جمة) في ملكوت (وعظم الأمر بقوله : (السموات والأرض) أي ملكها البالغ من حد العظمة أمرا باهرا بظاهرة الذي يعرفونه وباطنه الذي يلوح لهم ولا يدركونه .

ولما كانت ادلة التوحديد تفوت الحصر ، ففي ك‍ل ذرة برهان قاهر ودليل ساطع باهر ، قال ؛) وما) أي وفيما) خلق الله) أي على ما له من الجلال والجمال) من شيء) أي غيرهما ، ليعلموا أنه لا يقدر على شيء من ذلك فضلا عن ذلك غيره ، ويتحققوا أن كتابه سبحانه مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا أنه صفته سبحانه وكلامه ، فلا يلحدون في أسمائه فلا يسموا بشيء منها غيره لما ظهر لهم من تمام قدرته وتمام عجز غيره عن كل شيء ومن شمول علمه وتناهي جهل غيره بكل شيء أنه قهار شديد ، وبعجزه كل شيء عن كل شيء من أمره أنه عزيز ، وبإسباغه النعمة أنه رحيم كريم إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تنطق الأشياء بها بألسنة الأحوال وتتحدث بها صدور الكائنات وإن لم يكن لها مقال ، ويشرحها

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١٥٩/٣

كلام التدبير بما له من الكمال) وأن عسى) أي وينظرون في الإشقاق والخوف من أنه ممكن وخليق وجدير) أن يكون قد اقترب) أي دنا دنوا عظيما) أجلهم) أي الذي لا شك عندهم في كونه بموته من موتان هذه الأمم التي أسلفنا اخبارهم كنفس واحدة أو بالتدريج فيبادروا بالإيمان به خشية انخرام الأجل للنجاة من أعظم الوجل ، فإن كل عاقل إذا جوزخطراينبغي له ان ينظر في عاقبته ويجتهد في الخلاص منه ولما كان قدم في أول السورة النهي عن التحرج من الإنذار بهذا الكتاب ، وبان بهذه الآيات أنه (صلى الله عليه وسلم) اتصف بالإنذار به حق الاتصاف ، وبان أن القرآن مباين لجميع المخلوقات ، فثبت أنه كلام الله ؛ تسبب عن ذلك الإنكار على من يتوقف عن الإيمان به ، والتخويف من إحلال أجله قبل ذلك فيقع فيما لا يمكنه تداركه ، وذلك في أسلوب دال على أن الإيمان بعد هذا البيان مما لا يسوغ التوقف فيه إلا لانتظار كلام آخر فقال :." (١)

" صفحة رقم ١٠

[هود : ١٢١] فلن نصبر عليكم مدة صبر يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام ، فقد وضح بفضل الله وجه ورود هذه السورة عقب سورة هود – والله أعلم .

انتهى .

يوسف : (٤ – ٥) إذ قال يوسف. .. . .

) إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يبني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين (( )

ولما تم ما أراد تعالى من تعليل الوصف بالمبين أبدل من قوله (أحسن القصص) قوله : (إذ) أي نقص عليك خبر إذ ، أي خبر يوسف إذ) قال يوسف) أي ابن يعقوب إسرائيل الله عليهما الصلاة والسلام) لأبيه (ومن بين أدبه بقوله – مشيرا بأداة البعد إلى أن أباه عالي المنزلة جدا ، وإلى أن الكلام الآتي مما له وقع عظيم ، فينبغي أن يهتم بسماعه والجواب عليه ، وغير ذلك من أمره : (يأبت (تاءه للتأنيث لأنه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء ، وكسرتها عند من كسر دالة على ياء الإضافة التي عوض عنها تاء التأنيث ، واجتماع الكسرة معها كاجتماعها مع الياء ، وفتحها عند من فتح عوض عن الألف القائمة مقام ياء الإضافة .

ولما كان صغيرا ، وكان المنام عظيما خطيرا ، اقتضى المقام التأكيد فقال : (إني رأيت) أي في منامي ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١٦٣/٣

فهو من الرؤيا التي هي رؤية في المنام ، فرق بين حال النوم واليقظة في ذلك بألف التأنيث) أحد عشر كوكبا) أي نجما كبيرا ظاهرا جدا مضيئا براقا ، وفي عدم تكرار هذه القصة في القرآن رد على من قال : كررت قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تمكينا لفصاحتها بترادف السياق ، وفي تكرير قصصهم رد على من قال : إن هذه لم تكرر لئلا تفتر فصاحتها ، فكأن عدم تكريرها لأن مقاصد السور لم تقتض ذلك - والله أعلم .

ولما كان للنيرين اسمان يخصمانهما هما في غاية الشهرة ، قال معظما لهما : (والشمس والقمر (ولما تشوفت النفس إلى الحال التي رآهم عليها ، فكان كأنه قيل : على أي حال ؟ وكانت الرؤيا **باطن البصر الذي** هو **باطن النظر** ، فكان التعبير بها للإشارة إلى غرابة هذا الأمر ، زاد في الإشارة إلى ذلك بإعادة الفعل ، وألحقه ضمير العقلاء لتكون دلالته على كل من عجيب أمر الرؤيا ومن فعل المرتى الذي لا يعقل فعل العقلاء من وجهين فقيل : (رأيتهم لي) أي خاصة) ساجدين (أجراهم مجرى العقلاء لفعل العقلاء .

فكأنه قيل : ماذا قال له أبوه ؟ فقيل : (قال (عالما بأن إخوته سيحسدونه على ما تدل عليه هذه الرؤيا إن سمعوها) يانبي (فبين شفقته عليه ، وأكد النهي بإظهار." (١)

" صفحة رقم ٣٦٧

كما أن القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك : ثم ذكر بعض المنافع المترتبة على ذلك ، فقال تعالى : (لتبتغوا) أي تطلبوا طلبا شديدا) فضلا من ربكم) أي المحسن إليكم فيهما بضياء هذا تارة وبرد هذا أخرى) ولتعلموا (بفصل هذا من هذا) عدد السنين) أي من غير حاجة إلى حساب ، لأن النيرين يدلان على تحول الحول بمجرد تنقلهما .

ولما كانا أيضا يدلان على حساب المطالع والمغارب ، والزيادة والنقصان ، وغير ذلك من الكوائن ، لمن **أمعن النظر** ، وبالغ في الفكر ، قال تعالى : (والحساب) أي جنسه ، فصلناهما لذلك على هذا الوجه المتقن بالزيادة والنقصان ، وتغير الأحوال في أوقات معلومة ، على نظام لا يختل على طول الزمان مقدار ذرة ، ولا ينحل قيس شعرة إلى أن يريد الله خراب العالم وفناء الخلق ، فيبيد ذلك كله في أسرع وقت وأقرب زمن ، ولولا اختلافهما لا ختلطت الأوقات وتعطلت الأمور) وكل شيء (غيرهما مما تحتاجون إليه في دينكم أو دنياكم) فصلناه) أي بعظمتنا ، وأزلنا ألباسه ، وأكد الأمر تنبيها عل تمام القدرة ، وأنه لا يعجزه

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/ ١٠

شيء يريده ، فقال تعالى : (تفصيلا (فانطروا بأبصاركم وبصائركم ، وتتبعوا في علانياتكم وسرائركم ، وتجدوا أمرا متقنا ونظاما محكما

٧٧ ( ) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ( ) ٧

[الملك : ٤] .

ولما كان هذا أمر دقيقا جدا ، أتبعه ما هو أدق منه وأغرب في القدرة والعلم من تفاصيل أحوال الآدميين ، بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل أن يخلقهم ، فقال تعالى : (وكل إنسان) أي من في طبعه التحرك والاضطراب) ألزمناه) أي بعظمتنا) طائره) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر ، ولعله عبر به لأنهم كانوا لا يقدمون ولا يحجمون في المهم من أعمالهم إلا بالطائر فيقولون : جرى لفلان الطائر بكذا .

) في عنقه) أي الذي محل الزين بالقِلادة ونحوها ، والشين بالغل ونحوه ، إلزاما لا يقدر أن ينفك عن شيء منه كما لا يقدر على الانفكاك عن العنق ، وذلك كما ألزمنا بني إسرائيل ما قضينا إليهم في الكتاب ، فكان كما قلنا ، وهم يعلمون نه من السوء بمكان ، فلم يقدروا على الاحتراز منه والانفصال عنه ، فلا يمكن أن يظهر في الأبد إلا ما قضى به في الأزل (جف القم بما هو كائن)) ونخرج) أي بما لنا من العظمة وشمول العلم وتمام القدرة) له يوم القيامة) أي الذي لا بد من إيجاده) كتابا (بجميع ما عمل) يلاقه (حال كونه) منشورا (تكتبه حفظتنا كل يوم ، ثم إذا صعدوا قابلوا ما فيه على ما سطرناه قديما في اللوح المحفوظ فيجدونه كما هو ، لا خلاف فيه أصلا ، فإذا لقي كتابه يوم العرض قيل له : (اقرأ كتابك (أنت بنفسك غير ملزم بما يقرأه غيرك) كفى (."(١)

" صفحة رقم ٥٠٨

يكون بعده إلى حصول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره ؛ ولما كان ذلك أمرا عظيما ، دل عليه بالنون فقال عاطفا على تقديره : فقد بان أمر ذي القرنين أي بيان ، وصدق في قوله) فإذا جاء وعد ربي (فإنه إذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا التي نؤتيها ليأجوج ومأجوج دكاء فأخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال : (وتركنا بعضهم) أي بعض من خلف السد ومن أمامه) يومئذ) أي إذ جعلنا السد دكاء وخرجوا مقدمتهم بالشام وساقتطهم بخراسان ، وهم – كما قال الله تعالى –) من كل حدب ينسلون (.

) يموج) أي يضطرب) في بعض (كما يموج البحر ، فأهلكوا ما مروا عليه من شيء إلا ما اراد الله ، ثم أبادهم الذي خلقهم وبقرب ذلك أفنى الخلائق أجمعين) ونفخ في الصور) أي النفخة الثانية لقوله : (

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٧/٤

فجمعناهم (ويجوز أن تكون هذه الفاء الفصيحة فيكون المراد النفخة الأولى ، أو وانفخ في الصور فمات الخلائق كلهم ، فبليت أجسامهم ، وتفتت عظامهم ، كما كان من تقدمهم ، ثم نفخ فيه النفخة الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه ، وتفرقهم في اقطار الأرض بالسيول والرياح وغير ذلك) جمعا (فأقمناهم دفعة واحدة **كلمح البصر** ، وحشرناهم إلى الموقف للحساب ثم العقاب أو الثواب) وعرضنا (أي أظهرنا) جهنم يومئذ) أي إذ جمعناهم لذلك) للكافرين عرضا (ظاهرا لهم كل ما فيها من الأهوال وهم لا يجدون عنها مصرفا ؛ ثم وصفهم بما أوجب سجنهم فيها وتجهمها لهم فقال : (الذين كانت (كونا كأنه جبلة لهم) أعينهم (الوجهية و القلبية) في غطاء عن ذكري (**بعدم النظر فيما** جعلنا على الأرض من زينة دليلا على الساعة بإفنائه إثر إحيائه وإعادته بعد إبدائه) وكانوا (بما جبلناهم عليه) لا يستطعون) أي استطاعة عظيمة تسعدهم ، لضعف عقولهم ، وغرق استبصارهم في فضولهم) سمعا (لآياتي التي تسمع الصم وتبصر الكمه ، وهو أبلغ في التبكيت بالغباوة والتقريع بالبلادة من مجرد **نفي البصر والسمع** ، لأن ذلك لا ينفي الاستطاعة ؛ ثم عطف على ما أفهمه ذلك قوله موبخا لهم ومبكتا : (أفحسب) أي أغطوا أعينهم عن آياتي وأصموا أسماعهم عن كلماتين وعبدوا عبادي فحسبوا لضعف عقولهم ، وإنما قال : (الذين كفروا (دلالة على الوصف الذي أوجب لهم ذلك) أن يتخذوا) أي ولو بذلوا الجهد) عبادي (من الأحياء كالملائكة وعزير والمسيح ، والأموات كالأصنام .

ولما كان كل شيء دونه سبحانه ، وكان لا يستغرق شيء من الأشياء جميع ما دون رتبته من المراتب ، أثبت الجار فقال : (من دوني أولياء) أي مبتدئين اتخاذهم من دون إذني ، والمفعول الثاني ل) حسب (محذوف تقديرهك ينصرونهم ويدفعون عنهم." (١)

" صفحة رقم ٢٥٤

كان المراد المبالغة في العلم ، قدم الجار ليصير كما إذا سألت شخصا عن علم شيء فقال لك : ما أعلم غيره ، فقال : (بما تعملون) أي وإن التبس أمره على أحذق الخلق) عليم (لا يخفى عليه شيء منه وإن دق ، فإياكم ومشتبهات الأمور ، فإذا وقفتم للاستئذان فلا تقفوا تجاه الباب ، ولكن على يمينه أو يساره ، لأن الاستئذان إنما جعل من **أجل البصر** ، **وتحاموا النظر غلى** الكوى التي قد ينظر منها أحد من أهل البيت ليعرف من على الباب : هل هو ممن يؤنس به فيؤذن له ، أو لا فيرد ، ونحو هذا من أشاكله مما لا يخفى على متشرع فطن ، يطير طائر فكره في فسيح ما أشار إليه مثل قوله صلى الله عليه السلام : (إذا

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٥٠٨

حدث الرجل فالتفت فهي أمانة) وراه أحمد وأبو داود والترميذي عن جابر رضي الله عنه .

النور : (٢٩ - ٣١) ليس عليكم جناح. .. . .

) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آبآء بعولتهن أو أبنآئهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسآئهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسآء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (( )

ولما كان من الأمكان التي قد لا يوجد بها أحد ما يباح الدخول إليه لخلوه أو عدم اختصاص النازل به كالخانات والربط ، أتبع ما تقدم التعريف بأنه لم يدخل في النهي فقال مستأنفا : (ليس عليكم جناح) أي ميل بلوم أصلا) أن تدخلوا بيوتا (كالخانات والربط) غير مسكونة (ثم وصفها بقوله : (فيها متاع) أي استمتاع بنوع انتفاع كالاستظلال ونحوه) لكم (ويدخل فيه المعد للضيف إذا أذن فيه صاحبه في أول الأمر ووضع الضيف متاعه فيه ، لأن الاستئذان لئلا يهجم على ما يراد الاطلاع عليه ويراد طيه عن علم الغير ، فإذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان .." (١)

" صفحة رقم ٢٥٧

آذن الله في هلاكها) رواه الطبراني عن ابن عبايس رضي ا لله عنهما ، وأما المعنوي فروى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : (ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها) قال ابن كثير : وروى هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم ولكن في أسانيدها ضعف .

وساق له شاهداص من الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ : (إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم ، من ترها مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه) فعلم من ذلك أن من تخلق بما أمره الله هنا كان قلبه موضعا للحكمة ، وفعله أهلا للنجح ، وذكره مقرونا بالقبول .

ولما كان الزكاء يتضمن التكثير والتطهير ، وكان الكلام هنا في **غض البصر** ، وكان ظاهرا جدا في الطهارة

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٢٥٤

، لم يدع داع إلى التأكيد بالتصريح بالطهارة ، وأما آية البقرة فلما كانت في العضل ، وكان لا يكون إلا عن ضغائن وإحن فكان الولي رما ظن أن منعها عمن عضلها عنه أطهر له ولها .

أكد العبارة بفعل الزكاء بالتصريح بما أفهمه من الطهارة .

ولما كان المقام صعبا لميل النفوس غلى الدنايا واتباعها للشهوات ، علل هذا الأمر مرغبا ومرهبا بقوله : (إن الله (اي الذي لا يخفى عليه شيء لما له نم الإحاطة الكاملة) خبير (ولما كان وازع الحياء مع ذلك مانعا عظيما فلا يخالف إلا بمعالجة وتدرب ، عبر بالصنعة فقال : (بما يصنعون) أي وإن تناهوا في إخفائه ، ودققوا في تدبير المكر فيه .

ولما بدأ بالقومة من الرجال ، ثنى بالنساء فقال : (وقل للمؤمنات (فرغب أيضا بذكر هذا الوصف الشريف) يغن (ولما كان المراد الغض عن بعض المبصرات وهم المحارم قال : (من أبصارهن (فلا يتبعنها النظر إلى منهي عنه رجل أو غيره ، وأجابوا عن حديث عائشة رضي الله عنها في النظر إلى لعب الحبشة في المسجد باحتمال أنها كانت دون البلوغ لأنها قالت : فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

) ويحفظن فروجهن (عما لهن من كشف وغيره .." (١)

" صفحة رقم ٣٢٣

فكذلك الإنسان – وإن كان عاقلا ذا بصيرة – لا تدرك بصيرته المعاني المعلومات على ما هي عليه ما لم يشرق عليها نور الإيمانن لأن البصيرة عين الروح كما أن البصر عين الجسد ؛ ولما كان من المعلوم أنهم يسمعون ويعقلون وأن المنفي إنما هو انتفاعهم بذلك ، كان موضع عجب من صرفهم عن ذلك ، فعبق سبحانه بتصرفه في الأمور الحسية مثالا للأمور المعنوية ، ولأن عمله في الباطن ينيره إذا شاء بشمس المعارف كعمله في الظاهر سواء ، دليلا على سلبهمالنفع بما أعطاهموه .

الفرقان : (٤٥ – ٤٦) ألم تر إلى. .. . . .

) ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شآء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا (( )

ولما بين جمود المعترضين على دلائل الصانع ، وتناهي جهاهم ، وفساد طريقتهم ، وكان المراد من العبد في تعرف ذلك أن ينظر في أفعال سيده بعين الحقيقة نظرا تفنى لديه الأغيار ، فلا يرى إلا الفاعل المختار

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٥٧/٥

، خاطب رأس المخلصين الناظرين **هذا النظر** ، حثا لأهل وده على مثل ذلك ، فقال ذاكرا لأنواع من الدلائل الدالة على وجود الصانع ، وإحاطة علمه ، وشمول قدرته ، مشيرا إلى أن الناظر في هذا الدليل – لوضوحه في الدلالة على الخالق – كالناظر إلى الخالق ، معبرا بوصف الإحسان تشويقا إلى **إدامة النظر إليه** والإقبال عليه : (إلم تر) وأشار إلى عظم المقام وعلو الرتبة بحرف الغاية مع أقرب الخلق منزلة وأعلاهم مقاما فقال : (إلى ربك) أي المحسن إليك ، والأصل : إلى فعله ؛ وأشار إلى زيادة التعجب من أمره بجعله في معرض الاستفهام فقال : (كيف مد الظل (وهو ظلمة ما منع ملاقاة نور الشمس ، قال أبو عبيد : وهو ما تنسخه الشمس وهو بالغداة ، والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال .

والظل هنا الليل لأنه ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها مدة تحجب نورالشمس بما قابل قرصها م ن الأرض حتى امتد بساطه ، وضرب فسطاطه ، كما حجب ظل ضلالهم أنوار عقولهم ، وغفلة طباعهم نفوذ أسماعهم) ولو شاء لجعله) أي الظل) ساكنا (بإدمة الليل لا تذهبه الشمس كما في الجنة لقوله)) وظل ممدود ( ) [الواقعة : ٣٠] وإن كان بينهما فرق ، ولكنه لم يشأ ذلك بل جعله متحركا بسق الشمس له .

ولما كان إيجاد النهار بعد إعدامه ، وتبيين الظل به غب إبهامه ، أمرا عظيما ، وإن كان قد هان بكثرة الإلف ، أشار بأداة التراخي ومقام العظمة فقال : (ثم جعلنا) أي لشيء ظلا ، ولولا النور ما عرف الظلام ، والأشياء تعرف بأضدادها .." (١)

" صفحة رقم ٢٤٧

مع شدة عطشه مانع عظيم أقمحه ، ولكنه خفي أمره فلم يعلم ما هو ، ولذلك بنى الاسم للمفعول إشارة إلى أنهم مقهورون على تفويت حظهم من هذا الأمر الجليل .

ولما كان الرافع رأسه غير ممنوع **من النظر أمامه** قال : (وجعلنا) أي بعظمتنا .

ولما كان المقصود حجبهم عن خير مخصوص ، وهو المؤدي إلى السعادة الكاملة لا عن كل ما ينفعهم ، أدخل الجار فقال : (من بين أيديهم) أي الوجه الذي يمكنهم علمه) سدا (.

ولما كان الإنسان إذا انسدت عليه جهة مال إلى أخرى قال : (ومن خلفهم) أي الوجه الذي هو خفي عنهم ، وأعاد السد تأكيدا لإنكارهم ذلك وتحقيقا لجعله فقال : (سدا) أي فصارت كل جهة يلتفت إليها منسدة ، فصاروا لذلك لا **يمكنهم النظر إلى** الحق ولا الخلوص إليه ، فلذلك قال : (فأغشيانهم)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٣٢٣

أي جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة غشاوة) فهم) أي بسبب ذلك) لا يبصرون) أي لا يتجدد لهم هذا الوصف من إبصار الحق وما ينفعهم ببصر ظاهر وبصيرة باطنة أصلا .

ولما منعوا بذلك **حس البصر** ، أخبر عن حس السمع فقال : (وسواء) أي مستو ومعتدل غاية الاعتدال من غير نوع فرق ؛ وزاد في الدلالة على عدم عقولهم بالتعبير بأداة الاستعلاء إيذانا بأنهم إذا امتنعوا مع المستعلي كانوا مع غيره أشد امتناعا فقال : (عليهم ءأنذرتهم) أي ما أخبرناك به من الزواجر المانعة من الكفر) أم لم تنذرهم (ثم بين أن الذي استوى حالهم فيه بما سببه الإغشاء عدم الإيمان ، فقال مستانفا : (لا يؤمنون (ولما بين ما كان السبب المانع لهم من الإبصار ، علم أن السبب المانع من السمع مثله ، لأن المخبر عزيز ، فهو إذا فعل شيئا كان على وجه لا يمكن فيه حيلة .

ولما أخبر أن الأكثر بهذه الصفة ، استشرف السامع إلى إمارة يعرف بها الأقل الناجي لأنه المقصود بالذات فقال جوابا له : (إنما تنذر) أي إنذارا ينتفع به المنذر فيتأثر عنه النجاة ، فالمعنى : إنما يؤمن بإنذارك) من اتبع الذكر) أي أجهد نفسه في اتباع كل ما يذكر بالله من القرآن وغيره ويذكر به صاحبه ويشرف) وخشي الرحمن) أي خاف العام الرحمة خوفا عظيما ، ودل لفت الكلام عن مظهر العظمة إلى الوصف بالرحمانية على أن أهل الخشية يكفيهم في الاتعاظ التذكير بالإحسان) بالغيب) أي بسبب ما يخبر به من مقدوراته الغائبة لا سيما البعث الذي كان اختصاصها بغاية بيانه بسبب كونها قلبا من غير طلب آية كاشفة للحجاب بحيث يصير الأمر عن شهادة لا غيب فيه ، بل تجويزا لما يجوز من انتقامه ولو بقطع إحسانه ، لما ثبت له في سورة فاطر من القدرة والاختيار ، ويخشاه أيضا خشية خالصة في حال غيبته عمن يرائيه من الناس ، فهؤلاء هم الذين ينفعهم الإنذار ، وهو المتقون الذين ثبت في البقرة أن الكتاب هدى لهم ، وغيرهم لا." (١)

" صفحة رقم ٢٧١

النفس وبهجة العين **بانفساح البصر عند مد النظر** ، قال : (على الأرائك) أي السرر المزينة العالية التي هي داخل الحجل ، قال البغوي : قال ثعلب : لا يكون أريكة حتى يكون عليها حجلة ، وقال ابن جرير : الأرائك : الحجال فيها السرر ، وروى أبو عبيد في كتاب الفضائل عن الحسن قال : كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير .

وهذا جزاء لما كانوا يلزمون المساجد ويغضون الأبصار ويضعون نفوسهم لأجلنا) متكئون (كما كانوا

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٤٧/٦

يدأبون في الأعمال قائمين بين أيدينا في أغلب الأحوال ، والاتكاء : الميل على شق مع الاعتماد على ما يريح الاعتماد عليه ، أو الجلوس مع التمكين على هيئة المتربع ، وقراءته بضم الكاف وحذف الهمزة أدل على التربع وما قاربه ، وقراءة كسر الكاف وضم الهمزة أدل على القرب من التمدد لما فيها من الكسرة ، فإنه يقال كما نقله أبو عبد الله القزاز : اتكأت الرجل اتكاء - إذا وسدته أي جعلت له وسادة ، أي محذة يستريح عليها .

يس : (٥٧ - ٦٤) لهم فيها فاكهة. .. . . .

) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (( )

ولما قدم المعاني التي توجب أكل الفاكهة ، أتى بها فقال : (لهم) أي خاصة بهم) فيها فاكهة) أي لا تنقطع أبدا ، فلا مانع لهم من تناولها ، ولا يوقف ذلك على غير الإرادة .

ولما كانت الفاكهة قد تطلق على ما يلذذ ، صرح بأن ذلك هو المراد ، فقال معبرا بالعطف لتكون الفاكهة مذكروة مرتين خصوصا وعموما : (ولهم (ولما كان السياق لأصحاب الجنة الذين تفهم الصيحة أنهم فيها دائما وإن كانوا في الدنيا ، أعري الكلام من الظرف ليفهم إجابة دعائهم في الدنيا وإنالتهم جميع مرادهم في الدارين فقال : (ما يدعون) أي الذي يطلبون طلبا أما إخراجا لما قد يهجس في النفس من غير عزم عليه إن كان المراد في الجنة من غير كلام الله كالمآكل والمشارب ونحوها ، وإما إظهار للاهتمام إن كان المراد أنه كلامه سبحانه ، وذلك لأجل ما كانوا في الدنيا يفطمون أنفسهم عن الشهوات عزوفا عما ينفى ، وطموحا إلى ما عندنا من الباقيات الصالحات ، ثم فسر يدعونه - أي يطلبونه - بغاية الاشتياق إليه أو استأنف الإخبار عنه بقوله : (سلام) أي عظيم جدا لا يكتنه وصفه ، عليكم يا أهل الجنة ، كائن هو أو." (١)

" صفحة رقم ٢٩٨

ويكون لحث أو منع ، وإنما يكون ذلك للمقدور عليه فعل ما يغضب الزاجر ، فلذلك سمى الصيحة زجرة .

ولما كان هذا الكلام مؤذنا بالغضب ، حققه بصرف الكلام عن خطابهم جعلا لهم بمحل البعد وتعميما

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧١/٦

لغيرهم ، فقال معبرا بالفاء المسببة المعقبة وأداة المفأجأة : (فإذا هم) أي جميع الأموات بضمائرهم وظواهرهم القديم منهم والحديث أحياء) ينظرون) أي في الحال من غير مهلة أصلا ، ولا فرق بين من صار كله ترابا ومن لم يتغير أصلا ، ومن هو بين ذلك ، ولعله **خص النظر بالذكر** لأنه لا يكون إلا مع كمال الحياة ، ولذلك قال (صلى الله عليه وسلم) (إذا قبض الروح **تبعه البصر**) .

وأما السمع فقد يكون لغير الحي لأنه (صلى الله عليه وسلم) قال في الكفار من قتلى بدر (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) .

وشاهدت أنا في بلاد العرقوب المجاروة لبانياس من بلاد الشام شجرة شوك يقال لها الغبيراء متى قيل عندها (هات لي المنجل لأقطع هذه الشجرة) أخذ ورقها في الحال في الذبول – فالله أعلم ما سبب ذلك .

الصافات : (٢٠ – ٢٨) وقالوا يا ويلنا. .. . . .

) وقالوا يويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين (( )

ولما حصل الغرض من تصوير حالهم بهذا الفعل المضارع ، عطف عليه بصيغة المضي التي معناها الاستقبال إعلاما بتحقق الأمر تحقق ما مضى وكان ، وتحققه مع القيام سواء من غير تخلف ولا تخلل زمان أصلا فقال : (وقالوا) أي كل من جمعه البعث من الكفرة معلمين بما انكشف لهم من أنه لا ملازم لهم غير الويل : (يا ويلنا (اي يا من ليس لنا نديم غيره) هذا يوم الدين) أي الجز اء لكل عامل .

ولما كان قولهم هذا إنما هو للتحسر على ما فاتهم من التصديق النافع به ، زادوا في ذلك بقولهم يخاطب بعضهم بعضا بدلا أو وصفا بعد وصف دالين بإعادة اسم الإشارة على ما داخلهم من الهول : (هذا يوم الفصل) أي الذي يفصل فيه بين." (١)

" صفحة رقم ٦٣١

ونواحيهم وأصقاعهم ومن نظر إلى صنائعه سبحانه تيقن وجوده وقدرته واختياره ، ثم إذا أمعن **في النظر** **وتابع** التدبر في الفكر وصل إلى معرفة الصانع بأسمائه وصفاته وما ينبغي له ويستحيل عليه فيحمده بمحامدة التي لا نهاية لها ويسبحه بسبحانه ثم إن أمعن سما إلى الوقوف على حكمة ما جاءت به الرسل

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٢٩٨

ونزلت به الكتب .

ولما كنا عالمين بأن من أوجد أشياء على ضم أشتاتهم متى شاء مع نقص التصرف والعجز في التقلب كنا جديرين بالعلم القطعي بمضمون قوله تعالى : (وهو) أي بما له من صفات العظمة التي يعلم الظاهر معها ، وما غاب عنا أكبر) على جمعهم) أي هذه الدواب من ذوي العقول وغيرهم بعد تفرقهم بالقلوب والأبدان بالموت وغيره من الحظوظ والأهواء وغير ذلك .

ولما كان الجمع لا بد منه ، عبر بأداة التحقق فقال معلقا بجمع : (إذا (**وحقق النظر إلى** البعث فعبر بالمضارع فقال : (يشاء قدير) أي بالغ القدرة كما كان بالغ القدرة عند الإيجاد من العدم بجمعهم في صعيد واحد يسمعهم الداعي **وينفذهم البصر** ، ولما ذكرهم سبحانه بنعمه ، وكان السياق لتعداد ما ناسب مقصود هذه السورة منها ، كان الفكر جديرا بأن يخطر له ما في الدنيا من الأمراض والأنكاد والهموم والفهوم بالإشقاء فيها والإسعاد ، قال شافيا لعي سؤاله عن ذلك ما فيه من نعمته على وجه دال على تمان قدرته ، عاطفا على ما هو مضمون ما مضى بما تقديره : فهو الذي خلقكم ورزقكم وهو المتصرف فيكم بعد بثكم بالعافية والبلاء تمام التصرف ، فلا نعمة عندكم ولا نقمة إلا منه ، ولا يقدر أصحابها على ردها ولا رد شيء مها فهو وليكم وحده) وما أصابكم (واجههم بالخطاب زيادة في تقريب الطائع وتكبيت العاصي ، وعم بقوله : (من مصيبة (وأخبر عن المبتدأ بقوله : (فبما) أي كائن بسبب الذي – هذا على قراءة نافع وابن عامر ، وإثبات الفاء في الباقين زيادة في إيضاح السببية فقرأوا (فبما) لتضمن المبتدأ الشرط أي فهو بالذي .

ولما كانت النفوس مطبوعة النفوس مطبوعة على النقائض ، فهي لا تنفك عنها إلا بمعونة من الله شديدة ، وكان عملها كله أو جله عليها ، فعبر بالفعل المجرد إشارة إشارة إلى ذلك فقال : (كسبت (ولما كان العمل غالبا باليد قال : (أيديكم) أي من الذنوب ، فكل نكد لاحق إنما هو بسبب ذنب سابق أقله التقصير ، روى ابن ماجة في سننه وابن حبان في صحيحه – والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الإسناد – عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول." (١)

" صفحة رقم ٦٤٤

أي مكررين مما اعتراهم من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجل : (هل إلى مرد) أي رد إلى دار العمل وزمانه مخلص من هذا العذاب) من سبيل (.

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٣١/٦

الشورى : (٤٥ – ٤٨) وتراهم يعرضون عليها. .. . .

) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فمآ أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (( )

ولما أثبت رؤيتهم العذاب ، أثبت دنوهم من محله وبين حالهم في ذلك الدنو فقال : (وتراهم) أي يا أكمل الخلق ويا أيها المتشوف إلى العلم بحالهم بعينك حال كونهم) يعرضون) أي يجدد عرضهم ويكرر ، وهو إلجاؤهم إلى أن يقارنوها بعرضهم الذي يلزم محاذاتهم لها ايضا بطولهم ليعلموا أنها مصيرهم فلا مانع لها منهم) عليها) أي النار التي هي دار العذاب مكررا عرضهم في طول الموقف مع ما هم فيه من تلك الأهوال بمقاساة ما عليهم من الأحمال الثقال حال كونهم) خاشعين) أي في غاية الضعة والإلقاء باليد خشوعا هو ثابت لهم .

ولما كان الخشوع قد يكون محمودا قال : (من الذل (لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه .

ولما كان الذل ألوانا ، صوره بأقبح صورة فقال معبرا **بلفظ النظر الذي** هو **مماسة البصر لظاهر** المبصر : (ينظرون) أي يبتدئ نظرهم المتكرر) من طرف) أي تحريك للأجفان) خفي (يعرف فيه الذل لأنه لا يكاد من عدم التحديق يظن أنه يطوف لأنهم **يسارقون النظر مسارقة** كما ترى الإنسان ينظر إلى المكاره ، والصبور ينظر إلى السيف الذي جرد له فهو بحيث لا يحقق منظورا إليه ، بل ربما تخليه بأعظم مما هو عليه .

ولما صور حالهم وكان من أفظع الأشياء وأقطعها للقلوب شماتة العدو ، قال مبشرا لجميع أصناف أهل الإيمان ورادعا لأهل الكفران : (وقال) أي في ذلك الموقف الأعظم على سبيل التعبير لهم والتبكيت والتوبيخ والتقريع) الذين آمنوا) أي أوقعوا هذه الحقيقة سواء كان إيقاعهم لها في أدنى الراب أو أعلاها عند رؤيتهم إياهم على هذا الحال ، مؤكدين لتحقيق مقالهم عند من قضى بضلالهم والإعلام بما لهم من السرور بصلاح." (١)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٤٤/٦

" صفحة رقم ٢٨

بملك فهو له معين ، عطف عليه قوله معبرا عن غفلة البصيرة بالعشا الذي هو ضعف البصر تصورا لم نينسى ذكر الله بأقبح صورة تنفيرا عن ذلك) من يعش) أي يفعل فعل المعاشي ، وهو من شاء بصره بالليل والنهار أو عمي على قراءة شاذه وردت عن يعقوب بفتح الشين وركب الأمور متجاوزا) عن ذكر الرحمن (الذي عمت رحمته ، فلا رحمة على أحد إلا وهي منه كما فعل هؤلاء حين متعناهم وآباءهم حيث أبطرهم ذلك ، وهو شيء يسير جدا ، فأعرضوا عن الآية والدلائل فلم ينظروا فيها إلا نظرا ضعيفا كنظر من عشي بصره) نقيض) أي نقرر ونسلط ونقدر عقابا) له (على إعراضه عن ذكر الله) شيطانا) أي شخصا ناريا بعيدا من الرحمة يكون غالبا محيطا به مضيقا عليه مثل قيض البيضة وهو القشر الداخل) فهو له قرين (مشدود به كما يشد الأسير ، ملازم فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله ، فهو يزين له العمى ويخيل إليه أنه على عين الهدى ، كما أن من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك فهو له ولي يبشره بكل خير ، فذكر الله حصن حصين من الشطيان ، متى خرج العبد منه أسره العدو كما ورد في الحديث ، قال في القاموس : العشى مقصور : سوء البصر بالليل والنهار أو العمى ، عشى كرضى ودعا ، والعشوة بالضم والكسر : ركوب الأمر على غير بيان ، قال ابن جرير : وأصل العشو النظر بغير ثبت لعلة في العين ، وقال الرازي في اللوامع : وأصل اللغة أن العين والشين والحرف المعتل يدل على ظلام وقلة وضوح في الشيء .

ولما كانت) من (عامة ، وكان القرين للجنس ، وأفرده لأنه نص على كل فرد ، فكان التقدير : فإنهم ليحملونهم على أنواع الدنايا ويفتحون لهم أبواب الرذائل والبلايا ، ويحسنون لهم ارتكاب القبائح والرزايا ، عطف عليه قوله مؤكدا لما في أنفس الأغلب .

كما أشار إليه آخر الآية – أن الموسع عليه هو المهتدي .

جامعا دالة على كثرة الضال : (وإنهم) أي القرناء) ليصدونهم) أي العاشين) عن السبيل) أي الطريق الذي من حاد عنه هلك ، لأنه لا طريق في الحقيقة سواه .

ولما كانت الحيدة عن السبيل إلى غير سبيل ، بل إلى معاطب لا يهتدي فيها دليل ، عجبا ، أتبعه عجبا آخر فقال : (ويحسبون) أي العاشون مع سيرهم في المهالك لتزيين القرناء بإحضار الحظوظ والشهوات

وإبعاد المواعظ : (أنهم مهتدون) أي عريقون في هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين .." (١)

" صفحة رقم ٣٢٠

وزاد في تعظيمها بقوله : (إذ يغشى السدرة ما يغشى) أي يغطيها ويركبها وسمره ؟ من فراش الذهب والرفرف الأخضر والملائكة والنبق وغير ذلك فإن الغشو النبق) ما يغشى (لا تحتملون وصفه وهو بحيث يكاد أن لا يحصى ، وإليه الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث : (وغشيها ، ألا وإني لا أدري ما هي فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها) أو كما قال (صلى الله عليه وسلم) ، وأكد الرؤية وقررها مستأنفا بقوله : (ما زاغ) أي ما مال أدنى ميل) **البصر**) أي الذي لا بصر لمخلوق أكمل منه ، فما قصر **عن النظر فيما** أذن له فيه ولا زاد) وما طغى) أي تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم ، وفيه من العجائب ما يحير الناظر ، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل ، فأثبت ما رآه على حقيقته ، وكما قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه : وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية ، وهذه غامضة من غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكارا لم يقع لهم في غيره مثله ، زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال : (لقد رأى) أي أبصر بسبب ما أهلناه له من الرسالة إبصارا ساريا إلى البواطن غير مقتصر على الظواهر) من آيات ربه) أي المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد قبله ولا يصل إليه أحد بعده ، ومن ادعى ذلك فهو كافر) الكبرى (من ذلك ما رآه في السموات من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام إشارة بكل شيء إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة ، وقال الإمام أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف : والذي أقول في هذا أن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبيا بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي في شده أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن والحديث ، وحديث الإسراء كان بمكة ، ومكة حرم الله وأمنه ، وقطانها جيران الله لأن فيها بيته ، فأول ما رأى (صلى الله عليه وسلم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آدم عليه الصلاة والسلام الذي كان في أمن الله وجواره ، فأخرجه إبليس عدوه منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي (صلى الله عليه وسلم) حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته ، فكر به ذلك وغمه فأشبهت

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٨/٧

قصته في هذا قصة آدم عليه الصلاة والسلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم ، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها ، كما قال الله تعالى ، ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام." (١)

" صفحة رقم ٦٨

الكلام : (**فارجع البصر**) أي بعد ترديدك له قبل ذلك ، ودل بتوجيه الخطاب نحو أكمل الخلق (صلى الله عليه وسلم) في السمع والبصر والبصيره وكل معنى إلى أن ذلك لا شبهة فيه .

ولما كان السؤال عن الشيء يدل على شدة الاهتمام بالبحث عنه ، نبه على أن هذا مما اشتدت عناية الأولين به فقال : (هل ترى) أي في شيء منها .

ولما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي ، أعرق في النفي بقوله : (كم فطور) أي خلل بشقوق وصدوع أو غيرها لتغاير ما هي عليه لتغاير ما هي عليه وأخبرت به من تناسبها واستجماعها واستقامتها ما يحق لها مما يدل على عزة ما فيها وبليغ غفرانه ، وهذا أيضا يدل على إحاطة كل منها بما دونه فإنه لو كان لها فروج لفاتت المنافع التي رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها أو بعضها أو كمالها ، فالهواء وجميع المنافع منحبسة فيها محوطة بها مضطربة متصرفة فيها على حسب التدبير والحيوان في الهواء كالسمك في الماء ، أو انحبس الهواء عنه لمات كما أنه لو انكشف الماء عن السمك لمات .

الملك : (٤ - ٧) ثم ارجع البصر. .. . . .

) ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير ولقد زينا السمآء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذآ ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور (( )

ولما كان في سياق المجازاة بالأعمال الصالحة والطالحة التي دل عدم الانتصاف من الظالمين في هذه الدار على أنها تكون بعد البعث وكانت العزة مقتضية لذلك ، وكان خلقه سبحانه وتعالى هذا الوجود على هذا النظام مثبتا لها ، واكنت أعمالهم أعمال المنكر لها ، ولا سيما تصريحهم بأنه لا بعث ، دل على عظمة عزته بما أبدعه من هذا السقف الرفيه البديع ، ثم بجعله محفوظا هذا الحفظ المنيع ، على تعاقب الأحقاب وتكرر السنين ، فقال معبرا بأداة التراخي دالا على جلاله بإدامة التكرير طول الزمان : (ثم **ارجع البصر**) وأكد ماأفهمته الآية من طلب التكرير بقوله تعالى : (كرتين) أي مرتين أخريين - هذا مدلولها

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٧/٣٢٠

لغة ، وبالنظر إلى السياق علم أن المرد مرة بعد مرة لا تزال تكرر ذلك لارتياد الخلل لا إلى نهاية ، كما أن (لبيك) مراد به به إجابة إلى غير غاية ، وعلى ذلك دل قوله سبحانه وتعالى : (ينقلب إليك) أي من غير اختيار بل غلبة وإعياء وانكسار) **البصر خاسئا**) أي صاغرا مطرودا ذليلا بعيدا عن إصابة المطلوب) وهو) أي والحال أنه) حسير) أي كليل تعب معيى من طول المعاود **وتدقيق النظر وبعد** المسرح ، وإذ كان هذا الحال في بعض المصنوع فكيف يطلب العلم بالصانع في كماله من جلاله وجماله ، فكيف بمن يتفوه بالحلول أو الاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد .." (١)

"فلذلك صرفت وهذه نذارة من نوح لقومه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا وسواعا ويغوث ويعوق وغيرها مما لم يشتهر وقرأ الكسائي وحده غيره بالكسر من الراء على النعت ل " إله " وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وأبي جعفر وقرأ الباقون غيره بالرفع وقرأ حمزة والكسائي هل من خالق غير الله خفضا وقرأ الباقون غير الله رفعا والرفع في قراءة الجماعة هنا على البدل من قوله " من إله " لأن موضع قوله " من إله " رفع وهو الذي رجح الفارسي ويجوز أن يكون نعتا على الموضع لأن التقرير ما لكم إله غيره أو يقدر غير ب إلا فيعرب بإعراب ما يقع بعد إلا وقرأ عيسى بن عمر غيره بنصب الراء على الاستثناء قال أبو حاتم وذلك ضعيف من أجل النفي المتقدم وقوله " عذاب " يحتمل أن يريد به عذاب الدنيا ويحتمل أن يريد به عذاب الآخرة

و " الملأ " الجماعة الشريفة قال الطبري لا امرأة فيهم وحكاه النقاش عن ثعلب في الملأ والرهط والنفر والقوم وقيل هم مأخوذون من أنهم يملؤون النفس والعين ويحتمل أن يكون من أنهم إذا تمالؤوا على أمر تم وقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري عند قفول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر إنما قتلنا عجائز صلعا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (أولئك الملأ من قريش لو حضرت أفعالهم لاحتقرت فعلك)

والملأ صفة غالبة وجمعه أملاء وليس من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع لأن رهط لا واحد له من لفظه وملأ يوجد من لفظه مالىء قال أحمد بن يحيى المالىء الرجل الجليل الذي يملأ العين بجهرته فيجيء كعازب وخادم ورائح فإن أسماء جموعها عرب وخدم وروح وإن كانت اللفظة من تمالأ القوم على كذا فهي مفارقة باب رهط ومنه قول علي رضي الله عنه ما قتلت عثمان ولا مالأت في دمه وقال ابن عباس الملؤ بواو وكذلك هي في مصاحف الشام وقولهم لنراك يحتمل أن يجعل من **رؤية البصر ويحتمل** من رؤية

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٨/٨

القلب وهو الأظهر و " في ضلال " أي في إتلاف وجهالة

بما تسلك

وقوله لهم جوابا عن هذا " ليس بي ضلالة " مبالغة في حسن الأدب والإعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة وقوله " ولكني رسول " تعرض لمن **يريد النظر والبحث** والتأمل في المعجزة

قال القاضي أبو محمد ونقدر ولا بد أن نوحا عليه السلام وكل نبي مبعوث إلى الخلق كانت له معجزة تخرق العادة فمنهم من عرفنا بمعجزته ومنهم من لم نعرف

وقرأ السبعة سوى أبي عمرو أبلغكم بشد اللام وفتح الباء بسكون الباء وتخفيف اللام وقوله صلى الله عليه وسلم " وأعلم من الله ما لا تعلمون " وإن كان لفظا عاما في كل ما علمه فالمقصود منه هنا المعلومات المخوفات عليهم لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت فاللفظ مضمن الوعيد

". (١)

"وقرأ الحسن يدعو بضم الياء وسكون الواو وأصلها يدعى ولكنها لغة لبعض العرب يقلبون هذه الألف واوا فيقولون افعو حبلو ذكرها أبو الفتح وأبو علي في ترجمة أعمى بعد وقرأ الحسن كل بالرفع على معنى يدعى كل وذكر أبو عمرو الداني عن الحسن أنه قرأ يدعى كل و " أناس " اسم جمع لا واحد له من لفظه وقوله " بإمامهم " يحتمل أن يريد باسم إمامهم ويحتمل أن يريد مع إمامهم فعلى التأويل الأول يقال يا أمة محمد ويا أتباع فرعون ونحو هذا وعلى التأويل الثاني تجيء كل أمة معها إمامها من هاد أو مضل واختلف المفسرون في الإمام فقال مجاهد وقتادة نبيهم وقال ابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم وقال ابن عباس والحسن كتابهم الذي فيه أعمالهم وقالت فرقة متبعهم من هاد أو مضل ولفظة الإمام تعم هذا كله لأن الإمام هو ما يؤتم به ويهتدى به في المقصد ومنه قيل لخيط البناء إمام قال الشاعر يصف قدحا

(وقومته حتى إذا تم واستوى

كمخة ساق أو كمتن إمام) " الطويل "

ومنه قيل للطريق إمام لأنه يؤتم به في المقاصد حتى ينهي إلى المراد وقوله " فمن أوتي كتابه

٤٧٤

بيمينه) حقيقة في أن في يوم القيامة صحائف تتطاير وتوضع في الأيمان لأهل الإيمان وفي الشمائل لأهل

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٢/٤٨٢

الكفر وتوضع في أيمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد فسيستفيدون منها أنهم غير مخلدين في النار وقوله " يقرؤون كتابهم " عبارة عن السرور بها أي يرددنها ويتأملونها وقوله " ولا يظلمون فتيلا " أي ولا أقل ولا أكثر فهذا هو مفهوم الخطاب حكم المسكوت عنه كحكم المذكور .

كقوله تعالى " فلا تقل لهما أف " وكقوله " إن الله لا يظلم مثقال ذرة " وهذا كثير ومعنى الآية أنهم لا يبخسون من جزاء أعمالهم الصالحة شيئا والفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة يضرب به المثل في القلة وتفاهة القدر وقوله " ومن كان " الآية قال محمد بن أبي موسى الإشارة بهذه إلى النعم التي ذكرها في قوله " ولقد كرمنا بني آدم " أي من عمي عن شكر هذه النعم والإيمان لمسديها فهو في أمور الآخرة وشأنها " أعمى " .

قال القاضي أبو محمد ويحتمل " أعمى " الثاني أن يكون بمنزلة الأول على أنه تشبيه **بأعمى البصر ويحتمل** ان يكون صفة تفضيل أي أشد عمى والعمى في هذه الآية هو عمى القلب في الأول والثاني وقال ابن عباس ومجاهد قتادة وابن زيد الإشارة بهذه إلى الدنيا أي من كان في هذه الدار أعمى **عن النظر في** آيات الله وعبره والإيمان بأنبيائه فهو في الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن الآخرة وإما أن يكون فهو في يوم القيامة أعمى على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح قال مجاهد فهو في الآخرة أعمى عن حجته .

". (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي ولا وجه لهذا التخصيص عندي وباقي الآية بين وظاهره التوعد وقوله تعالى " وقل للمؤمنات " الآية أمر الله تعالى النساء في هذه الآية **بغض البصر عن** كل ما يكره من جهة **الشرع النظر إليه** وفي حديث أم سلمة قالت كنت أنا وعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي عليه السلام احتجبن فقلنا أعمى فقال النبي عليه السلام أفعمياوان أنتما و " من " تحتمل ما تقدم في الأولى وحفظ الفروج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ وأمر الله تعالى بأن " لايبدين زينتهن " للناظرين إلا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية ثم استثنى ما يظهر من الزينة فاختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب وقال سعيد بن جبير الوجه والثياب وقال سعيد بن جبير أيضا وعطاء والأوزاعي الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفتخ ونحو هذا فمباح أن

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤٩١/٣

تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آخر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الفقيه الإمام القاضي ويظهر لي في محكم ألفاظ الآية المرأة مأمورة بأن لا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه فغالب الأمر أن الوجه بما فيه والكفين يكثر فيهما الظهور وهو الظاهر في الصلاة ويحسن بالحسنة الوجه أن تستره إلا من ذي حرمة محرمة ويحتمل لفظ الآية أن الظاهر من الزينة لها أن تبديه ولكن يقوي ما قلناه الاحتياط ومراعاة فساد الناس فلا

." (١)

"وقوله عز وجل " وتجعلون رزقكم انكم تكذبون " أجمع المفسرين على ان الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله الله للعباد هذا بنوء كذاوكذا وهذا ب (عثانين) الأسد وهذا بنوء الجوزاء وغير ذلك

والمعنى وتجعلون شكر رزقكم كما تقول لرجل جعلت يا فلان إحساني اليك ان تشتمني المعنى جعلت شكر إحساني

وحكى الهيثم بن عدي ان من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكره

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرؤها (وتجعلون شكركم إنكم تكذبون) وكذلك قرأ ابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان ابن عباس ضم التاء وفتح الكاف وعلي رضي الله عنه فتح التاء وسكن الكاف وخفف الذال ومن هذا المعنى قول الشاعر

٢٥٣

(وكان شكر القوم عند المنى

كي الصحيحات وفقء الأعين) " السريع "

وقد أخبر الله تعالى أنه انزل من السماء ماء مباركا فأنبت به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد فهذا معنى قوله " إنكم تكذبون " أي بهذا الخبر

وقرا عاصم في رواية المفضل عنه (تكذبون) بفتح التاء وسكون الكاف وتخفيف الدال كقراءة علي بن أبي طالب

وكذبهم في مقالتهم بين لأنهم يقولون هذا بنوء كذا وذلك كذب منهم وتخرص وذكر الطبري ان النبي عليه

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٢١٦/٤

السلام سمع رجلا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال له (كذبت بل هو رزق الله)
قال القاضي أبو محمد والنهي عنه المكروه هو ان يعتقد ان للطالع من النجوم تأثيرا في المطر واما مراعاة بعض الطوالع على مقتضى العادة فقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء يا عباس يا عم النبي عليه السلام كم بقي من نوء الثريا فقال العباس العلماء يقولون إنها تتعرض في الأفق بعد سقوطها سبعا قال ابن المسيب فما مضت سبع حتى مطروا

وقوله تعالى " فلولا إذا بلغت الحلقوم " توقيف على موضع عجز **يقتضي النظر فيه** ان الله تعالى ملك كل شيء والضمير في " بلغت " لنفس الإنسان وارمعنى يقتضيها وإن لم يتقدم لها ذكر

و " الحلقوم " مجرى الطعام وهذه الحال هي نزاع المرء للموت

وقوله " وأنتم " إشارة الى جميع البشر وهذا من الاقتضاب كقوله تعالى " ولا تقتلوا انفسكم " النساء ٢٩

وقرا عيسى بن عمر (حينئذ) بكسر النون

و " تنظرون " معناه الى المنازع في الموت

وقوله تعالى " ونحن أقرب اليه منكم " يحتمل ان يريد ملائكته ورسله ويحتمل ان يريد بقدرتنا وغلبتنا فعلى الاحتمال يجيء قوله " ولكن لا تبصرون " **من البصر بالعين** وعلى التاويل الثاني يجيء **من البصر بالقلب** وقال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء الا رأيت الله أقرب اليه مني ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية بلفظ التحضيض والمدين المملوك هذا أصح ما يقال في معنى اللفظة
". (١)

"وقوله تعالى " ليبلو " دال على فعل تقديره فينظر او فيعلم أيكم وقال جماعة من المتأولين الموت والحياة عبارة عن الدنيا والآخرة سمى هذه موتا من حيث إن فيها الموت وسمى تلك الحياة من حيث لا موت فيها فوصفهما بالمصدرين على تقدير حذف المضاف كعدل وزور وقدم " الموت " في اللفظ لأنه متقدم في النفس هيبة وغلظة و " طباقا " قال الزجاج هو مصدر وقيل هو جمع طبقة او جمع طبق مثل رحبة ورحاب او جمل وجمال والمعنى بعضها فوق بعض وقال أبان بن ثعلب سمعت اعرابيا يذم رجلا فقال (شره طباق خيره غير باق) وما ذكر بعض المفسرين في السماوات من ان بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف كله ولم يثبت بذلك حديث ولا يعلم احد من البشر حقيقة لهذا

وقوله تعالى " ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت " معناه من قلة تناسب ومن خروج عن اتقان والأمر

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٥/٢٢٩

المتفاوت هو الذي يجاوز الحدود التي توجب له زيادة او نقصانا وقرا جمهور القراء (من تفاوت) وقرا حمزة والكسائي وابن مسعود وعلقمة والأسود وابن جبير وطلحة والأعمش (من تفوت) وهما بمعنى واحد وقال بعض العلماء " في خلق الرحمن " يعني به السماوات فقط وهي التي تتضمن اللفظ وإياها أراد بقوله " هل ترى من فطور " وإياها أراد بقوله " ينقلب **اليك البصر** " الاية قالوا والا ففي الارض فطور وقال آخرون " في خلق الرحمن " يعني به جميع ما في خلق الله تعالى من الأشياء فإنها لا تفاوت فيها ولا فطور جارية على غير إتقان ومتى كانت فطور لا تفسد الشيء المخلوق من حيث هو ذلك الشيء بل هي إتقان فيه فليست تلك المرادة في الآية وقال منذر بن سعيد امر الله تعالى بالنظر الى السماء وخلقها ثم امر بالتكرير **في النظر وكذلك** جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خللا او نقصا فإن بصره ينقلب " خاسئا " حسيرا **ورجع البصر ترديده** في الشيء المبصر

وقوله "كرتين " معناه مرتين ونصبه على المصدر والخاسيء المبعد بذل عن شيء أراده وحرص عليه ومنه الكلب الخاسيء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد (اخسأ فلن تعد وقدرك) ومنه قوله تعالى للكفار الحريصين على الخروج من جهنم " اخسؤوا فيها " الؤمنون ١٠٨ وكذلك **هنا البصر يحرص** على رؤية فطور او تفاوت فلا يجد ذلك فينقلب " خاسئا " والحسير العيي الكال ومنه قول الشاعر

(لهن الوجا لم كن عونا على النوى

ولا زال منها طالح وحسير) " الطويل "

قوله عز وجل

سورة الملك ٥ - ٩

اخبر تعالى انه زين السماء الدنيا التي تلينا بمصابيح وهي النجوم فإن كانت جميع النجوم في

٣٣٩

". (١)

" صفحة رقم ٨٨

.) فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم (ولا يجوز التطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقا لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إنما جعل الاستئذان **لأجل البصر** ، إلا أن يكون مفتوحا فيجوز

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٣١١/٥

إذا كان خارجا أن ينظر لأن صاحبه بالفتح قد **أباح النظر**)) وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم (وهنا ينظر فإن كان بعد الدخول عن إذن لزم الانصراف وحرم اللبث ، وإن كان قبل الدخول فهو رد الإذن ومنع من الدخول . ولا يلزمه الانصراف عن موقفه من الطريق إلا أن يكون فناء الباب المانع فيكفي عنه ، قال قتادة : لا تقعد على باب قوم ردوك فإن للناس حاجات .

قوله تعالى :) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة (فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها الخانات المشتركة ذوات البيوت المسكونة ، قاله محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

الثاني : أنها حوانيت التجار ، قاله الشعبي .

الثالث : أنها منازل الأسفار ومناخات الرجال التي يرتفق بها مارة الطريق في أسفارهم ، قاله مجاهد .

الرابع : أنها الخرابات العاطلات ، قاله قتادة .

الخامس : أنها بيوت مكة ، ويشبه أن يكون قول مالك .

) فيها متاع لكم (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عروض الأموال التي هي متاع التجار ، قاله مجاهد .

الثاني : أنها الخلاء والبول سمي متاعا لأنه إمتاع لهم ، قاله عطاء .

الثالث : أنه المنافع كلها ، قاله قتادة ، فلا يلزم الاستئذان في هذه المنازل." (١)

" صفحة رقم ٨٩

كلها . قال الشعبي : حوانيت التجار إذنهم جاءوا ببيوتهم فجعلوها فيها وقالوا للناس : هلم .

(النور : (٣٠) قل للمؤمنين يغضوا . . . . .

" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون " (قوله تعالى :) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم (وفي) من (في هذا الموضع ثلاثة أقوايل : أحدها : أنها صلة وزائدة وتقدير الكلام : قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم ، قاله السدي .

الثاني : أنها مستعملة في مضمر وتقديره ، يغضوا أبصارهم عما لا يحل **من النظر**، وهذا قول قتادة .

الثالث : أنها مستعملة في المظهر ، لأن **غض البصر عن** الحلال لا يلزم وإنما يلزم غضها عن الحرام فلذلك دخل حرف التبعيض في غض الأبصار فقال : من أبصارهم ، قاله ابن شجرة .

ويحرم **من النظر ما** قصد ، ولا تحرم النظرة الأولى الواقعة سهوا . روى الحسن البصري قال : قال رسول

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٤/٨٨

الله (صلى الله عليه وسلم) : (ابن آدم لك النظرة الأولى وعليك الثانية) .) ويحفظوا فروجهم (فيه قولان :

أحدهما : أنه يعني بحفظ الفرج عفافه ، والعفاف يكون عن الحرام دون المباح ولذلك لم يدخل فيه حرف التبعيض كما دخل **غض البصر** .." [(١)]

" صفحة رقم ١٠٧

) ويذكر فيها اسمه (فيها ثلاثة أقاويل

: أحدها : يتلى فيها كتابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : تذكر فيها أسماؤه الحسنى ، قاله ابن جرير .

الثالث : توحيده بأن لا إله غيره ، قاله الكلبي .

وفيما يعود إليه ذكر البيوت التي أذن الله أن ترفع قولان :

أحدهما : إلى ما تقدم من قوله : كمشكاة فيها مصباح في بيوت أذن الله .

الثاني : إلى ما بعده من قوله :) يسبح له فيها (وفي هذا التسبيح قولان :

أحدهما : أنه تنزيه الله .

الثاني : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس والضحاك .

) بالغدو والآصال (الغدو جمع غدوة والآصال جمع أصيل وهي العشاء .

) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (قال الكلبي : التجار هم الجلاب المسافرون ، والباعة هم المقيمون .

) عن ذكر الله (فيه وجهان :

أحدهما : عن ذكره بأسمائه الحسنى .

الثاني : عن الأذان ، قاله يحيى بن سلام .) تتقلب فيه القلوب والأبص ار (فيه خمسة أوجه :

أحدها : يعني تقلبها على حجر جهنم .

الثاني : تقلب أحوالها بأن تلفحها النار ثم تنضجها وتحرقها .

الثالث : أن تقلب القلوب وجيبها ، وتقلب **الأبصار النظر بها** إلى نواحي الأهوال .

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٤/٨٩

الرابع : أن تقلب القلوب بلوغها الحناجر ، وتقلب الأبصار الزرق بعد الكحل ، والعمى **بعد البصر** .." (١)

"﴿ ٤٥-٤٦ ﴾ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أصلا ولمن قام بوراثته بعده تبعا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها وديناراها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح، أو سيئ أعماله، هنالك يعض الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعاقل الجازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدري أنك قد مت، ولا بد أن تموتي، فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل، لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما [ص ٤٧٩] تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه.." (٢)

"﴿ ٣٠ ﴾ ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان: ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ **عن النظر إلى** العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور.

---

(١) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، ٤/١٠٧

(٢) تفسير السعدي، ص/٤٧٨

﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها. ﴿ ذَلِكَ ﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي (١) تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، **كذلك البصر والفرج**، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، **وأما البصر فقال**: ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ أتى بأداة " من " الدالة على التبعيض، فإنه **يجوز النظر في** بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات.

---

(١) كذا في ب، وفي أ: التي.." (١)

"﴿ ١ - ٤ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ **فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ** تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ **ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ** يَنْقَلِبْ **إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا** وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ أي: تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمته، كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسماوات والأرض.

وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛ ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ﴾ أي: أخلصه وأصوبه، فإن (١) الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين،

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٦٦

ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات.

﴿ الْغَفُورُ ﴾ عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصًا إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا.

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ أي: كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ أي: خلل ونقص.

وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات.

ولما كان كمالها معلومًا، أمر [الله] تعالى **بتكرار النظر إليها** والتأمل في أرجائها، قال:

﴿ **فَارْجِعِ الْبَصَرَ** ﴾ أي: أعده إليها، ناظرًا معتبرًا ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ أي: نقص واختلال.

﴿ ثُمَّ **ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ** ﴾ المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿ يَنْقَلِبْ **إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا** وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ أي: عاجزًا عن أن يرى خللا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص.

ثم صرح بذكر حسنها فقال:

---

(١) في ب: وذلك أن.." (١)

"﴿ونقلب أفادتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا بها أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ الظاهر أن قوله : ﴿ونقلب﴾ جملة استئنافية أخبر تعالى أنه يفعل بهم ذلك وهي إشارة إلى الحيرة والتردد وصرف الشيء عن وجهه. والمعنى أنه تعالى يحولهم عن الهدى ويتركهم في الضلال والكفر. وكما للتعليل أي يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أول وقت جاءهم هدى الله كما قال تعالى : ﴿وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ ويؤكد هذا المعنى آخر الآية ﴿ونذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ أي ونتركهم في تغمطهم في الشر والإفراط فيه يتحيرون ، وهذا كله إخبار من الله تعالى بفعله بهم في الدنيا. وقالت فرقة : هذا الإخبار هو على تقدير : أنه لو جاءت الآية التي اقترحوها صنعنا بهم ذلك. ولذلك قال الزمخشري ﴿ونقلب أفادتهم﴾ ﴿ونذرهم﴾ عطف على ﴿لا يؤمنون﴾ داخل في حكم ﴿وما يشعركم﴾ بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون ﴿وما يشعركم﴾ إنا ﴿ونقلب أفادتهم وأبصارهم﴾ أي فنطبع على أبصارهم

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٧٥

وقلوبهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها ، لكونهم ﴿وما يشعركم﴾ إنا ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾ أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم ونصرفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه انتهى.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

وهذا معنى ما قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد قالوا : لو أتيناهم بآية كما سألوا لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها ، وحلتا بينهم وبين الهدى فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها ، عقوبة لهم على ذلك. والفرق بين هذا القول والذي بدأنا به أولا أن ذلك استئناف إخبار بما يفعل بهم تعالى في الدنيا. وهذا إخبار على تقدير مجيء الآية المقترحة فذلك واقع وهذا غير واقع ، لأن الآية المقترحة لم تقع فلم يقع ما رتب عليها.

وقال مقاتل : نقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان وعن الآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات.

وقيل : تقليبها بإزعاج نفوسهم هما وغما.

وقال الكرماني : مغناه أنا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الأعين منهم انتهى.

ولا يستقيم هذا التفسير لقوله : ﴿كما لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ لا على التعليل ولا على التشبيه إلا أن جعل متعلقا بقوله ﴿إذا جاءت لا يؤمنون﴾ أي ﴿كما لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ فيصح على بعد في تفسير التقليب بإحاطة العلم.

وقال الكعبي : المراد أنا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والألطاف من حيث أخرجوا أنفسهم عن الهداية بسبب الكفر انتهى.

وهو على طريقة الاعتزالي ومعنى تقليب القلب والبصر ما ينشأ عن القلب والبصر من الدواعي إلى الحيرة والضلال ، لأن القلب والبصر يتقلبان بأنفسهما فنسبة التقليب إليهما مجاز. وقدمت الأفئدة لأن موضع الدواعي والصوارف هو القلب فإذا حصلت الداعية في القلب **انصرف البصر إليه** شاء أم أبى ، وإذا حصلت الصوارف في القلب **انصرف البصر عنه** وإن كان **تحدق النظر إليه** ظاهرا وهذه التفاسير على أن ذلك في الدنيا.

وقالت فرقة : إن ذلك إخبار من الله تعالى يفعل بهم ذلك في الآخرة.

فروي عن ابن عباس أنه جواب لسؤالهم

٢٠٣

في الآخرة الرجوع إلى الدنيا. والمعنى لو ردوا لحلنا بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا انتهى. وهذا ينبو عنه تركيب الكلام.

وقيل : تقليبها في النار في جهنم على لهيبها وجمرها ليعذبوا ﴿كما لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ يعني في الدنيا وقاله الجبائي.

وقال أبو الهذيل : تقليب أفئدتهم بلوغها الحناجر كما قال تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الازفة﴾ .

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

وقيل : تقليب أبصارهم إلى الزرقة وحمل ذلك على أنه في الآخرة ضعيف قلق النظم ، لأن التقليب في الآخرة وتركهم في الطغيان في الدنيا ، فيختلف الظرفان من غير دليل على اختلافهما ، بل الظاهر أن ذلك إخبار مستأنف كما قررناه أولا ، والكاف في كما ذكرنا أنها للتعليل ، وهو واضح فيها وإن كان استعمالها فيه قليلا. وقالت فرقة كما : هي بمعنى المجازاة أي لما ﴿لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ نجاريهم بأن ﴿ولا أفادتهم﴾ عن الهدى ونطيع على قلوبهم. فكأنه قال : ونحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم جزاء لما ﴿لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ بما دعوا إليه من الشرع. قاله ابن عطية ، وهو معنى التعليل الذي ذكرناه إلا أن تسمية ذلك بمعنى المجازاة غريبة ، لا يعهد في كلام النحويين أن الكاف للمجازاة.قيل : للتشبه
." (١)

"وقرأ ابن عباس ، والضحاك ، والحسن ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وعمرو بن قائد ، وقتادة ، وسلام ، ويعقوب ، ونافع في رواية : من كل بالتنوين ، أي : من كل هذه المخلوقات المذكورات. وما موصولة مفعول ثان أي : ما شأنه أن يسأل بمعنى يطلب الانتفاع به. وقيل : ما نافية ، والمفعول الثاني هو من كل كقوله : ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي غير سائليه. أخبر بسبوغ نعمته عليهم بما لم يسألوه من النعم ، ولم يعرض لما سألوه. والجملة المنفية في موضع نصب على الحال ، وهذا القول بدأ به الزمخشري ، وثنى به ابن عطية وقال : إنه تفسير الضحاك. وهذا التفسير يظهر أنه مناف لقراءة الجمهور من كل ما سألتموه بالإضافة ، لأن في تلك القراءة على ذلك التخريج تكون ما نافية ، فيكونون لم يسألوه. وفي هذه القراءة يكونون قد سألوه ، وما بمعنى الذي. وأجيز أن تكون مصدرية ، ويكون المصدر بمعنى المفعول. ولما أحس الزمخشري بظهور التنافي بين هذه القراءة وبين تلك على تقدير أن ما نافية قال : ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ، ولم تصلح أحوالكم ومعائشكم إلا به ، فكأنكم

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٤/١٦٣

سألتموه ، أو طلبتموه بلسان الحال. فتأول سألتموه بقوله : ما احتجتم إليه. والضمير في سألتموه إن كانت ما مصدرية عائد على الله تعالى ، ويكون المصدر يراد به المسؤول. وإن كانت موصولة بمعنى الذي عاد عليها ، والتقدير : من كل الذي سألتموه إياه. ولا يجوز أن يكون عائدا على الله. والرابط للصلة بالموصول محذوف ، لأنك إن قدرته متصلا فيكون التقدير : ما سألتموهوه ، فلا يجوز. أو منفصلا فيكون التقدير : ما سألتموه إياه ، فالمنفصل لا يجوز حذف. والنعمة قال الواحدي : اسم أقيم مقام المصدر ، يقال : أنعم إنعاما ونعمة ، أقيم الاسم مقام الانعام كقولك : أنفقت إنفاقا ونفقة ، ولذلك لم يجمع لأنه في معنى المصدر انتهى. والذي يظهر أن النعمة هو المنعم به ، وأنه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع ، كأنه قيل : وإن تعدوا نعمة الله ومعنى لا تحصوها ، لا تحصروها ولا تطيقوا عدها ، هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال. وأما التفصيل فلا يقدر عليه ، ولا يعلمه إلا الله. وقال أبو الدرداء : من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه ، وحضر عذابه. والمراد بالإنسان هنا الجنس أي : توجد فيه هذه الخلال وهي : الظلم ، والكفر ، يظلم النعمة بإغفال شكرها ، ويكفرها بجحدها. وقيل : ظلوم في الشدة فيشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع. وفي النحل :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤١٣

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوهآا إن الله لغفور رحيم﴾ والفرق بين الختمين : أنه هنا تقدم قوله : ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وبعده ، وجعلوا لله أندادا ، فكان ذلك

٤٢٨

نصا على ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك ، بجعل الأنداد ناسب أن يحتم بذم من وقع ذلك منه ، فجاء أن الإنسان لظلوم كفار. وأما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات ، وأطنب فيها ، وقال : ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ أي : من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق ولا على شيء منه ، ذكر من تفضلاته اتصافه بالعذاب والرحمة تحريضا على الرجوع إليه ، وأن هاتين الصفتين هو متصف بهما ، كما هو متصف بالخلق ، ففي ذلك إطماع لمن آمن به. وانتقل من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق أنه يغفر زلله السابق ويرحمه ، وأيضا فإنه لما ذكر أنه تعالى هو المتفضل بالنعم على الإنسان ، ذكر ما حصل من المنعم ، ومن جنس المنعم عل ، فحصل من المنعم ما يناسبه حالة عطائه وهو الغفران والرحمة ، إذ لولاهما لما أنعم عليه. وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسبه حالة الإنعام عليه ، وهو الظلم والكفران ، فكأنه قيل : إن صدر من الإنسان ظلم فالله غفور ، أو كفران نعمة فالله

رحيم ، لعلمه يعجز الإنسان وقصوره. ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت إليها ، ونقل ذلك السخاوي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤١٣

جنب مخففا ، وأجنب رباعيا لغة نجد ، وجنب مشددا لغة الحجاز ، والمعنى : منع ، وأصله من الجانب.

الهوى : الهبوط بسرعة ، قال الشاعر :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٢٩

وإذا رميت به الفجاج رأيتهتهوي مخارمها هوى الأجدل

شخص البصر أحد النظر ، ولم يستقر في مكانه. المهطع : المسرع في مشيه. قال الشاعر :

بمهطع سرح كأن عنانهفي رأس جذع من أراك مشذب

وقال عمران بن حطان :

إذا دعانا فأهطعنا لدعوتهداع سميع فلبونا وساقونا

وقال أبو عبيدة : قد يكون الأهطاع الإسراع وإدامة النظر. المقنع : هو الرافع رأس المقبل ببصره على ما بين يديه ، قاله ابن عرفة والقتبي. وقال الشاعر :

يباكرن العصاة بمقنعاتنواجذهن كالحدإ الوقيع

٤٢٩

". (١)

"﴿ومن كان فى هاذها أعمى ﴾ وذلك من حيث المعنى مقابله لأن من﴿أوتى كتابه بيمينه﴾ هم أهل السعادة ﴿ومن كان فى هاذها أعمى ﴾ هم أهل الشقاوة ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ أي لا ينقصون أدنى شيء وتقدم شرح الفتيل في سورة النساء. والظاهر أن الاشارة بقوله : ﴿فى هاذه﴾ إلى الدنيا وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد أي : من كان في هذه الدار أعمى **عن النظر في** آيات الله وعبره والإيمان بأنبيائه ، فهو في الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن الآخرة ، وإما أن يكون فهو يوم القيامة أعمى معنى أنه خبر إن لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح. وقال مجاهد : هو أعمى في الآخرة عن حججه. وقال ابن عباس أيضا : ﴿ومن كان فى هاذه﴾ النعم يشير إلى نعم التكريم والتفضيل فهو في الآخرة التي لم تر ولم تعاين ﴿أعمى ﴾ . وقيل : ومن كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الآخرة

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٥/٣٤٩

أعمى ﴿وأضل سبيلا﴾ لأنه في الدنيا تقبل توبته ، وفي الآخرة لا تقبل وفي الدنيا يهتدي إلى التخلص من الآفات ، وفي الآخرة لا يهتدي إلى ذلك البتة. وقيل : فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة. وقيل : **أعمى البصر كما** قال ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا﴾ وقوله ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا﴾ . وقيل : من كان في الدنيا أعمى عن إبصار الحق والاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦١

وقال ابن عطية : والظاهر عندي أن الإشارة بهذه إلى الدنيا ﴿أى منقلب ينقلبون﴾ في دنياه ﴿هاذه﴾ وقت إدراكه وفهمه ﴿أعمى ﴾ **عن النظر في** آيات الله فهو في يوم القيامة أشد حيرة وعمى لأنه قد باشر الخيبة ورأى مخائل العذاب ، وبهذا التأويل تكون معادلة التي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه. وإذا جعلنا قوله ﴿فى الاخرة﴾ بمعنى في شأن الآخرة لم تطرد المعادلة الآيتين. وقال الزمخشري :

٦٣

والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة ، أما في الدنيا **فلفقد النظر** ، وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل. ومن ثم قرأ أبو عمر والأول مما لا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله ﴿أعمالكم﴾ وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة انتهى. وتعليله ترك إمالة أعمى الثاني أخذه الزمخشري من أبي علي قال أبو علي : لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر ، و﴿أعمى ﴾ ليس كذلك لأن تقديره ﴿أعمى ﴾ من كذا فليس يتم إلا في قولنا من كذا فهو إذن ليس بآخر ، ويقوي هذا التأويل عطف ﴿وأضل سبيلا﴾ لأن الإنسان في الدنيا يمكن أن يؤمن فينجو وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك فهو ﴿أضل سبيلا﴾ وأشد حيرة وأقرب إلى العذاب ، و﴿أعمى ﴾ هنا من عمى القلب لا من **عمى البصر لأن** ذلك يقع فيه التفاضل لا هذا.

﴿ليفتنونك عن الذى أوحينآ إليك لتفترى علينا غيرها وإذا اتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيأا قليلا * إذا لاذقناك ضعف الحيواة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا * وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦١

الضمير في ﴿وإن كادوا ﴾ قيل لقريش. وقيل لثقيف ، وذكروا أسباب نزول مختلفة وفي بعضها ما لا يصح نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويوقف على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري والتحرير وغير ذلك ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة ، ومن عمى أهل الشقاوة أتبع ذلك بما يهم به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة ، ومعنى ﴿ليفتنونك﴾ ليخدعونك وذلك في ظنهم لا أنهم قاربوا ذلك إذ هو معصوم عليه السلام أن يقاربوا فتنته عما أوحى الله إليه ، وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفتري على الله غير ما أوحى الله إليه من تبديل الوعد وعيدا أو الوعيد وعدا ، وما اقترحته

٦٤

." (١)

"وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أن يكون المعنى ، وقضى ﴿إن الله ربى وربكم﴾ فهي معطوفة على قوله ﴿امرأ﴾ من قوله ﴿إذا قضى أمرا﴾ والمعنى ﴿إذا قضى أمرا﴾ وقضى ﴿إن الله﴾ انتهى. وهذا تخبيط في الإعراب لأنه إذا كان معطوفا على ﴿امرأ﴾ كان في حيز الشرط ، وكونه تعالى ربنا لا يتقيد بالشرط وهذا يبعد أن يكون قاله أبو عمرو بن العلاء فإنه من الجلالة في علم النحو بالمكان الذي قل أن يوازنه أحد مع كونه عربيا ، ولعل ذلك من فهم أبي عبيدة فإنه يضعف في النحو والخطاب في قول ﴿وربكم﴾ قيل لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى أمر الله تعالى أن يقول لهم ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ أي قل لهم يا محمد هذا الكلام. وقيل : الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله ﴿إنى عبد الله﴾ الآية وإن الله معطوف على الكتاب ، وقد قال وهب عهد عيسى إليهم ﴿إن الله ربى وربكم﴾ ومن كسر الهمزة عطف على قوله ﴿إنى عبد الله﴾ فيكون محكيا. يقال : وعلى هذا القول يكون قوله ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ حمل اعتراض أخبر الله تعالى بها رسوله عليه السلام.

والإشارة بقوله ﴿هاذا﴾ أي القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة ، هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده إلى النجاة ﴿فاختلف الاحزاب منا بينهم﴾ هذا إخبار من الله للرسول بتفرق بني إسرائيل فرقا ، ومعنى ﴿منا بينهم﴾ أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف سببه غيرهم. و﴿الاحزاب﴾ قال الكلبي : اليهود والنصارى. وقال الحسن : الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٦/٤٦

قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس انتهى. فالضمير في ﴿بينهم﴾ على هذا ليس عائدا على ﴿الاحزاب﴾ . وقيل : ﴿الاحزاب﴾ هنا المسلمون واليهود والنصارى. وقيل : هم النصارى فقط.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٨٨
وعن قتادة إن بني إسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم. فقال أحدهم : عيسى هو الله نزل إلى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات ، فكذبه الثلاثة واتبعته اليعقوبية. ثم قال أحد الثلاثة : عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعته النسطورية ، وقال أحد الاثنين : عيسى أحد ثلاثة الله إله ، ومريم إله ، وعيسى إله فكذبه الرابع وأتبعته الإسرائيلية. وقال الرابع : عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فاتبعته فرقة من بني إسرائيل ثم اقتتل الأربعة ، فغلب المؤمنون وظهرت اليعقوبية على الجميع فروي أن في ذلك نزلت ﴿إن الذين يكفرون باايات الله﴾ آية آل عمران ، والأربعة يعقوب ونسطور وملكا وإسرائيل.
وبين هنا أصله ظرف استعمل اسما بدخول ﴿من﴾ عليه. وقيل : ﴿من﴾ زائدة. وقيل البين هنا البعد أي اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق. و﴿مشهد﴾ مفعل من الشهود وهو الحضور أو من الشهادة ويكون مصدرا ومكانا وزمانا ، فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة ، وإن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف ، وأن يكون من وقت الشهود ومن الشهادة ، يجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر ، وأن يكون من مكان الشهادة ، وأن يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة.
وعن قتادة : هو يوم قتل المؤمنين حين اختلف
١٩٠
الأحزاب وقيل ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه يوم اختلافهم ، وتقدم الكلام على التعجب الوارد من الله في قوله تعالى ﴿فمآ أصبرهم على النار﴾ وأنه لا يوصف بالتعجب.
قال الحسن وقتادة : لئن كانوا صما وبكما عن الحق فما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ، ولكنهم يسمعون ويبصرون حيث لا ينفعهم السمع ولا البصر. وعن ابن عباس أنهم أسمع شيء وأبصره. وقال علي بن عيسى : هو وعيد وتهديد أي سوف يسمعون ما يخلع قلوبهم ، ويبصرون ما يسود وجوههم. وعن أبي العالية : إنه أمر حقيقة للرسول أي ﴿أسمع﴾ الناس اليوم وأبصرهم ﴿بهم﴾ وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب إذا أتوا محشورين مغلولين ﴿لاكن الظالمون﴾ عموم يندرج فيه هؤلاء الأحزاب الكفارة وغيرهم من الظالمين ، و﴿اليوم﴾ أي في دار الدنيا. وقال الزمخشري : أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير إشعارا بأن لا

ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم ، والمراد بالضلال المبين **إغفال النظر والاستماع** انتهى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٨٨

". (١)

"الكفرة يقال : **مد البصر إلى** ما متع به الكفار ، يقال : مد نظره إليه إذا **أدام النظر إليه** ، والفكرة في جملته وتفصيله. قيل : والمعنى على هذا ولا تعجب يا محمد مما متعناهم به من مال وبنين ومنازل ومراكب وملابس ومطاعم ، فإنما ذلك كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام ، وإنها عما قليل تفنى وتزول. والخطاب وإن كان في الظاهر للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد أمته هو كان صلى الله عليه وسلم أبعد شيء **عن النظر في** زينة الدنيا وأعلق بما عند الله من كل أحد ، وهو القائل في الدنيا "ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله" وكان شديد النهي عن الاغترار بالدنيا والنظر إلى زخرفها ﴿ولا تمدن﴾ أبلغ من لا تنظر لأن **مد البصر يقتضي** الإدامة والاستحسان **بخلاف النظر** ، فإنه قد لا يكون ذلك معه والعين لا تمد فهو على حذف مضاف أي ﴿لا تمدن﴾ نظر ﴿عينيك﴾ والنظر غير الممدد معفو عنه. وذلك مثل من فاجأ الشيء ثم غض بصره. والنظر إلى الزخارف مركوز في الطبائع فمن رأى منها شيئا أحب **إدمان النظر إليه** ، وقد شدد المتقون في **غض البصر عن** أبنية الظلمة وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لأنهم إنما اتخذوها لعيون النظارة حتى يفتخروا بها ، فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها. وانتصب ﴿أزواجا﴾ على أنه مفعول به ، والمعنى أصنافا من الكفرة و﴿منهم﴾ في موضع الصفة لأزواجا أي أصنافا وأقواما من الكفرة. كما قال : ﴿وءاخر من شكلها أزواج﴾ .

وأجاز الزمخشري أن ينتصب ﴿أزواجا﴾ عن الحال من ضمير ﴿به﴾ و﴿متعنا﴾ مفعوله منهم كأنه قيل إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم ، وناسا منهم. و﴿زهرة﴾ منصوب على الذم أو مفعول ثان لمتعنا على تضمينه معنى أعطينا أو بدل من محل الجار والمجرور ، أو بدل من ﴿أزواجا﴾ على تقدير ذوي زهرة ، أو جعلهم ﴿زهرة﴾ على المبالغة أو منصوب بفعل محذوف يدل عليه ﴿متعنا﴾ أي جعلنا لهم ﴿زهرة﴾ أو حال من الهاء ، أو ما على تقدير حذف التنوين من ﴿زهرة﴾ لالتقاء الساكنين وخبر ﴿الحيواة﴾ على البدل من ﴿ما﴾ وكل هذه الأعاريب منقول والأخير اختاره مكي ، ورد كونه بدلا من محل ﴿ما﴾ لأن فيه الفصل بالبدل بين الصلاة وهي ﴿متعنا﴾ ومعمولها وهو ﴿لنفتنهم﴾ فالبدل وهو ﴿زهرة﴾ .

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٦/١٤٠

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٧٠
وقرأ الجمهور ﴿زهرة﴾ بسكون الهاء. وقرأ الحسن وأبو البر هشيم وأبو حيوة وطلحة وحميد وسلام ويعقوب وسهل وعيسى والزهري بفتحها. وقرأ الأصمعي عن نافع لنفتنهم بضم النون من أفتنه إذا جعل الفتنة واقعة فيه ، والزهرة والزهرة بمعنى واحد كالجهرة والجهرة. وأجاز الزمخشري في ﴿زهرة﴾ المفتوح الهاء أن يكون جمع زاهر نحو كافر وكفرة ، وصفهم بأنهم زاهر وهذه الدنيا الصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب ، ومعنى ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه.

﴿ورزق ربك خير وأبقى ﴾ أي ما ذخر لهم من المواهب في الآخرة ﴿خير﴾ مما متع به هؤلاء في الدنيا ﴿وأبقى ﴾ أي أدوم. وقيل : ما رزقهم وإن كان قليلا خير مما رزقوا وإن كان كثير الحلية ذلك وحرمية هذا. وقيل : ما رزقت من النبوة والإسلام. وقيل : ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنائم. وقيل : القناعة. وقيل : ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا.

ولما أمره تعالى بالتسبيح في تلك الأوقات المذكورة ونهاه عن مد بصره إلى ما متع به الكفار أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة التي هي بعد الشهادة آكد أركان الإسلام ، وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها وأن لا يشتغل عنها ، وأخبره تعالى أن لا يسأله أن يرزق نفسه وأن لا يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك ، بل أمره بتفريغ باله لأمر الآخرة ويدخل في خطابه عليه السلام أمته. وقرأ الجمهور ﴿نرزقك﴾ بضم القاف. وقرأت فرقة :

٢٩١

منهم وابن وثاب بإدغام القاف في الكاف وجاء ذلك عن يعقوب. قال صاحب اللوامح : وإنما امتنع أبو عمرو من إدغام مثله بعد إدغامه ﴿نرزقكم﴾ ونحوها لحلول الكاف منه طرفا وهو حرف وقف ، فلو حرك وقفا لكان وقوفه على حركة وكان خروجا عن كلامهم. ولو أشار إلى الفتح لكان الفتح أخف من أن يتبعض بل خروج بعضه كخروج كله ، ولو سكن لأجحف بحرف. ولعل من أدغم ذهب مذهب من يقول جعفر وعامر وتفعل فيشدد وقفا أو أدغم على شرط أن لا يقف بحال فيصير الطرف كالحشو انتهى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٧٠
(١) ".

"﴿ليس عليكم جناح﴾ قال الزمخشري : استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين ، والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع انتهى. وما ذكره الزمخشري من أنه استثناء من البيوت كما ذكر هو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن ، ولا يظهر أنه استثناء لأن الآية الأولى في البيوت المسكونة والمملوكة ، ولذلك قال ﴿بيوتا غير بيوتكم﴾ وهذا الآية الثانية هي في البيوت المباحة ، وقد مثل العلماء لهذه البيوت أمثلة. فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد : هي في الفنادق التي في طرق المسافرين. قال مجاهد : لا يسكنها أحد بل هي موقوفة يأوي إليها كل ابن سبيل. و﴿فيها متاع﴾ لهم أي استمتاع بمنفعتها ، ومثل عطاء بالخرب التي تدخل للتبرز. وقال ابن زيد والشعبي : هي حوانيت
٤٤٦
القيسارية والسوق. قال ابن الحنيفة أيضا : هي دور مكة ، وهذا لا يسوغ إلا على القول بأن دور مكة غير مملوكة ، وأن الناس فيها شركاء وأن مكة فتحت عنوة. ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وعيد للذين يدخلون البيوت غير المسكونة من أهل الريب.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٤٤
و﴿من﴾ في ﴿من أبصارهم﴾ عند الأخفش زائدة أي ﴿يغضوا ﴾ ﴿أبصارهم﴾ عما يحرم ، وعند غيره للتبعيض وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك ، ويؤيده قوله لعلي كرم الله وجهه : لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الثانية. وقال ابن عطية : يصح أن تكون ﴿من﴾ لبيان الجنس ، ويصح أن تكون لابتداء الغاية انتهى. ولم يتقدم مبهم فتكون ﴿من﴾ لبيان الجنس على أن الصحيح أن من ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس. ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ أي من الزنا ومن التكشف. ودخلت ﴿من﴾ في قوله ﴿من أبصارهم﴾ دون الفرج دلالة على أن **أمر النظر أوسع** ، ألا ترى أن الزوجة ينظر زوجها إلى محاسنها من الشعر والصدور والعضد والساق والقدم ، وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الأجنبية إلى وجهها وكفيها وأما أمر الفرج فمضيق. وعن أبي العالية وابن زيد : كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذا فهو من الاستتار ، ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢١٣/٦

﴿ذالك﴾ أي **غض البصر وحفظ** الفرج أطهر لهم ﴿إن الله خبيرا بما يصنعون﴾ من **إحالة النظر وانكشاف** العورات ، فيجازي على ذلك. وقدم **غض البصر على** حفظ الفرج **لأن النظر بريد** الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاختزاز منه ، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته. وقال بعض الأدباء :

وما الحب إلا نظرة إثر نظرةتزيد نموا إن تزده لجاجا

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٤٤

ثم ذكر تعالى حكم المؤمنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الأبصار وفي الحفظ للفروج. ثم قال ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ واستثنى ما ظهر من الزينة ، والزينة ما تتزين به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب ، فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب ، وما خفى منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لمن استثنى. وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الحسد لا **يحل النظر إليها** لغير هؤلاء وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والآذان ، فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم **أن النظر لا** يحل إليها لملابستها تلك المواقع **بدليل النظر إليها** غير ملابسة لها ، وسومح في الزينة الظاهرة لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجديدا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح ، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها خاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله ﴿إلا ما ظهر منها ﴾ يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره ، والأصل فيه الظهور وسومح في الزينة الخفيفة. أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفر عن مماسة القرائب ، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك. وقال ابن مسعود ﴿ما ظهر منها ﴾ هو الثياب ، ونص على ذلك أحمد قال : الزينة الظاهرة الثياب ، وقال تعالى ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ وفسرت الزينة بالثياب. وقال ابن عباس : الكحل والخاتم. وقال الحسن في جماعة : الوجه والكفان. وقال ابن جريج : الوجه والكحل والخاتم والخضاب والسوار. وقال الحسن أيضا : الخاتم والسور. وقال ابن عباس : الكحل والخاتم فقط.

٤٤٧

". (١)

"قال عبد الله بن شداد : فلما كانت على فرسخ من سليمان ، قال : ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ ؟ وقال ابن عباس : كان سليمان مهيبا ، لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه. فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال : ما هذا ؟ فقالوا : بلقيس ، فقال ذلك. واختلفوا في قصد سليمان استدعاء عرشها. فقال قتادة ، وابن جريج : لما وصف له عظم عرشها وجودته ، أراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويمنع أخذ أموالهم ، والإسلام على هذا الدين ، وهذا فيه بعد أن يقع ذلك من نبي أوتي ملكا لم يؤته غيره. وقال ابن عباس ، وابن زيد : استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ، وليغرب عليها سليمان والإسلام على هذا الاستسلام. وأشار الزمخشري لقول فقال : ولعله أوحي إليه عليه السلام باستيثاقها من عرشها ، فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه به من إجراء العجائب على يده ، مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى ، وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها. انتهى. وقال الطبري : أراد أن يختبر صدق الهدهد في قوله : ﴿ولها عرش عظيم﴾ ، وهذا فيه بعد ، لأنه قد ظهر صدقة في حمل الكتاب ، وما ترتب على حمله من مشورة بلقيس قومها وبعثها بالهدية. وقيل : أراد أن يؤتي به ، فينكر ويغير ، ثم ينظر أتثبته أم تنكره ، اختبارا لعقلها. والظاهر ترتيب هذه الأخبار على حسب ما وقعت في الوجود ، وهو قول الجمهور. وعن ابن عباس أنه قال : ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ ؟ حين **ابتدأ النظر في** صدق الهدهد من كذبه لما قال : ﴿ولها عرش عظيم﴾ . ففي ترتيب القصص تقديم وتأخير ، وفي قوله : ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ دليل على جواز الاستعانة ببعض الاتباع في مقاصد الملوك ، ودليل على أنه قد يخص بعض أتباع الأنبياء بشيء لا يكون لغيرهم ، ودليل على مبادرة من طلبه منه الملوك قضاء حاجة ، وبداءة الشياطين في التسخير على الإنس ، وقدرتهم بأقدار الله علىٰ ما يبعد فعله من الإنس. وقرأ الجمهور : عفريت ، وأبو حيوة : بفتح العين. وقرأ أبو رجاء ، وأبو السمال ، وعيسى ، ورويت عن أبي بكر الصديق : عفرية ، بكسر العين ، وسكون الفاء ، وكسر الراء ، بعدها ياء مفتوحة ، بعدها تاء التأنيث. وقال ذو الرمة :

كأنه كوكب في إثر عفريةمصوب في سواد الليل مقتضب

وقرأت فرقة : عفر ، بلا ياء ولا تاء ، ويقال في لغة طيىء وتميم : عفراة بالألف وتاء التأنيث ، وفيه لغة سادسة عفارية ، ويوصف بها الرجل ، ولما كان قد يوصف به الإنس خص بقوله من الجن. وعن ابن عباس

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣٢٥/٦

: اسمه صخر. وقيل : كوري. وقيل : ذكران. و﴿ءاتيك﴾ : يحتمل أن يكون مضارعا واسم فاعل. وقال قتادة ، ومجاهد ، ووهب : ﴿من مقامك﴾ : أي من مجلس الحكم ، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم. وقيل : قبل أن تستوي من جلوسك قائما. ﴿وإنى عليه﴾ : أي على الإتيان به لقوي على حمله ؛ ﴿أمين﴾ : لا أختلس منه شيئا. قال الحسن : كان كافرا ، لكنه كان مسخرا ، والعفريت لا يكون إلا كافرا.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠

﴿قال الذى عنده علم من الكتاب﴾ ، قيل : هو من الملائكة ، وهو جبريل ، قاله النخعي. والكتاب : اللوح المحفوظ ، أو كتاب سليمان إلى بلقيس. وقيل : ملك أيد الله به سليمان. وقيل : هو رجل من الإنس ، واسمه آصف بن برخيا ، كاتب سليمان ، وكان صديقا عالما قاله الجمهور. أو اسطوام ، أو هود ، أو مليخا ، قاله قتادة. أو اسطورس ، أو الخضر عليه السلام ، قاله ابن لهيعة. وقالت جماعة : هو ضبة بن اد جد بني ضبة ، من العرب ، وكان فاضلا يخدم سليمان ، كان على قطعة من خيله ، وهذه أقوال مضطربة ، وقد أبهم الله اسمه ، فكان ينبغي أن لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي. ومن أغرب الأقوال أنه سليمان عليه السلام ، كأنه يقول لنفسه :

٧٦

﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك﴾ ، أو يكون خاطب بذلك العفريت ، حكى هذا القول الزمخشري وغيره ، كأنه استبطأ ما قال العفريت ، فقال له سليمان ذلك على تحقير العفريت. والكتاب : هو المنزل من عند الله ، أو اللوح المحفوظ ، قولان. والعلم الذي أوتيه ، قال : اسم الله الأعظم وهو : يا حي يا قيوم. وقيل : يا ذا الجلال والإكرام. وقيل بالعبرانية : أهيا شراهيا. وقال الحسن : الله ثم الرحمن. والظاهر أن ارتداد الطرف حقيقة ، وأنه أقصر في المدةمن مدة العفريت ، ولذلك روي أن سليمان قال : أريد أسرع من ذلك حين أجابه العفريت ، ولما كان الناظر موصوفا **بإرسال البصر** ، كما قال الشاعر :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدالقلبك يوما أتعبتك المناظر

". (١)

"ولا يتعين أن يكون ﴿تنزيل﴾ صفة ، بل يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، فيحسن إذ ذاك أن يكون ﴿لا يمسها﴾ نهيا. وذكروا هنا حكم مس المصحف ، وذلك مذكور في الفقه ، وليس في الآية دليل

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٧/٥٦

على منع ذلك. وقرأ الجمهور : ﴿المطهرون﴾ اسم مفعول من طهر مشددا ؛ وعيسى : كذلك مخففا من أطهر ، ورويت عن نافع وأبي عمرو. وقرأ سلمان الفارسي : المطهرون ، بخف الطاء وشد الهاء وكسرها : اسم فاعل من طهر ، أي المطهرين أنفسهم ؛ وعنه أيضا المطهرون بشدهما ، أصله المتطهرون ، فأدغم التاء في الطاء ، ورويت عن الحسن وعبد الله بن عوف.

٢١٤

وقرىء : المتطهرون. وقرىء : تنزيلا بالنصب ، أي نزل تنزيلا ، والإشارة في : ﴿أفبهاذا الحديث﴾ للقرآن ، و﴿أنتم﴾ : خطاب للكفار ، ﴿مدهنون﴾ ، قال ابن عباس : مهاودون فيما لا يحل. وقال أيضا : مكذبون. ﴿وتجعلون رزقكم﴾ : أي شكر ما رزقكم الله من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به ، أي تضعون مكان الشكر التكذيب ، ومن هذا المعنى قول الراجز :

مكان شكر القوم عند المننكي الصحيحات وفقء الأعين

وقرأ علي وابن عباس : وتجعلون شكركم ، وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد. وحكى الهيثم بن عدي أن من لغة أزد شنؤه ما رزق فلان فلانا ، بمعنى : ما شكره. قيل : نزلت في الأنواء ، ونسبة السقيا إليها ، والرزق : المطر ، فالمعنى : ما يرزقكم الله من الغيب. وقال ابن عطية : أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر ، هذا بنوء كذا وكذا ، وهذا بنوء الأسد ، وهذا بنوء الجوزاء ، وغير ذلك. وقرأ الجمهور : ﴿تكذبون﴾ من التكذيب ؛ وعلي والمفضل عن عاصم : من الكذب ، فالمعنى من التكذيب أنه ليس من عند الله ، أي القرآن أو المطر ، حيث ينسبون ذلك إلى النجوم. ومن الكذب قولهم : في القرآن سحر وافتراء ، وفي المطر من الأنواء.

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حيناذ تنظرون﴾ ، قال الزمخشري : ترتيب الآية : فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين ، فلولا الثانية مكررة للتوكيد ، والضمير في ترجعونها للنفس. وقال ابن عطية : توقيف على موضع عجز **يقتضي النظر فيه** أن الله مالك كل شيء. ﴿وأنتم﴾ : إشارة إلى جميع البشر ، ﴿حيناذ﴾ : حين إذ بلغت الحلقوم ، ﴿تنظرون﴾ : أي إلى النازع في الموت. وقرأ عيسى : حينئذ بكسر النون اتباعا لحركة الهمزة في إذ ، ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ بالعلم والقدرة ، ﴿ولاكن لا تبصرون﴾ : من البصيرة بالقلب ، أو ﴿أقرب﴾ : أي ملائكتنا ورسلنا ، ﴿ولاكن لا تبصرون﴾ : **من البصر بالعين**. ثم عاد التوقيف والتقدير ثانية بلفظ التخصيص. والمدين : المملوك. قال الأخطل :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٠٧

ربت ورباني في حجرها ابن مدينة

قيل : ابن مملوكة يصف عبدا ابن أمة ، وآخر البيت : تراه على مسحانة يتوكل

والمعنى : فلولا ترجعون النفس البالغة إلى الحلقوم إن كنتم غير مملوكين وغير مقهورين. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدىء المعيد ، إذ كانوا فيما ذهبوا إليه من أن القرآن سحر وافتراء ، وأن ما نزل من المطر هو بنوء ، كذا تعطيل للصانع وتعجيز له. وقال ابن عطية : قوله ﴿ترجعونهآ﴾ سد مسد جوابها ، والبيانات التي تقتضيها التخصيصات ، وإذا من قوله : ﴿فلولا إذا﴾ ، وإن المتكررة ، وحمل بعض القول بعضا إيجازا واقتصارا. انتهى. وتقول : ﴿إذا﴾ ليست شرطية ، فتسد ﴿ترجعونهآ﴾ مسد جوابها ، بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها المحذوف بعد فلولا ، لدلالة ترجعونها في التخصيص الثاني علي ، فجاء التخصيص الأول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم ، وجاء التخصيص الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم ، وهم لا يقدرون على رجوعها ، إذ مربوبيتهم موجودة ، فهم مقهورون لا قدرة لهم. ﴿فأمآ إن كان﴾ : أي المتوفى ، ﴿من المقربين﴾ : وهم السابقون. وقرأ الجمهور ؛ ﴿فروح﴾ ، بفتح الراء ؛ وعائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ونوح القارىء ، والضحاك ، والأشهب ، وشعيب بن الحبحاب ، وسليمان التيمي ، والربيع بن خيثم ، ومحمد بن علي ، وأبو عمران الجوني ، والكلبي ، وفياض ، وعبيد ، وعبد الوارث عن أبي عمرو ، ويعقوب بن صيان ، وزيد ، ورويس عنه : بضمها. قال الحسن : الروح : الرحمة ، لأنها كالحياة للمرحوم. وقال أيضا : روحه تخرج في ريحان. وقيل : الروح : البقاء ، أي فهذان له معا ، وهو الخلود مع الرزق. وقال مجاهد : الريحان : الرزق. وقال الضحاك : الاستراحة. وقال أبو العالية وقتادة والحسن أيضا :

٢١٥

الريحان ، هذا الشجر المعروف في الدنيا ، يلقى المقرب ريحانا من الجنة. وقال الخليل : هو ظرف كل بقلة طيبة فيها أوائل النور. وقال صلى الله عليه وسلم ، في الحسن والحسين ، رضي الله تعالى عنهما : "هما ريحانتاي من الدنيا".

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٠٧

وقال ابن عطية : الريحان : مما تنبسط به النفوس ، ﴿فروح﴾ : فسلام ، فنزل الفاء جواب أما تقدم. أما وهي في تقدير الشرط ، وإن كان من المقربين ، وإن كان من أصحاب اليمين ، وإن كان من المكذبين الضالين شرط ؛ وإذا اجتمع شرطان ، كان الجواب للسابق منهما. وجواب الثاني محذوف ، ولذلك كان

فعل الشرط ماضي للفظ ، أو مصحوبا بلم ، وأغنى عنه جواب أما ، هذا مذهب سيبويه. وذهب أبو علي الفارسي إلى أن الفاء جواب إن ، وجواب أما محذوف ، وله قول موافق لمذهب سيبويه. وذهب الأخفش إلى أن الفاء جواب لأما ، والشرط معا ، وقد أبطلنا هذين المذهبين في كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل ، والخطاب في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ، أي لا ترى فيهم يا محمد إلا السلامة من العذاب. ثم لكل معتبر من أمته صلى الله عليه وسلم قبل لمن يخاطبه : ﴿من أصحاب اليمين﴾ . فقال الطبري : المعنى : فسلام لك أنت من أصحاب اليمين. وقال قوم : المعنى : فيقال لهم : مسلم لك إنك من أصحاب اليمين. وقيل : فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين ، أي يسلمون عليك ، كقوله : ﴿إلا قيلا سلاما سلاما﴾ . والمكذبون الضالون هم أصحاب المشأمة ، أصحاب الشمال. وقرأ الجمهور : وتصلية رفعا ، عطفا على ﴿فنزل﴾ ؛ وأحمد بن موسى والمنقري واللؤلؤي عن أبي عمرو : بحر عطفا على ﴿من حميم﴾ . ولما انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آل إليه كل قسم منهم ، أكد ذلك بقوله : ﴿إن هاذا﴾ : أي إن هذا الخبر المذكور في هذه السورة ﴿لهو حق اليقين﴾ ، فقيل : هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة ، كما تقول : هذا يقين اليقين وصواب الصواب ، بمعنى أنها نهاية في ذلك ، فهما بمعنى واحد أضيف على سبيل المبالغة. وقيل : هو من إضافة الموصوف إلى صفته جعل الحق مباينا لليقين ، أي الثابت المتيقن.

ولما تقدم ذكر الأقسام الثلاثة مسهبا الكلام فيهم ، أمره تعالى بتنزيهه عن ما لا يليق به من الصفات. ولما أعاد التقسيم موجزا الكلام فيه ، أمره أيضا بتنزيهه وتسبيحه ، والإقبال على عبادة ربه ، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء. ويظهر أن سبح يتعدى تارة بنفسه ، كقوله : ﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ ، ويسبحوه ؛ وتارة بحرف الجر ، كقوله : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ ، والعظيم يجوز أن يكون صفة لاسم ، ويجوز أن يكون صفة لربك.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٠٧." (١)

"وقرأ الجمهور : ﴿من تفاوت﴾ ، بألف مصدر تفاوت ؛ وعبد الله وعلقمة والأسود وابن جبير وطلحة والأعمش : بشد الواو ، مصدر تفوت. وحكى أبو زيد عن العربي : تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها ، والفتح والكسر شاذان. والظاهر عموم خلق الرحمن من الأفلاك وغيرها ، فإنه لا تفوت فيه ولا فطور ، بل كل جار على الإتقان. وقيل : المراد في ﴿خلق الرحمان﴾ السموات فقط ، والظاهر أن قوله تعالى : ﴿ما

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١٦٢/٨

ترى ﴾ استئناف أنه لا يدرك في خلقه تعالى تفاوت ، وجعل الزمخشري هذه الجملة صفة متابعة لقوله : ﴿طباقا﴾ ، أصلها ما ترى فيهن من تفاوت ، فوضع مكان الضمير قوله : ﴿خلق الرحمان﴾ تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت ، وهو أنه خلق الرحمن ، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المناسب. انتهى. والخطاب في ترى لكل مخاطب ، أو للرسول صلى الله عليه وسلم. ولما أخبر تعالى أنه لا تفاوت في خلقه ، أمر **بترديد البصر في** الخلق المناسب فقال : ﴿فارجع﴾ ، ففي الفاء معنى التسبب ، والمعنى : أن العيان يطابق الخبر. و، قال مجاهد : الشقوق ، فطر ناب البعير : شق اللحم وظهر ، قال الشاعر :

بنى لكم بلا عمد سماءوسواها فما فيها فطور

وقال أبو عبيدة : صدوع ، وأنشد قول عبيد بن مسعود :

شققت القلب ثم رددت فيههواك فليط فالتأم الفطور

وقال السدي : خروق. وقال قتادة : خلل ، ومنه التفطير والانفطار. وقال ابن عباس : وهن وهذه تفاسير متقاربة ، والجملة من قوله : ﴿البصر هل ترى من فطور﴾ في موضع نصب بفعل معلق محذوف ، أي فانظر هل ترى ، أو ضمن معنى ﴿فارجع البصر﴾ معنى فانظر ببصرك هل ترى ؟ فيكون معلقا. ﴿ثم ارجع البصر﴾ : أي رده كرتين هي تثنية لا شفع الواحد ، بل يراد بها التكرار ، كأنه قال : كرة بعد كرة ، أي كرات كثيرة ، كقوله : لبيك ، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض ، وأريد بالتنثية التكثىر ، كما أريد بما هو أصل لها التكثير ، وهو مفرد عطف على مفرد ، نحو قوله :

لو عد قبر وقبر كان أكرمهمبيتا وأبعدهم عن منزل الذام

٢٩٨

يريد : لوعدت قبور كثيرة. وقال ابن عطية وغيره : ﴿كرتين﴾ معناه مرتين ونصبها على المصدر. وقيل : أمر **برجع البصر إلى** السماء مرتين ، غلط في الأولى ، فيستدرك بالثانية. وقيل : الأولى ليرى حسنها واستواءها ، والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها. وقرأ الجمهور : ﴿ينقلب﴾ جزما على جواب الأمر ؛ والخوارزمي عن الكسائي : برفع الباء ، أي فينقلب على حذف الفاء ، أو على أنه موضع حال مقدرة ، أي إن **رجعت البصر وكررت النظر لتطلب** فطور شقوق أو خللا أو عيبا ، رجع إليك مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها ، وهو كال من **كثرة النظر** ، وكلاله يدل على أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد ، لأنه لا **يكل البصر بالنظر** مرتين اثنتين. والحسير : الكال ، قال الشاعر :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٩٦

لهن الوجى لم كر عونا على النوبولا زال منها ظالع وحسير

يقال : حسر بعيره يحسر حسورا : أي كل وانقطع فهو حسير ومحسور ، قال الشاعر يصف ناقة :

فشطرها نظر العينين محسور

أي : ونحرها ، وقد جمع حسير بمعنى أعيا وكل ، قال الشاعر :

بها جيف الحسرى فأما عظامها

البيت.

﴿السمآء الدنيا﴾ : هي التي نشاهدها ، والدنو أمر نسبي وإلا فليست قريبة ، ﴿بمصابيح﴾ : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح ، ومصابيح مطلق الأعلام ، فلا يدل على أن غير سماء الدنيا ليست فيها مصابيح. ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ : أي جعلنا منها ، لأن السماء ذاتها ليست يرجم بها الرجوم هذا إن عاد الضمير في قوله : ﴿وجعلناهآ﴾ على السماء. والظاهر عوده على مصابيح. ونسب الرجم إليها ، لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها ، والكواكب قار في ملكه على حاله. فالشهاب كقبس يؤخذ من النار ، والنار باقية لا تنقص. والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع ، وأن الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب ، كما تقدم في سورة الحجر وسورة والصافات. وقيل : معنى رجوما : ظنونا لشياطين الإنس ، وهم المنجمون ينسبون إلى النجوم أشياء على جهة الظن من جهالهم ، والتمويه والاختلاق من أزكيائهم ، ولهم في ذلك تصانيف تشتمل على خرافات يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ، ويعملون موالد يحكمون فيها بالأشياء لا يصح منها شيء. وقد وقفنا على أشياء من كذبهم في تلك الموالد ، وما يحكونه عن أبي معشر وغيره من شيوخ السوء كذب يغرون به الناس الجهال. وقال قتادة : خلق الله تعالى النجوم زينة للسماء ورجوما للشياطين ، وليهتدي بها في البر والبحر ؛ فمن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلف وأذهب حظه من الآخرة. والضمير في لهم عائد على الشياطين.

." (١)

"٥٠٨

قوله عز وجل " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " يعني يكفوا أبصارهم و " من " صلة في الكلام " ويحفظوا فروجهم " عما لا يحل لهم وقال أبو العالية الرياحي كلما ذكر حفظ الفرج في القرآن أراد به الحفظ عن

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٢٤/٨

الزنى إلا ها هنا فإن المراد به ها هنا الستر **عن النظر يعني** قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عن عورات النساء ويحفظوا فروجهم عن أبصار الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والأخرى عليك وروي عن عيسى إبن مريم أنه قال إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة فذلك قوله " ذلك أزكى لكم " وأطهر من الريبة يعني **غض البصر والحفظ** خير لكم من ترك الحفظ والنظر ثم قال " إن الله خبير بما يصنعون " يعني عالم بهم

قوله عز وجل " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن " يعني يحفظن أبصارهن عن الحرام " ويحفظن فروجهن " عن الفواحش " ولا يبدين زينتهن " يءني لا يظهرن مواضع زينتهن " إلا ما ظهر منها " روى سعيد بن جبير عن إبن عباس أنه قال وجهها وكفيها وهكذا قال إبراهيم النخعي وروي أيضا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت الوجه والكفان وهكذا قال الشعبي وروى نافع عن إبن عمر أنه قال الوجه والكفان وقال مجاهد الكحل والخضاب وروى أبو صالح عن إبن عباس الكحل والخاتم وروي عن إبن عباس في رواية أخرى " إلا ما ظهر منها " يعني فوق الثياب وروى أبو إسحاق عن إبن مسعود أنه قال ثيابها وروي عن إبن مسعود رواية أخرى أنه سئل عن قوله " إلا ما ظهر منها " فتقنع عبد الله بن مسعود وغطى وجهه وأبدى عن إحدى عينيه

قوله تعالى " وليضربن بخمرهن " يعني ليرخين بخمرهن " على جيوبهن " يعني على الصدر والنحر قال إبن عباس وكن النساء قبل هذه الآية يبدين خمرهن من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت هذه الآية سدلن الخمر على الصدر والنحر

ثم قال " ولا يبدين زينتهن " يعني لا يظهرن مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة " إلا لبعولتهن " يعني لأزواجهن " أو آبائهن " يعني يجوز **للآباء النظر إلى** مواضع زينتهن " أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن " وقد ذكر في الآية بعض ذوي الرحم المحرم فيكون فيه دليل على ما كان بمعناه لأنه لم يذكر فيها الأعمام والأخوال ولكن الآية إذا نزلت في شيء فقد نزلت فيما هو في معناه والأعمام والأخوال بمعنى الإخوة وبني الإخوة لأنه ذو رحم محرم وقد ذكر الأبناء في آية أخرى وهي قوله " لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن "]

الأحزاب : ٥٥]

والنظر إلى النساء على أربع مراتب في وجه **يجوز النظر إلى** جميع أعضائها وهي." [1]

٣٦٧"

ثم قال عز وجل " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " يعني هل جزاء التوحيد وهو قول لا إله إلا الله إلا الجنة ويقال هل جزاء من خاف مقام ربه إلا هاتان الجنتان اللتان ذكرناها في الآية

ثم قال " فبأي آلاء ربكما تكذبان " يعني فكيف تنكرون نعمة ربكم حيث جعل ثواب إحسانكم الجنة وبين لكم لكي تحسنوا وتنالوا ثواب الله وإحسانه

سورة الرحمن ٦٢ - ٦٩

ثم قال عز وجل " ومن دونهما جنتان " يعني من دون الجنتين اللتين ذكرهما جنتان أخروان فالأوليان جنة النعيم وجنة عدن والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى " فبأي آلاء ربكما تكذبان " يعني قد ذكر للمتقين جنتين وجنتان أخريان زيادة على الكرامة فكيف تنكرون فضل ربكم وكرامته

ثم وصف الجنتين الأخريين فقال " مدهامتان " يعني خضراوان

ويقال التي تضرب خضرتها إلى السواد " فبأي آلاء ربكما تكذبان " يعني جعل لكم الجنان المخضرة **لأن النظر في** الخضرة **يجلي البصر** ف**كيف** تنكرون وحدانيته

ثم قال " فيهما عينان نضاختان " يعني ممتلئتان فوارتان

وقال القتبي يعني تفوران بالماء والنضخ أكثر من النضح

وقال مجاهد " نضاختان " يعني مملوءتان من الخير لا ينقطعان " فبأي آلاء ربكما تكذبان " يعني كيف تنكرون من جعل لكم فيهما عينان تفوران على الدوام ولا انقطاع لهما

ثم قال عز وجل " فيهما فاكهة ونخل ورمان " يعني في الجنتين الأخريين من ألوان الفاكهة

" فبأي آلاء ربكما تكذبان " معناه في الجنتين الأخريين من ألوان الفاكهة كمثل ما في الأوليين فأنتم تجدون فيها ألوانا من الثمار والفواكه

فكيف تنكرون نعمة ربكم ولا توحدوه

سورة الرحمن ٧٠ - ٧٨

ثم قال عز وجل " فيهن خيرات حسان " يعني في الجنان كلها زوجات حسان

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٢/٥٠٨

وقال الزجاج أصله في اللغة خيرات وقد قرئ بتشديد الياء وقراءة العامة بالتخفيف

وقال مقاتل " خيرات " الأخلاق " حسان " الوجوه " فبأي آلاء ربكما تكذبان " يعني في هذه." (١)

"ص : ١٣

بأرعن مثل الطّود تحسب أنهم وقوف لحاج والرّكاب تهملج

وفي قوله جلّ ذكره : وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ [البقرة : ١٧٩] يريد أن سافك الدّم إذا أقيد منه ارتدع من كان يهمّ بالقتل ، فكان في القصاص له حياة وهو قتل.

وأخذه الشاعر فقال «١» :

أبلغ أبا مالك عنّي مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفّوا عن القتل ، فكان في ذلك حياة.

وأخذه المتمثّلون فقالوا : «بعض القتل إحياء للجميع» «٢».

وقالوا : «القتل أقلّ للقتل» «٣».

وتبيّن قوله في وصف خمر أهل الجنة : لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَلا يُنْزِفُونَ (١٩) [الواقعة : ١٩] كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقوله : (و لا ينزفون) عدم العقل ، وذهاب المال ، ونفاد الشراب.

وقوله : وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ (٤٣) [يونس : ٤٢ ، ٤٣] كيف دلّ على فضل السّمع على البصر ، حين جعل مع الصمم فقدان العقل ، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر.

وقوله : إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ [النساء : ١٤٥ ، ١٤٦] فدلّ على أن المنافقين شرّ من كفر به ، وأولاهم بمقته ، وأبعدهم من الإنابة إليه ، لأنه شرط عليهم في التوبة : الإصلاح والاعتصام ، ولم يشرط ذلك على غيرهم.

ثم شرط الإخلاص ، لأن النّفاق ذنب القلب ، والإخلاص توبة القلب.

---

(١) البيت من البسيط ، وهو لهمام الرقاشي في مقاييس اللغة ٤/ ٣٧٧ ، والبيان والتبيين ٢/ ٣١٦ ،

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٣/٣٦٧

٣/ ٢٠٢ ، ٤/ ٨٥ ، والخزانة ٣/ ٣٤٥ ، ولعصام بن عبيد الزماني في تاج العروس (غلل) ، ولأبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار ١/ ٩١ ، ولهشام الرقاشي في العقد الفريد ١/ ٨٠ ، وبلا نسبة في لسان العرب (غلل).

(٢) انظر البيان والتبيين ٢/ ٣١٦ ، وفيه بلفظ : وقال بعض الحكماء : قتل البعض إحياء للجميع.

(٣) انظر كتاب الصناعتين ، وفيه بلفظ : القتل أنفى للقتل.." (١)

"فإن قيل : هلاّ قيل : صفراء فاقعة ؟ وأي فائدة في ذلك اللون ؟ فالجواب : فائدته التأكيد ؛ لأن اللون اسم للهَيْئَةِ ، وهي الصّفرة ، فكأنه قال : شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك : جدّ جدّه.

وعن وهب : إذا نظرت إليها خُيِّل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جِلْدِهَا ، فمعنى قوله : " تَسُرُّ النَّاظِرِينَ " أي : يعجبهم حسنها وصَفَاءُ لونها ، لأن العين تسر بالنظر إلى الشيء الحسن.

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : من لبس نعلاً صفراء قلّ همه ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

قال الكسائي ؛ يقال : فَقَع لونها يَفْقَعُ فُقُوعاً ، إذا خَلَصَت صفرته ، والإفْقَاع : سوء الحال ، وفَوَاقِعُ الدهر : بَوَائِقُه ، وفَقَّع بأصابعه : إ ذا صوَّت ، ومنه حديث أبن عباس : " نَهَى عن التَّفقيع في الصلاة " ، وهي الفرقعة ، هي غَمْزُ الأصابع حتى تُنْقِض ، قاله القرطبي.

واختلفوا هل كانت جميعها صفراء حتى قُرونها وأظلآفها ، أو الصفرة المعتادة ؟ قولان.

وفي قوله " فاقع " لطيفة ، وهي أنه وصفها باسم الفاعل الذي هو نعت للدوام والاستمرار.

يعني : في الماضي والمستقبل.

وفي قوله : " تَسُرُّ " لطيفةٌ ، وهي أنه أتى بصيغة المضارع وهو يقتضي التجدُّد والحدوث ، بخلاف الماضي.

وفي قوله : " النَّاظرين " آية لطيفة ، وهي أنه أتى بصيغة الجمع المُحَلّى بالألف واللام ، ليعمّ كلّ ناضر منفردين ومجتمعين.

وقيل : المراد بالنظر نظر البصر للمرء والمرأة أو المراد به النظر بعين اليقين ، وهو التفكر في المخلوقات.

قوله : ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ جلمة في محل رفع صفة لـ " بقرة " أيضاً ، وقد تقدم أنه يجوز أن تكون خبراً عن " لونها " بالتأويلين المذكورين.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/١٣

و " السرور " لذّة في القلب عند حصول نفع أو توقّعه ، ومنه [السرير] الذي يُجْلس عليه إذا كان لأولي النعمة ، وسرير الميت تشبيهاً به في الصورة وتفاؤلاً بذلك.

قوله : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَّنَا مَا هِيَ﴾ تقرير للسؤال عن حالها وصفتها ، واستكشاف زائد ، ليزدادوا بياناً لوصفها ، وفي مصحف عبد الله : " سل لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ وما صفتها ".

قوله : ﴿إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ البَقَر : اسم إن ، وهو اسم جنس كما تقدم.

وقرأ محمد ذو الشامة الأموي : " إنّ البَاقِرَ " وهو جمع البَقَر ك " الجَامِل " جماعة الجَمَل ؛ قال الشاعر : [الكامل] ٥٨٤. مَالِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مُوحِشاً

خَلِقاً كَحَوْضِ البَاقِرِ المُتَهَدِّمِ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

قال قطرب : " يقال لجمع البقرة : بَقَر وبَاقِر وبَاقُور وبَيْقُور ".

وقال الأَصْمَعِيّ : " الباقر " جمع باقرة ، قال : ويجمع بقر على بَاقُورة ، حكاه النّحاس.

قال القرطبي : والباقر والبقر والبيقور والبقير لُغَات بمعنى واحد والعرب تذكره وتؤنثه ، وإلى ذلك ترجع معاني القراءات في " تشابه ".

و " تشابه " جملة فعلية في محلّ رفع خبر ل " إن " ، وقرىء : " تَشَّابَهُ " مشدَّداً ومخفَّفاً ، وهو مضارع الأصل : " تَتَشَابَهُ " بتاءين ، فَأُدْغِمَ تارةً ، وحذف منه أخرَى ، وكلا الوجهين مقيس.

وقرىء أيضاً : " يَشَّابَهُ " بالياء من تحت ، [وأصله : يَتَشَابَهُ فأدغم أيضاً ، وتذكير الفعل وتأنيثه جائزات ؛ لأن فاعله اسم جنس] وفيه لغتان : التذكيرُ والتأنيثُ ، قال تعالى : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٧] فَأَنَّث ، و ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر : ٢٠] فذكر ، وقيل : ذكر الفعل لتذكير لفظ " البقرة " ؛ كقوله : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

وقال المبرِّد : سئل سِيبَوَيْهِ عن هذه الآية ، فقال : "كل جمع حروفه أقل من حروف وَاحِده ، فإن العرب تذكره " ؛ واحتج بقول الأعشى : [البسيط] ٥٨٥. وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلْ

[وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ]

ولم يقل : " مرتحلون ".

وفي " تشابه " قراءاتك " تَشَابَهَ " بتخفيف الشين وفتح الباء والهاء ، وهي قراءة العامة.

و " تَتَشَابَه " بتاءين على الأصل.

و " تَشَّبَّه " بتشديد الشين والباء من غير ألف ، والأصل : تَتَشَبَّهُ.

و " تَشَابَهَتْ " على وزن " تَفَاعلت " وهو في مصحف أُبَيّ كذلك أَنَّثه لتأنيث البقرة.

و " مُتَشَابِهَة " و " مُتَشَبِّهة " على اسم الفاعل من تشابه وتشبّه.

وقرىء : " تَشَبَّهَ " ماضياً.

وقرأ ابن أبي إسحاق : " تَشَّابَهَتْ " بتشديد الشين ، قال أبو حاتم : هذا غلط ، لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلاّ في المضارع..

وهو معذور في ذلك.

وقرىء : " تَشَّابَهَ " كذلك ، إلاّ أنه بطرح تاء التأنيث ، ووجهها على إشكالها أن يكون الأصل : إن القرة تشابهت ، فالتاء الأولى من البقرة و [التاء] الثانية من الفعل ، فلما اجتمع مثلان أدغم نحو : الشجرة تمايلت ، إلاّ أنه يُشكِل أيضاً في تَشَّابَه من غير تاء ؛ لأنه كان يجب ثبوت علامة التأنيث.

وجوابه : أنه مثل : [المتقارب] ٥٨٦.....................

وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

." (١)

"قال أَبُو حَيَّان : وشرحه هذا على التحقيق مُتَضَادّ ؛ لأنه شرح " قَدْ نَرَى " بـ " رُبَّمَا نَرَى " ، و " ربّ " على مَذْهب المحققين إنما تكون لِتَقْلِيل الشَّيْءِ في نَفْسِه ، أو لتقليل نَظِيره.

ثُمَّ قال : " ومعناه كثرةُ الرُّؤْيةِ " فهو مضادٌّ لمدلولِ " رُبّ " على مذهب الجمهور.

ثم هذا الذي ادَّعاه من كثرة الرؤية لا يدل عليه اللفظ ، لأنه لم توضع للكثرة " قد " مع المضارع ، سواء أريد به المضي أم لا ، وإنَّما فُهِمَتِ الكَثْرة من متعلّق الرؤية ، وهو التقلب.

قوله : " في السَّمَاءِ " في متعلّق الجار ثلاثةُ أَقْوالٍ : أحدهما : أنه المصدرُ ، وهو " تَقَلُّب " ، وفي " في " حينئذٍ وَجْهَان : أحدهما : أنها على بَابِهَا من الظرفية ، وهو الواضِحُ.

والثَّاني : أنها بمعنى " إِلَى " أي : إلى السَّمَاءِ ولا حاجةَ لذلك ، فإنَّ هذا المصْدَرَ قد ثَبَت تعديه بـ " في " ، قال تعالى : ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ﴾ [آل عمران : ١٩٦].

والثاني من الأقوال : أنه " نَرَى " ، وحينئذٍ تَكُون " فِي " بمعنى " مِنْ " أي : قد نرى من السَّماءِ ، وذِكْرُ السماءِ وإن كان تَعَالى لا يتحيّز في جِهَةٍ على سَبيل التشريفِ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٣٦

والثالث : أنه محل نَصْب على الحَال من " وَجْهِكَ " ذكره أَبُوا البَقَاءِ ، فيتعلّق حينئذ بمحذُوفٍ ، والمصدرُ هنا مضافٌ على فَاعِله ، ولا يجوزُ أنْ يكُونَ مُضَافاً إلى مَنْصُوبه ؛ لأنه مصدرُ ذلك التقلِيبِ ، ولا حَاجَةَ إلى حَذْفٍ ، ومِنْ قَوْلِه : " وَجْهَكَ " وهو بَصَر وَجْهِك ، لأن ذلك لا يكاد يستعمل ، بل ذكر الوجه ؛ لأنه أشرف الأعضاء ، وهو الذي يقبله السَّائل في حاجته ، وقيل : كنى بالوجه عن البصر ؛ لأنه محلّه.

قوله : ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ " الفَاء " هنا لِلتَّسَبُّب وهو وَاضِحٌ ، وهذا جوابُ قَسَم مَحْذُوفٍ ، أيْ : فواله لنولّينَّكَ ، و " نُوَلِّي " يتعدّى لاثْنين : الأولُ الكَافُ ، والثَّاني " قِبْلَةً " و " تَرْضَاهَا " الجملة في محلّ نَصْبٍ صفةً لـ " قبلة ".

قال أَبُو حَيَّان : وهذا ؛ يعني : " فَلَنولّينك " يدلّ على أن الجملةَ السابقةَ محذوفة تقديرهُ : قَدْ نَرَى تقلّ وَجْهِكَ في السَّماء طَالِباً قبلة غير التي أَنْت مُسْتقبلها.

٣٠

فصل في الكلام على الآية في الآية قَوْلاَنِ : القولُ الأولُ : وهو المشهورُ الذي عليه أَكْثر المُفَسّرين أن ذلك كان لانتظارِ تَحْويله من " بيتِ المقْدِس " إلى الكَعْبة ، وذكروا في ذلك وجوهاً : أحدها : أنه كان يكره التوجّه إلى بيت المقْدِس ، ويحبّ التوجّه إلى الكَعْبة ، إلاّ أنه ما كان يتلكَّم بذلك ، فكان يقلّب وجْهَهُ في السَّماء لهذا المعنى.

رُوي عن عباس أنه [صلى الله عليه وسلم] قال : " يَا جِبريلُ وَدِدْتُ أنَّ اللَّهَ – تَعَالى – صَرَفَنِي عَنْ قِبْلَةِ اليَهُود ، إلَى غَيْنِهَا فَقَدْ كَرِهْتُهَا " فقال جبريلُ عليه الصلاة والسلام " أنَا عَبْدٌ مِثْلُكَ فَاسْأَلْ ربَّكَ ذَلِكَ ".

فجَعَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُدِيمُ النَّظَرَ إلى السماء ؛ رجاء مجيء جِبْرِيلَ بما سأَلَ ، فأَنْزل الله تعالى هذه الآية ، وهؤلاءِ ذكروا في سببِ هذه المِحْنة أموراً : الأولُ : أنَّ اليَهُودَ كانوا يَقُولُونَ : إنه يُخَالِفُنَا ، ثم إنه يتبع قِبْلَتَنا ، ولولا نحْنُ لم يدر أَيْن يستقبل.

فعند ذلك كَرِهَ أن يتوجّه إلى قِبْلتهم.

الثَّاني : أنَّ الكَعْبة كانتِ قِبْلة إبْراهيم عليه الصلاة والسلام.

[الثَّالث : أنه – صلوات الله وسلامه عليه – كان يقدّرُ أن يَصِير ذلك سبباً لاسْتمالة العرب ، ولدخولهم في الإسلامِ.

الرَّابع : أنه – عليه الصلاة والسلام – أَحَبَّ] أن يحصل هذا الشرفُ للمسجدِ الذي في بلْدَتِهِ ومَنْشَئه لا في مسجدٍ آخر.

واعترض القَاضِي على هذا الوجْهِ ، وقال : إنه لا يَلِيقُ به – عليه الصلاة والسلام – أن يكره قِبْلَةً أُمِرَ أَنْ يُصَلِّي إليها ، ويحبّ أن يحوله ربُّه عنها إلى قِبْلَةٍ يَهْوَاها بطبْعِه ، ويميلُ إِلَيْها بحسب شَهْوتِهِ ؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – علم أنَّ الصَّلاحَ في خلاف الطَّبْعِ والمَيْلِ.

قال ابنُ الخَطِيب : وهذا قليلُ التحْصِيل ؛ لأنَّ المُسْتنكرَ من الرسول – عليه الصلاة والسلام – أن يعرض عما أمره الله – تعالى – به ، ويشتغل بما يدعوه طبعه إليه.

فأما أن يميل قلبه إلى شيء ، فيتمنى في قلبه أن يأذن الله له فيه ، فذلك مما لا إنكار

٣١

". (١)

"الأول : وعَلَيْه الأَكْثَرُونَ : أَنَّ فائدته إبطالُ ما كان علَيْه الجاهليَّةُ من أنهم كانوا يقتُلُون بِالعَبْدِ منهم الحُرَّ من قبيل القَاتِلِ ، ففائدةُ التخصيص زجْرُهُم عن ذلك ، وللقائلين بالقَوْلِ الأَوَّل : أَنْ يقولُوا : قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ يمنَعُ مِنْ جواز قَتْل الحرِّ بالعبد ، لأَنَّ القِصَاص عبارةٌ عن المُساواة ، وقتل الحُرِّ بالعبد لم يحصُلْ فيه رعايةُ المُسَاواة ، لأَنَّهُ زائدةٌ علَيْه في الشَّرف ، وفي أهليَّة القضاء ، والإمامة ، والشهادَة ؛ فوجب ألاَّ يُشْرعَ ، أقْصَى ما في البَاب أنه ترك العَمَل بهذا النَّصِّ في قتْل العَالِمِ بالجاهِلِ ، والشَّريف بالخَسِيس بالإجْماع إلاَّ أَنَّهُ يبقَى في غير محلِّ الإجماع على الأَصلِ ، ثم إنْ سلَّمنا أنَّ قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ يوجِبُ قتْل الحر بالعَبْد ، إلاَّ أنَّا بَيَنَّا أنَّ قوله : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ يمنَعُ مِنْ جواز قَتْل الحُرّ بالعبد ؛ لأَنَّ هذا خاصٌّ ، وما قبله عامٌّ ، والخاصُ مقدَّم على العامِّ ، ولا سيَّما إِذَا كان الخاصُّ متَّصلاً بالعامِّ في اللَّفْظِ ، فإنه يكون بمنزلة الاستثناءِ ، ولا شَكَّ في وُجُوب تقديمة على العامّ.

الوجه الثاني : من بيان فائدَة التَّخصيص : نَقَلهُ محمَّد بنُ جَرِيرٍ ، عن عليِّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – والحسَن البصرِّ : أنَّ هذه الصُّور هي التي يكْتفي فيها بالقصاصِ ، بل لا بُدَّ من التراجع ، إلاَّ أَنَّ أَكْثَرَ المحقِّقين زعم أنَّ هذا النَّقل لم يصحَّ عن عليّ – رضي الله عنه – وهو أيضاً ضعيفٌ عند النَّظَر لأَنَّه قد ثبت أَنَّ الجماعَةَ تُقْتَل بالواحِدِ ، ولا تراجع ، فكذلك يُقْتَل الذَّكَر بالأُنْثَى ، ولا تَرَاجُع.

قوله " فَمَنْ عُفِيَ " يجوز في " مَنْ " وجهان : أحدهما : أن تكون شرطيَّةً.

والثاني : أن تكون موصولةً ، وعلى كلا التقديرين ، فموضعها رفعٌ بالابتداء ؛ وعلى الأَوَّل : يكون " عُفِيَ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٢٩

" في محلِّ جزم بالشَّرط ؛ وعلى الثَّاني : لا محلَّ له ، وتكون الفاء واجبةً في قوله : " فَاتِّبَاعٌ " على الأوَّل ، ومحلُّها وما بعدها الجَزم وجائزةٌ في الثَّاني ، ومحلُّها وما بعدها الرفع على الخبر ، والظاهر أَنَّ " مَنْ " هو القاتِلُ ، والضمير في " لَهُ وأخيه " عائدٌ على " مَنْ " و " شيء " هو القائِمُ مقام الفاعل ، والمرادُ به المصدر ، وبني " عُفِيَ " للمفعول ، وإِنْ كان قاصراً ؛ لأن القاصر يتعدَّى للمصدر ؛ كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة : ١٣] ، والأخ هو المقتولُ ، أو وليُّ الدم ، وسمَّاه أخاً للقاتِل ؛ استعطافاً عليْه ، وهذا المصدر القائمُ مقام الفاعل المرادُ به الدَّمُ المعفُوُّ عنه ، و " عُفِيَ " يتعدّى إلى الجاني ، وإلى الجناية بـ " عَنْ " ؛ تقول : " عَفَوْتُ عَنْ زَيْدٍ ، وعَفَوْتُ عَنْ ذَنْبِ زَيْدٍ " فإذا عدي إليهما معاً ، تعدَّى إلى الجاني بـ " اللام " ، وإلى الجناية بـ " عَنْ " ؛ تقول " عَفَوْتُ لِزَيْدٍ عَنْ ذَنْبِهِ " ، والآية من هذا الباب ، أي : " فمَنْ عُفِيَ له عَنْ جنايتِهِ " وقيل : " مَنْ " هو وليُّ أي مَنْ جُعِلَ له من دم أخيهِ بدلُ الدمِ ، وهو القِصَاص ، أو الدِّيَةُ ،

٢٢٠

(١) ".

"وليس المراد هنا بالنظر تردد العين ؛ لأنَّ المعنى ليس عليه ؛ واستدلَّ بعضهم على ذلك **بأن النظر بمعنى البصر يتعدَّى** بـ " لى " ، ويضاف إلى الوجه ، وفي الآية الكريمة متعدٍّ بنفسه ، وليس مضافاً إلى الوجه ، ويعني بإضافته إلى الوجه قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] فيكون بمعنى الانتظار ، وهذا ليس بشيء ، أما قوله : إن الذي **بمعنى البصر يتعدَّى** بـ " إلى " فمسلم ، وقوله : " وهو هنا متعدٍّ بنفسه " ممنوعٌ ، إذ يحتمل أن يكون حرف الجر وهو " إِلَى " محذوفاً ؛ لأنه يطَّرد حذفه مع " أَنْ " و " أَنَّ " ، إذا لم يكن لبسٌ ، وأمَّا قوله : " يُضَافُ إلى الوَجْهِ " ، فممنوعٌ أيضاً ، إذ قد جاء مضافاً للذات ؛ قال تعالى : ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ﴾ [الغاشية : ١٧].

والضمير في " يَنْظُرُونَ " عائدٌ على المخاطبين بقوله : " زَلَلْتُمْ " فهو التفاتٌ.

قوله : ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ﴾ هذا مفعول " يَنْظُرُونَ " وهو استثناءٌ مفرَّغٌ ، أي : ما ينظرون إلا إتيان الله.

والمعنى ما ينظرون ، يعني التاركون الدخُّول في السِّلم.

قوله تعالى : " في ظُلَلٍ " فيه أربعة أوجهٍ : أحدها : أن يتعلَّق بيأتيهم ، والمعنى : يأتيهم أمره أو قدرته أو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٥٢٥

عقابه أو نحو ذلك ، أو يكون كنايةً عن الانتقام ، إذ الإتيان يمتنع إسناده إلى الله تعالى حقيقةً.
والثاني : أن يتعلَّق بمحذوف على أنه حال ، وفي صاحبها وجهان : أحدهما : هو مفعول يتيهم ، أي : في حال كونهم مستقرين في ظلل ، وهذا حقيقة.
٤٨١
والثاني : أنه الله تعالى بالمجاز المتقدِّم ، أي : أمر الله في حال كونه مستقراً في ظلل.
الثالث : أن تكون " في " بمعنى الباء ، وهو متعلقٌ بالإتيان ، أي : إلاَّ أن يأتيهم بظلل ؛ ومن مجيء " في " بمعنى الباء قوله : [الطويل] ١٠٢٩ - ....
خَبِيرُونَ في طَعْنِ الكُلَى وَالأَبَاهِرِ
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٠
لأنَّ " خَبِيرِينَ " إنَّما يتعدَّى بالباء ؛ كقوله : [الطويل] ١٠٣٠ - ....
فَإنَّني
خَبِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
." (١)

"والرؤية - هنا - فيها رأيان : أحدهما : أنها البصرية ، ويؤيد ذلك تأكيده بالمصدر المؤكد ، وهو قوله : " رَأْيَ الْعينِ ".
قال الزمخشريُّ : " رؤية ظاهرة مكشوفة ، لا لبس فيها " ؛ لأن الإدراك عند المعتزلة واجب الحصول عند اجتماع الشرائط ، وسلامة الحاسَّةِ ، ولهذا اعتذر القاضي عن هذا الموضع [بوجوه] : أحدها : أن عند الاشتغالِ بالمحاربةِ لا يتفرغ الإنسان لأن يُدِيرَ حدقته حول العسكر ، وينظر إليهم على سبيل التأمل وثانيها : أنه قد يحصل من الغبار ما يمنع من إدراك البعض.
وثالثها : يجوز أن يقال : إن الله تعالى خلق في الهواء ما منع من إدراك ثلث العسكر ، [فعلى هذا] ، يتعدى لواحد ، ومثليهم نصب على الحالِ.
الثاني : أنها من رؤية القلبِ ، فعلى هذا يكون " مِثْلَيهِم " مفعولاً ثانياً ، وقد ردّه أبو البقاء فقال : ولا يجوز أن تكون الرؤية من رؤية القلب - على كل الأقوال - لوجهين : أحدهما : قوله : " رأي العين ".
الثاني : أن رؤية القلب علم ، ومحال أن يُعْلَمَ الشيء شَيْئَين.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٦٦١

وأجيب عن [الوجه] الأول بأن انتصابةَ انتصابُ المصدر التشبيهي ، أي : رأياً مثل رأي العين ، أي : يشبه رأي العين ، فليس إياه على التحقيق ، وعن الثاني بأن الرؤية هنا يُرَاد بها الاعتقاد ، فلا يلزم المحال المذكور ، وإذا كانوا قد أطلقوا العلم – في اللغة – على الاعتقاد – دون اليقين – فلأن يطلقوا عليه الرأيَ أوْلَى وأحْرَى.

ومن إطلاق العلم على الاعتقاد قوله تعالى : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة : ١٠] ؛ إذْ لا سبيلَ إلى العلم اليقيني في ذلك ؛ إذ لا يعلم ذلك إلاَّ اللهُ تعالى ، فالمعنى : فإن اعتقدتموهن ، والاعتقاد قد يكون صحيحاً ، وقد يكون فاسداً ، ويدل على هذا التأويل قراءة من قرأ " تُرَوْنَهُمْ " – بالتاء والياء مبنيًّا للمفعول – ؛ لأن قولهم : أُرَى كذا – بضم الهمزة – يكون فيما عند المتكلم فيه شك وتخمينٌ ، لا يقين وعلم ، فلما كان اعتقاد التضعيف في جمع الكفار ، أو في جمع المؤمنين تضميناً وظناً ؛ لا يقيناً دخل الكلامَ ضربٌ من الشكِّ ، وأيضاً – كما يستحيل حملُ الرؤيةِ هنا على العلم – يستحيل أيضاً حملها على رؤية البصر بعين ما ذكرتم من المحال ، وذلك كما أنه لا يقع العلم غيرَ مطابقٍ للمعلوم ، كذلك لا يقع النظر البصري غير مطابق لذلك الشيء المُبْصَر المنظور إليه ، فكان المراد التخمين والظن ، لا اليقين والعلم ، كذا قيل ، وفيه نظر ؛ لأنا لا نسلم

٦٦

أن البصر لا يخالف المُبْصَر ؛ لجواز أن يحصل خَلَلٌ في البصر ، وسوء في النظر ، فيتخيل الباصر الشيءَ شيئَيْن فأكثر ، وبالعكس.

احتج من قال : إن الرائي هو المشركون بوجوه : الأول : أن تعلُّق الفعل بالفاعل أشدُّ من تعلُّقهِ بالمعفول ، فجَعْلُ أقرب المذكورين السابقين فاعلاً وأبعده ما مفعولاً أوْلَى من العكس ، وأقرب المذكورين هو قوله : ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾.

الثاني : مُقَدَّمُ الآية – وهو قوله ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ خطاب مع الكفار ، فقراءة نافع – بالتاء – تكون خطاباً مع أولئك الكفار ، والمعنى : تَرَوْنَ يا مشركي قريش المسلمين مثليهم ، فهذه القراءة لا تساعد غلا على كون الرائي مشركاً.

الثالث : أن الله تعالى جعل هذه الحالة آية للكفار حتى تكونَ حُجَّةً عليهم ، ولو كانت هذه الحالةُ حاصلة للمؤمن لم يصح جَعْلُها حُجَّةٌ على الكافر.

واحتج من قال : الراءون هم المسلمون بأن الرائين لو كانوا هم المشركين لزم رؤيةُ ما ليس بموجود وهو

محال – ولو كان الراءون هم المؤمنين لزم أن لا يرى ما هو موجود ، وهذا ليس بمحال فكان أولى ، قال ابن مسعودٍ : نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علنيا رجلاً واحداً ، ثم قل‍لهم الله – أيضاً – في أعينهم حتى رَأوْا عدداً يسيراً أقل من أنفسهم ، قال ابن مسعود : " حَتَّى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعينَ ؟ قال : أراهم مائة ، فأسرنا رجلاً منهم ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً ".

فصل وجه النظم أنه – تعالى – لما أنزل الآية المتقدمة في اليهود ، وهي قوله : ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، أظهروا التمرد ، وقالوا : لسنا أمثال قريشٍ في الضعفِ ، وقلة المعرفة بالقتال ، بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما نغلب به كل مَنْ ينازعنا ، فقال تعالى : إنكم – وإن كنتم [أغنياء] ، أقوياء ، أرباب قدرة وعدة فإنكم – ستغلبون ، ثم ذكر – تعالى – ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك ، فقال : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يعني واقعة بدر ؛ فإن الكثرة والعُدَّة كانت للكفار ، والقلة وعدم السلاح من ج‍انب المسلمين ، ثم إن الله تعالى قهر الكفارَ ، ونصر المسلمين ، وهذا يدل على أن النصر بتأييد الله ونصرِه.

٦٧

". (١)

"لمَّا بيَّن البيِّنَاتِ الباهرة ، والدلائل القاهرة المطالب الإلهية عاد إلى تَقْرِير الدَّعْوَةِ والتبليغ والرسالة ، وإنما ذكر الفِعْلَ لشيئين :

٣٥٢

أحدهما : الفصل بالمفعول.

والثاني : كون التأنيث مَجَازِياً.

والبَصَائِرُ : جمع " بَصِيرَة " وهي الدلالة التي توجب إبصار النفوس للشيء ومنه قيل للدَّمِ الدال على القتيل " مبصرة " والبصيرة مُخْتَصَّةٌ بالقلب [كالبَصَرِ للعين ، هذا قول بعضهم.

وقال الراغب : " ويقال لقوة القلب المُدْرِكة : " بَصِيرَةٌ وبَصَرٌ "] قال تبارك وتعالى : ﴿بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة : ١٤] وقال تعالى : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم : ١٧] وتقدَّم تحقيق هذا في أوائل سوة " البقرة ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٩٩١

وأراد بالبَصَائِرِ الآيات المتقدمة ، وهي في نَفْسِهَا لَيْسَتْ بَصَائِرَ إلا أنها لقوتها وجلائهَا تُوجِبُ البصائِرَ لمن عرفه، ، ووقَفَ على حَقَائِقهَا ، فلما كانت سَبَباً لحصول البَصَائِرِ سميت بالبَصَائِرِ.

قوله : " مِنْ رَبِّكُمْ " يجوز أن يتعلَّق بالفعل قبله ، وأن يتعَّق بمحذوف على أنه صِفَةٌ لما قبله ، أي : بصائر كائنة من ربكم و " من " في الوجهين لابتداء الغاية مَجَازاً.

قوله : " فَمَنْ أبْصَرَ " يجوز أن تكون شَرطِيَّةً ، وأن تكون مَوصُولةً فالفاء جواب الشَّرطِ على الأوَّلِ ، ومزِيدَةٌ في الخبر لشبه المَصُولِ باسم الشرط على الثَّانِي ، ولا بُدَّ قبل لام الجرّ من مَحْذُوفٍ يَصِحُّ به الكلام ، والتقدير : فالإبْصَارُ لِنَفْسِهِ ، ومَنْ عَمِيَ فالعَمَى عليها ، فالإبصار والعَمَى مُبْتَدآنِ ، والجارُّ بعدهما هو الخَبَرُ بعدهما هو الخَبَرُ ، والفاء دَاخِلَةٌ على هذه الجملة الواقعة جواباً أو خبراً ، وإنما حُذِف مُبْتَدؤها للعلم به ، وقدَّر الزجاج قريباً من هذا فقال : " فلنفسه نَفْعُ ذلك ومن عَمِيَ فعليها ضَرَرُ ذلك ".

وقال الزمخشري : " فَمَنْ أبصر الحق وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع ، ومن عمي فعليها ، أي : فعلى نفسه عَمِي ، وإياها ضر ".

قال أبو حيَّان : وما قدَّرناه من المصدر أوْلَى ، وهو فالإبصار والعمى لوجهين : أحدهما : أن المَحْذُوفَ يكون مفرداً لا جملة ، والجار يكون عُمْدَةً لا فَضْلَةً ، وفي تقديره هو المحذوف جملة ، والجار والمرجور فَضْلَة.

والثاني : وهو أقوى ، وذلك أنه لو كان التقدير فِعْلاً لم تدخل الفاء سواء كانت شَرطِيَّةً أم موصولة مشبهة بالشرط ؛ لأن الفعل الماضي إذا لم يكن دُعَاءً ولا جَامِداً ، ووقع جوابُ الشَّرطِ أو خبر مبتدأ مُشَبَّهٌ بالشرط لم تدخل الفاءُ في جواب الشرط ، ولا في خبر

٣٥٣

المبتدأ لو قلت : " من جاءني فأكرمته " لم يَجُزْ بخلاف تقديرنا ، فإنه لا بُدَّ فيه من الفاء ، ولا يجوز حذفها إلا في الشعر.

قال شهاب الدين : وهذا التقدير الذي قدَّرهُ الزمخشري سبقه إليه الكَلْبِيُّن فإنه قال : فَمَنْ أبصر صَدَّق وآمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فنلفسه عمل ومَنْ عمي فلم يُصَدِّقْ فعلى نفسه جَنَى العذاب " وقوله : إن الفاء لا تَدْخُلُ فيما ذُكِرَ قد يُنازعُ فيه ، وإذا كانوا فيما يَصْلُحُ أن يكون جواباً صريحاً ، ويظهر فيه أثَرُ الجَازِمِ كالمُضارِعِ يجوز فيه دُخُولُ الفاء نحو : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة : ٩٥] فالماضي بدخولها أوْلَى وأحْرَى.

فصل في بيان عود المنافع للبشر قال القاضي : إنه – تعالى – بيَّن لنا أن المنافِعَ تعودإليها لا لمنافع تعود إلى الله تبارك وتعالى – وأيضاً إن المَرْءَ بِعُدُولِهِ **عن النَّظَرِ يَضُرُّ** بنفسه ، ولم يؤت إلاَّ من قبله لا من قبل ربِّهِ ، وأيضاً إنه متمكِّنٌ من الأمرين ، فلذلك قال : " فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ومَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها " قال : وهذا يبطل قول المجبرة [في أنه – تعالى – يكلف بلا قدرة] وجوابه المعارضة بسؤال الداعي.

قوله : ﴿وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي : برقيب أحْي عليكم أعمالكم ، إنما أنا رَسُولُهُ أبلغكم رِسالاتِ ربي ، وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شَيءٌ من أعمالكم.

فصل في معنى الآية قال المفسرون : هذا كان قبل الأمْرِ بالقتالِ ، فلما أمِرَ بالقتال صار حَفِيظاً عليهم ، ومنهم من يقول : آيَةُ القِتَالِ نَاسِخَةٌ لهذه الآية الكريمة ، وهو بعيد ؛ لأن الأصْلَ عَدَمُ النَّسْخِ.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٥٢

لما شرع في إثبات النُّبُواتِ بدأ بِحِكَايَةِ شُبُهاتِ المنكرين لِنُبُوةِ محمد صلى الله عليه وسلم.

الشُّبْهَةُ الأولَى : قولهم : يا محمد إن هذا القرآن الذي جئْتَنَا به كلامٌ تَستفِيدُهُ من مُدَارَسَةِ العلماء ، وتُنَظِّمُهُ من عند نفسك ، ثمر تقرؤه علينا ، وتزعم أنه وَحْيٌ نُزِّلَ عليك من عند الله تعالى.

و " الكاف " في محلِّ نصب نَعْتٌ لمصدر محذوف ، فقدَّرَهُ الزجاج : ونُصَرِّفَ الآياتِ مِثْلَ ما صَرَّفْنَاها فيما تُلِيَ عليكم ، وقدَّره غيره : نُصَرِّفُ الآيات في غير هذه السُّورةِ

٣٥٤

". (١)

"قال ابن عطيَّة : " جاء ينظرُ على لفظ " مَنْ " ، وإذا جاء على لفظها ، فجائزٌ أن يعطف عليه آخرُ على المعنى ، وإذا جاء أولاً على معناها ، فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ ؛ لأنَّ الكلام يُلبسُ حينئذٍ ".

قال أبو حيَّان : " وليس كما قال ، بل يجُوزُ أن تراعي المعنى أولاً ، فتعيدَ الضَّميرَ على حسبِ ما تريد به من المعنى : من تأنيثٍ ، وتثنيةٍ ، وجمع ، ثم تراعي اللفظ فتعيد الضمير مفرداً مذكراً ، وفي ذلك تفصيل تقدم أول البقرة [البقرة٨].

فصل أخبر – تعالى – في الآية أنَّ الإيمان ، والتَّوفيق به لا بغيره ، فقال : ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بأسماعهم الظاهرة ، ولا ينفعهم ، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يريد : صمم القلب ﴿وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ وَمِنهُمْ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢١٦٣

مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ : بعينه الظاهرة ولا ينفعه ، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ يريد : عَمَى القلب ، ﴿وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ وهذه التَّسلية من الله – عزَّ وجلَّ – لنبيِّه – عليه الصلاة والسلام – يقول : إنَّك لا تقدر أن تسمع من سلبته السَّمع ، ولا أن تَهْدِي من **سلبته البصر ،** ولا أن توفق للإيمان من حكمتُ عليه بأنَّه لا يُؤمن.

والمقصُود : إعلامُ الرَّسُول – عليه الصلاة والسلام – : بأنهم قد بلغُوا في معرض العقل ، إلى حيث لا يقبلُون العلاج ، فالطَّبيبُ إذا رأى مريضاً لا يقبل العلاج ، أعرض عنهُ ، ولم يستوحشْ من عدم قُبُولِهِ للعلاج ، فكذلك أنت لا تستوحش من حالِ هؤلاءِ الكُفَّار.

فصل احتج أهلُ السُّنَّة بهذه الآية : على أنَّ أفعالَ العباد من الله ؛ لأنَّ الآية دلَّت على : أنَّ قلوب الكفار بالنسبة إلى الإيمان ، كالأصمِّ بالنسبة إلى استماع الكلام.

وكالأعْمَى بالنسبة إلى نظر الأشياء ، فكما أنَّ هذا ممتنعٌ ؛ فكذلك حصول الإيمان في القلب ليس باختيارِ الإنسان ، واحتجَّ المعتزلةُ على صحَّة قولهم ، بقوله – تعالى – بعدها : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـاكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس : ٤٤] فدلَّ ذلك على : أنَّه – تعالى ما ألْجَأ أحداً إلى فِعْل القبائح ، ولكنَّهم يقدمُون عليها باختيارهم ، وأجاب الواحدي : " بأنَّه – تعالى – إنَّما نفى الظلم عن نفسه ؛ لأنَّه يتصرف في ملك نفسه ، ومن كان كذلك ، لم يكن ظالماً ، وإنَّما قال : ﴿وَلَـاكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنَّ الفعل منسوبٌ إليهم بسبب الكسب ".

فصل احتجَّ ابن قتيبة بهذه الآية ، على أنَّ السَّمع أفضلُ **من البصر** ؛ لأنَّه – تعالى – قرن بذهاب السَّمع ، ذهاب العقل ، ولم يقرن **بذهاب النَّظَر ،** إلاَّ **ذهاب البصر ،** فكان السَّمْع

٣٣٨

". (١)

"الكسر ، والباقون بضمها نقلوا حركة الهمزة إلى اللاَّم.

قوله : " مَاذَا " يجوز أن يكون " مَاذَا "كله استفهاماً مبتدأ ، و " فِي السَّمَاوَاتِ " خبرهُ أي : أيُّ شيءٍ في السَّموات ؟ ويجوزُ أن تكون " ما " مبتدأ ، و " ذَا " بمعنى الذي ، و " فِي السَّمَاوَاتِ " صلته وهو خبرُ المبتدأ ، وعلى التقديرين فالمبتدأ وخبره في محلِّ نصبٍ بإسقاطِ الخافض لأنَّ الفعل قبله معلقٌ بالاستفهام ، ويجوز على ضعفٍ أن يكون " ماذا "كله موصُولاً بمعنى " الَّذي " وهو في محل نصبٍ بـ "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٧٦٦

انْظُروا ".
ووجهُ ضعفه أنَّهُ لا يخلو : إمَّا أن **يكون النظر بمعنى البصر فيعدَّى** بـ " إلى " ، وإمَّا أن يكون قلبيّاً فيُعَدَّى بـ " في " ، وقد تقدَّم الكلامُ في " ماذا ".
فصل المعنى : قل للمشركين الذين يسألونك عن الإيمانِ : ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ واعلم أنَّه لا سبيل إلى معرفةِ الله تعالى إلاَّ بالنَّظر في الدَّلائل.
قال عليه الصلاة والسلام : " تفكَّرُوا في الخَلْقِ ولا تتفَكَّرُوا في الخالِق " والدَّلائل إمَّا أن تكون من عالمِ السموات ، أو من عالم الأرض ، أمَّا الدلائل السماوية ، فهي حركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها ، وما يختص به كل واحد منها ، وأمَّا الدلائل الأرضية ، **فهي النظر في** أحوال العناصر العلوية ، وفي أحوال المعادن والنبات ، وأحوال الإنسان ، وينقسم كل واحد من هذه الأجناس إلى أنواع لا نهاية لها.
ولو أنَّ الإنسان أخذ يتفكرُ في كيفية حكمة الله تعالى في تخليق جناح بعوضة لانقطع عقلهُ قبل أن يصل إلى أوَّل مرتبة من مراتب تلك الفوائد.
ثم لمَّا أمر بهذا التفكُّر بيَّن بعده أنَّ هذا التَّفكر والتَّدبر في هذه الآيات لا ينفعُ في حقِّ من حكم الله عليه في الأزلِ بأنَّه لا يؤمن فقال : ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾.
قوله : " وَمَا تُغْنِي " يجوز في " ما " أن تكون استفهامية ، وهي واقعةٌ موقع المصدر أي : أيَّ غناءٍ تُغني الآيات ؟ ويجوزُ أن تكون نافيةً ، وهو الظَّاهرُ.
وقال ابن عطية : ويحتملُ أن تكون " ما " في قوله : " وما تُغْنِي " مفعولة بقوله : " انظُرُوا " معطوفة على قوله : " مَاذَا " أي : تأمَّلُوا قدر غناء الآيات والنُّذُر عن الكُفَّار.
قال أبو حيان : وفيه ضعفٌ ، وفي قوله : معطوفةٌ على " ماذا " تجوُّزٌ ، يعنى أنَّ الجملة الاستفهامية التي هي " مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ " في موضع المفعول ؛ لأنَّ " ماذا " وحدهُ منصوبٌ بـ " انظُرُوا " فتكون " مَاذَا " موصلة ، و " انظُرُوا " بصرية لما تقدَّم من أنَّه لو كانت بصرية ب لتعدَّت بـ " إِلَى ".
و " النُّذُرُ " يجوزُ أن يكون جمع " نَذِير " ، المرادُ به المصدر فيكون التقدير : وما تُغْنِي الآياتُ والإنذارات ، وأن يكون جمع " نذير " مراداً به اسم الفاعل بمعنى منذر فيكون التقدير والمُنْذِرُونَ وهم الرُّسُلُ.
وقرىء " وما يُغْنِي " بالياء.
قوله : ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ يعني : مشركي مكَّة إلاَّ مثلَ أيَّام الذين خلوا مضوا " من قَبلِهِمْ " من مُكَذِّبي الأمم.

قال قتادةُ : " يعني وقائع الله في قوم نوح ، وعاد ، وثمود " والعربُ تُسمِّي العذاب والنِّعم أياماً ، كقوله : ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم : ٥] وكُلُّ ما مضى عليك من خَيْرٍ وشرٍّ فهو أيَّام ثم إنَّه تعالى أمره بأن يقول لهم ﴿فَانْتَظِرُوا اْ إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

قوله : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ قال الزمخشريُّ : هو معطوفٌ على كلامٍ محذوف يدلُّ عليه قوله : ﴿إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس : ١٠٢] كأنَّه قيل : نُهلكُ الأمم ثم نُنَجِّي رسلنا ، معطوفٌ عى حكايةِ الأحوالِ الماضية.

قرأ الكسائي في رواية " نصر " نُنْجِيط خفيفة ، والباقون : مشددة ، وهما لغتان ، وكذلك في قوله " نُنْجِ المُؤمنينَ " والمعنى : ننجي رسلنا ، والذين آمنوا معهم عند نزول العذابِ.

معناه : نَجَّينَا ، مستقبلٌ بمعنى الماضي ، ونجَّيْنَا وأنْجَيْنَا بمعنى واحد "كذلِكَ "كما نَجَّيْناهم " حَقًّا " واجباً ﴿عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله : " حقّاً " فيه أوجهٌ : أحدها : أن يكون منصوباً بفعل مُقَدَّر أي : حقَّ ذلك حقّاً.

والثاني : أن يكون بدلاً من المحذوف النَّائب عنه الكافُ تقديره : إنجاء مثل ذلك حقّاً.

والثالث : ان يكون "كذلك " و " حقًّا " منصوبين بـ " نُنْجِ " الذي بعدهما.

والرابع : أن يكون "كَذلِكَ " منصوباً بـ " نُنَجي " الاولى ، و حقّاً بـ " نُنْجِ " الثَّانية.

وقال الزمخشري : مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ، ونهلك المشركين ، وحقّاً علينا اعتراضٌ ، يعني حقَّ ذلك علينا حقّاً.

وقرأ الكسائيُّ وحفصٌ " نُنْجي المؤمنين " مخففاً من أنجى يقال : أنْجَى ونجَّى.

٤١٩

." (١)

"فالجواب من وجوه : الأول : المراد به التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب إن كان غافلاً ، كقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ﴾ [الأنعام : ١٤] ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَاهاً آخَرَ﴾ [القصص : ٨٨].

والثاني : المقصود منه بيان أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظالم ، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوماً للك أحد لا جرم كان عدمُ الانتقام محالاً.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٨١٦

الثالث : أنَّ المراد : ولا تحسبنه يعاملهم الله معاملة الغافل عمَّا يعملون ، ولكن معالمة الرَّقيب عليهم المحاسب على النقير ، والقطمير.

الرابع : أنَّ هذا الخطاب ، وإن كان خطاباً للنبِّ صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه خطاب مع الأمَّة.

قال سفيان بن عيينة . رضي الله عنه . : هذا تسلية للمظلوم ، وتهديد للظَّالم.

قوله : ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي : لأجل يوم ، فاللام للعلَّة.

وقيل : بمعنى " إلى " أي : للغاية.

وقرأ العامة " يُؤخِّرهُمْ " بالياء ، لتقدم اسم الله . تعالى ..

وقرأ الحسن والسلمي ، والأعرج ، [وخلائق] . رضي الله عنهم . : " نُؤخِّرهُم " بنون العظمة.

ويروى عن أبي عمرو " نُؤخِّرُهمْ " بنون العظمة.

و " تَشْخَصُ " صفلة لـ " يَوْمٍ ".

ومعنى **شُخُوصِ البصرِ حدَّةُ النَّظر ،** وعدم استقراره في مكانه ، ويقال : شَخَصَ سَمْعُه ، وبَصَرُه ، وأشْخَصَهُمَا صَاحِبهُما ، وشَخَصَ بَصَره ، أي : لم يطرف جفنهُ ، **وشخوص البصر يدلُّ** على الحيرة والدهشة ، ويقال : شخص من بلده أي : بعد والشخصُ : سواد الإنسان المرئيّ من بعيد.

قوله : ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ حالان من المضاف المحذوف إذا التقدير : أصحاب الأبصار ، إذا يقال : شَخَسَ زَيْدٌ بصرهُ ، أو تكون الأبصار دلَّت على أربابها فجاءت ا لحال من المدلول عليه ، قالهما أبو البقاءِ.

وقيل : " مهْطِعين " منصوب بفعل مقدر ، أي : تبصرهم مهطعين ، ويجوز في " مُقْنِعِي " أن يكون حالاً من الضمير في : " مُهْطِعِينَ " فيكون حالاً ، وإضافة : " مُقْنِعِي " غير حقيقة ؛ فلذلك وقع حالاً.

والإهْطَاعُ : قيل : الإسرْاعُ في المشيِ ؛ قال : [البسيط]

٤٠٦

٣٢٣٥. إذَا دَعانَا فأهْطَعْنَا لِدَعْوتهِ

دَاعٍ سَمِيعٌ فَلفُّونَا وسَاقُونَا

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٠٥

وقال : [الكامل] ٣٢٣٦. وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ عِنانَهُ

فِي رَأْسِ جِذْعٍ.....................

وقال أبو عبيدة : قد يكون الإسراع [مع] إدامة النَّظر.

وقال الراغب : " هَطَعَ " الرَّجلُ بِبصَرِهِ إذَا صَوَّبهُ ، وبَعِيرٌ مُهْطِعٌ إذا صوَّب عُنُقهُ ".

وقال الأخفش : هُو الإقْبَالُ على الإصغاءِ ، وأنشد : [الوافر] ٣٢٣٧. بِدجْلةَ دَراهُم ولقَدْ أرَاهُمْ

بِدجْلةَ مُهْطِعينَ إلى السَّماعِ

والمعنى : مُقبلينَ برءوسهم إلى سماعِ الدَّاعِي.

وقال ثعلبٌ : " هَطَعَ الرَّجلُ إذا نظرَ بذُلِّ وخُشوعٍ لا يقلع بِبصَرِه إلى السماء ".

وهذا موافقٌ لقول أبي عبيدة ؛ فقد سمع فيه : " أهْطَعَ وهَطَعَ " رباعيًّا وثلاثيًّا.

والإقناعُ : رفع الرَّأسِ ، وإدامة النَّظر من غير التفات إلى شغيره ، قاله القتبيُّ ، وابنُ عرفة.

ومنه قوله ـ يصف إبلاً ترعى أعالي الشَّجر ؛ فترفع رءوسها ـ : [الوافر] ٣٢٣٨. يُبَاكِرْنَ العِضاهَ بِمُقنَعَاتٍ

نَواجِذُهُنَّ كالحِدَإ الوَقِيعِ

ويقال : أقْنَعَ رأسه ، أي : طأطأها ، ونكَّسها فهو من الأضداد ، والقَناعةُ : الاجتزاءُ باليسيرِ ، ومعنى قَنَعَ عن كذا : أي : رفع رأسه عن السؤال.

وفَمٌ مُقَنَّعٌ : معطوف الأسنان إليه داخلة ، ورجُلٌ مُقنَّعٌ ـ بالتشديد ـ ، ويقال : قَنِعَ يَقْنَعُ قَناعَةً ، وقَنَعاً ، إذا رَضِيَ ، وقنع قُنُوعاً ، إذا سَألَ ، [فوقع] الفرق بالمصدر.

وقال الراغب : قال بعضهم : أصل هذه الكلمة من القناعِ ، وهو ما يُغطِّي الرَّأس

٤٠٧

والقَانِعُ : من يَلِجُّ في السؤال فيرضى بِما يَأتيهِ ، كقوله : [الوافر] ٣٢٣٩. لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُه فيُغْنِي

مَفَاقِرهُ أعَفُّ مِنَ القُنُوعِ

ورجل مقنَّعٌ : تَقنَّعَ بِهِ ؛ قال : [الطويل] ٣٢٤٠..........................

شُهُودِي على لَيْلَى عُدولٌ مَقانِعُ

". (١)

"أمَّا بيان كمال العلم ، فقوله – تعالى – : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أفاد الحصر بأنَّ العلم بهذه الغيوب ليس إلا لله – تعالى – .

وأما بيان كمال القدرة ، فقوله – عز وجل – : ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ والسَّاعة : هي الوقت

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣١٢٨

الذي تقوم فيه القيامة ، سمِّيت ساعة ؛ لأنَّها تفجأ الإنسان في ساعة يموت الخلق كلهم بصيحة واحدة أي إذا قال له : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] والمراد بـ " لَمْحِ البَصرِ " : طرفةُ العين وهو النظر بسرعة ، يقال : لَمحَهُ بِبصَرِهِ لَمْحاً ولَمحَاناً ، وقيل : أصله من لَمحَانِ البَرْق ، وقولهم : لأرينَّك لَمْحاً بَاصِراً ، أي : أمْراً وَاضِحاً ، والمراد بيان كمال القدرة.

وقوله : ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ليس المراد منه الشَّك ، بل المراد : بل هو أقرب.

قال الزجاج : المراد به : الإبهام على المخاطبين أنه - تعالى - يأتي بالسَّاعة إما بقدر لمح البصر ، أو بما هو أسرع ؛ لأنَّ لمح البَّصر عبارة عن انتقال الطَّرف من أعلى الحدقةِ إلى أسفلها ، والحَدقةُ مركبة من أجزاء لا تتجزَّأ ، فلمح البصر عبارة عن المرور على جملة أجزاءِ الحدقةِ ، ولا شكَّ أنَّ تلك الأجزاء كثيرة ، والزَّمانُ الذي يحصل فيه لمحُ البصر مركب من أزمانٍ متعاقبةٍ ، والله - تعالى - قادرٌ على إقامة القيامة في زمان واحد من تلك الأزمان ؛ فلهذا قال - تعالى - : ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ تنبيهاً على ذلك ، فقوله : ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، أي : أمره ، فالضمير للأمر ، والتقدير : أو أمر الساعة أقرب من لمح البصر.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ نزلت في الكفَّار الذين استعجلوا القيامة استهزاءً.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ١٢٢

قوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ لما بين كمال القدرة والعلم ، عاد إلى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار ، فقال : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

قرأ حمزة والكسائي : " إِمَّهاتِكُمْ " بكسر الهمزة ، والباقون بضمّها ، وأصل

١٢٧

" أمَّهاتِكُم " : إمَّاتكُم ، إلا أنه زيدت الهاء فيه كما زيدت في " أراق " فقيل : أهراق ، وشذَّت زيادتها في الواحدة في قوله : [الرجز]

٣٣٥٠ - أمَّهَتِي خِندِفُ واليَاسُ أبِي

والجملة من قوله : ﴿لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ حالٌ من مفعول " أخْرَجَكُمْ " غير عالمين و " شَيْئاً " إمَّا مصدر ، أي : شيئاً من العلم ، وإمَّا مفعول به والعلم هنا العرفان ، وتقدَّم الكلام في " أمَّهَاتِكُمْ " في النِّساء.

فصل خلق الإنسان في مبدأ الفطرة خالياً عن معرفة الأشياء.

ثم قال تعالى - : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ والمعنى : أن النَّفس الإنسانية ك انت في أول الخلقةِ خالية عِن المعارف والعلوم ثم إن الله تعالى أعطاها هذه الحواس ؛ لتستفيد بها المعارف والعلوم ،

وتحقيق الكلام فيه أن يقال : التَّصوُّرات والتَّصديقات إمَّا أن تكون كسبيَّة أو بديهيَّة ؛ والكسبيَّة لا يمكن حصولها إلا بواسطة تركيبات البديهيَّات ، فلا بد من سبق العلوم البديهيَّة.

فإن قيل : هذه العلوم البديهية إمَّا أن يقال : كانت حاصلة منذ خلقنا ، أو ما كانت حاصلة ؛ ولأول باطل ؛ لأنا بالضرورة نعلمُ أنَّا حين كنَّا جنيناً في رحم الأمِّ ما كنَّا نعرفُ ن النَّفي والإثبات لا يجتمعان ، وما كنَّا نعرف أن الكلَّ أعظم من الجزء.

وأما القسم الثاني : فإنه يقتضي أن هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد أنَّها ما كانت حاصلة ، وحينئذٍ لا يمكن حصولها إلا بكسب وطلب ، وكلُّ ما كان كسباً فهو مسبوق بعلوم أخرى إلى غير نهاية ، وذلك محال.

فالجواب : أن هذه العلوم البديهيَّة ما كانت حاصلة في نفوسنا أولاً ، ثم إنها حدثت ، وحصلت ، أما قوله : فيلزم أن تكون كسبية ، فهذه المقدمة ممنوعة ، بل نقول : إنها إنما حدثت في نفوسنا بعد عدمها ، بواسطة إعانة الحواسِّ التي هي السَّمع والبصر ، فإن النفس كانت في مبدأ الخلقة خالية عن جميع العلوم ، إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر فإذا أبصر الطفل شيئاً أو سمعه مرة بعد أخرى ، ارتسم في خياله ماهيَّة ذلك المبصر والمسموع ؛ وكذلك القول في سائر الحواسِّ ، فيصير حصول الحواسِّ سبباً لحضور ماهيَّات المحسوسات في النَّفس والعقل.

١٢٨

." (١)

"" وَأَطْرَافَ النَّهَار "كالتوكيد للصَّلاة بين الوقتين في طرفي النهار ، وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب ، كما اختصت الوسطى بالتوكيد.

الثاني : أنَّ المرادَ الصلوات الخمس والنوافل ، لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها ، فالليل والنهار داخليْن في هاتيْن العبادتين وأوقات الصلاة الواجبة دخلت فيها ، ففي قوله : ﴿وَمِنْ آنَآءِ الْلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ للنوافل.

الثالث : أن المراد أربع صلوات ، فقوله : ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ للفجر " وَقَبْلَ غُرُوبِهَا " للعصر ، ﴿وَمِنْ آنَآءِ الْلَّيْلِ﴾ المغرب والعتمة ، بقي الظهر خارجاً.

وعلى هذا التأويل يمكن أن يستدل بهذه الآية على أن المراد بالصَّلاة الوُسْطى صلاة الظهر ، لأن قوله :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٢٣٩

﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة : ٢٣٨] المراد به هذه الأربع ، ثم أفرد الوسطى بالذكر ، والتأسيس أوْلَى من التأكيد ، والأول أولى.

هذا إذا حَمَلْنَا التسبيح على الصلاة.

وقال أبو مسلم : لا يبعد حمله على التنزيه والإجلال ، والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات.

فإن قيل : النهار له طرفان ، فكيف قال : " وَأَطْرَافَ النَّهَارِ " ؟ بل الأولى أن يقول كما قال : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود : ١١٤].

فالجواب : من الناس من قال أقل الجمع اثنان فسقط السؤال ومنهم من قال : إنما جمع لأنه يكرر في كل نهار ويعود.

وقوله : ﴿مِنْ آنَآءِ الْلَّيْلِ﴾ متعلق بـ " سَبّحْ " الثانية.

قوله : " وَأَطْرَافَ " العامة على نصبه ، وفيه وجهان : أحدهما : أنه عطف على محل ﴿وَمِنْ آنَآءِ الْلَّيْلِ﴾.

والثاني : انه عطف على " قَبْل ".

وقرأ السحن وعيسى بن عمر " وأطرافِ " بالجر عطفاً على " آناءِ اللَّيل " وقوله هنا " أطْرَافَ " وفي هود " طَرَفَيْ النَّهَارِ " ، فقيل : هو من وضع الجمع موضع التثنية كقوله :

٤٢٤

٣٧٠١ - ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْن

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٤١٧

وقيل : هو على حقيقته ، والمراد بالأطراف الساعات.

قوله : " تَرْضَى " قرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم " تُرْضَى " مبنيًّا للمفعول.

والباقون مبنيًّا للفاعل ، وعليه ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى : ٥] والمعنى : ترضى ما تنال من الشفاعة ، أو ترضى بما تنال من الثواب على ضم التاء كقوله : ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾ [مريم : ٥٥].

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٤١٧

قوله : ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾ قيل : المراد منه نظر العين ، وهؤلاء قالوا : **مَدَّ النظر تطويله** ، وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور وإعجاباً به ، كما فعل نظارة قارون حيث قالوا : ﴿يا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص : ٧٩] حتى واجههم أولو العِلْم والإيمان فقالوا : ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ [القصص : ٨٠] وفيه **أن النظر غير** الممدود يعفى

عنه كنظر الإنسان إلى الشيء مرةً ثم

٤٢٥

يغض.

ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطبائع قيل : ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي : لا تفعل ما أنت معتاد له.

ولقد شدد المتقون في وجوب غضّ البصر عن ابنية الظلمة ، ولباس الفسقة ، ومراكبهم وغير ذلك ، لأنهم اتَّخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة ، فالناظر إليها محصل لغرضهم ، وكالمغرى لهم على اتخاذها.

قال أبو مسلم : ليس المنهي عنه هنا هو النظر بل هو الأسف ، أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

قال أبو رافع : نزل ضيفٌ بالرسول – عليه السلام – فبعثني إلى يهوديٍّ ، فقال قل له : إن رسول الله يقول : يعني كذا وكذا من الدقيق ، وأسلفني إلى هلال رجب ، فأتيته ، فقلت له ذلك ، فقال : والله لا ابيعه ولا أسلفه إلا بهن ، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته بقوله فقال : " والله لَئِنْ باعَنِي و أسْلَفَنِي لقضيتُهُ ، وَإِنّي لأَمشينٌ فِي السَّمَاءِ وَآمِينٌ فِي الأَرْضِ اذْهَبْ بِدِرْعِي الحديد إليه " فنزلت هذه الآية.

وقال عليه السلام : " إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأعْمَالِكُمْ ".

وقال أبو الدرداء : الدنيا دارُ مَنْ لا دارَ له ، ومالُ مَنْ لا مالَ له ، ولها يجمع من لا عقلَ له.

وعن الحسن : لَوْلاَ حمقُ الناس لخربت الدُّنيا.

وعن عيسى ابن مريم – عليه السلام – لا تَتَّخِذُوا داراً فتتخذكم لها عبيداً.

٤٢٦

". (١)

"(وهم) ملأ منهم جلوس فقل : السلام عليكم ، فلما فعل ذلك رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية ذريتك " وعن عليّ بن أبي طالب قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " حق المسلم على المسلم ست : يسلِّم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه ، وينصح له بالغيب ، ويشمِّته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات ".

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " إن سرَّكم أن يسل الغل من صدروكم فأفشوا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٦١٨

السلام بينكم ".

قوله : ﴿ذالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

أي : إن فعل ذلك خير لكم وأولى بكم من الهجوم بغير إذن " لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " أي : لتذكروا هذا التأديب فتتمسكوا به ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ﴾ أي : فإن لم تجدوا في البيوت " أَحَداً " يأذن لكم في دخولها ﴿فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمُ﴾ لجواز أن يكون هناك أحوال مكتومة ، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ﴾ وذلك أنه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار ، فكذلك الوقوف على الباب قد يكرهه ، فلا جرم كان الأولى له أن يرجع ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي : الرجوع هو أطهر وأصلح لكم.

قال قتادة : إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب ، فإنَّ للناس حاجات ، وإذا حضر فلم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز.

كان ابن عباس يأتي الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب (حتى يخرج) ولا يستأذن ، فيخرج الرجل ويقول : " يا ابنَ عم رسول الله لو أخبرتني " فيقول : هكذا أمرنا أن نطلب العلم.

وإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردوداً " لما روي أن رجلاً اطلع على النبي - صلى الله عليه وسلم - من ستر الحجرة ، وفي يد النبي - صلى الله عليه وسلم - مدراء ، فقال : " لو علمتُ أن هذا ينظرني حتى آتيه لَطَعَنْتُ بالمدراء في عينه ، وهل جعل الاستئذان إلا من **أجل البصر** " قوله : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي : من الدخول بالإذن وغير الإذن.

ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير

٣٤٧

مسكونة فقال : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

قال المفسرون : لما نزلت آية الاستئذان قالوا : كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن ؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

أي : بغير استئذان ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ أي : منفعة لكم.

قال محمد ابن الحنفية : إنها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين.

وقال ابن زيد : هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلها للبيع والشراء ، وهو المنفعة قال إبراهيم النخعي : ليس على حوانيت السوق إذن.

وكان ابن سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول : السلام عليكم ، أأدخل ؟ ثم يلج.

وقال عطاء : هي البيوت الخربة ، و " المَتَاعُ " هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط.

وقيل : هي جميع البيوت التي لا ساكن لها.

وقيل : هي الحمامات.

وروي أن أبا بكر قال : يا رسولَ الله ، إن الله قد أنزلَ عليكَ آيةً في الاستئذان ، وإنا نختلف في تجارتنا فننزل هذه الخانات ، أفلا ندخلها إلا بإذن ؟ فنزلت هذه الآية.

والأصح أنه لا يمتنع دخول الجميع تحت الآية ، لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة ، فإن لم يخف ذلك فله الدخول ، لأنه مأذون فيها عرفاً.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وهذا وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٣٤١

قوله تعالى : ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ الآية.

الغض : إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية.

قال : ٣٨٢٦ - فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبا

وفي " مِنْ " أربعة أوجه : أحدها : أنها للتبعيض ، لأنه يُعْفَى عن الناظر أول نظرة تقع من غير قصد.

والثاني : لبيان الجنس ، قاله أبو البقاء.

وفيه نظر من حيث إنَّه لم يَتَقَدَّم مُبهمٌ يكونُ مُفَسَّراً بـ " مِنْ ".

الثالث : أنها لابتداء الغاية ، قاله ابن عطية.

الرابع : قال الأخفش : إنها مزيدة.

فصل قال الأكثرون : المراد غض البص عما يحرم والاقتصار به على ما يحل.

فإن قيل : كيف دخلت " مِنْ " في **غض البصر دون** حفظ الفرج ؟ فالجواب : أن ذلك دليل على أن **أمر النظر أوسع** ، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن ، وكذا الجواري المستعرضات ، وأما أمر الفروج فمضيق.

وقيل : معنى ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أي : ينقصوا من نظرهم بالبصر إذا لم يكن من عمله فهو مغضوض.

وعلى هذا " مِنْ " ليست زائدة ، ولا هي للتبعيض ، بل هي صلة للغض ، يقال : غضضت من فلان : إذا نقصت منه.

فصل العورات تنقسم أربعة أقسام :

٣٤٩

". (١)

"فصل فإن كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع فعورتها مع الرجل المحرم كعورة الرجل مع الرجل.

وقيل : عورتها ما لا يبدو عند المهنة ، وهو قول أبي حنيفة.

وستأتي بقية التفاصيل – إن شاء الله تعالى – في تفسير الآية.

فصل فإن كانت المرأة مستمتعة كالزوجة والأمة التي يحل وطؤها فيجوز للزوج والسيد أن ينظر إلى جميع بدنها حتى الفرج ، إلا أنه **يكره النظر إلى** الفرج وكذا إلى فرج نفسه ، لأنه يروى أنه يورث الطمس.

وقيل : لا يجوز (النظر) إلى فرجها ، ولا فرق فيه بين أن تكون الأمة قِنّ أو مدبرة أو أم ولد أو مرهونة.

فإن كانت مجوسية ، أو مرتدة ، أو وثنية ، أو مشتركة بينه وبين غيره ، أو مزوجة ، أو مكاتبة فهي كالأجنبية لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إذا زوَّج أحدُكُم جاريتَه عبدَه أو أجيره فعورته معها ما بين السرة والركبة ".

فصل فأما عورة الرجل مع المرأة فلا يجوز لها **قصد النظر عند** خوف الفتنة ، ولا **تكرير النظر إلى** وجهه " لما روت أم سلمة أنَّها كانت عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وميمونة ، إذ أقبل ابن أم مكتوم ، فقال : " احتجبَا عنه " فقالت : يا رسول الله ، أليس هو

٣٥٣

أعمى لا يبصرُنا ؟ فقال عليه السلام : " أَفعمياوان أَنْتُمَا ؟ ألستما تبصرانه " ؟ .

وإن كان محرماً لها فعورته ما بين السرة والركبة.

وإن كان زوجها أو سيدها الذي له وطؤها فلها أن تنظر إلى جميع بدنه ، غير أنه **يكره النظر إلى** الفرج كهو معها.

فصل ولا يجوز للرجل أن يجلس عارياً في بيت خالٍ وله ما يستر عورته ، لأنه عليه السلام سئل عنه فقال : " الله أحق أن يُسْتَحيَى منه " وقال عليه السلام : " إيَّاكُمْ والتَّعَرِّي ، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله ".

قوله : " وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ " أي : عما لا يحل.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل. موافق للمطبوع، ص/٣٨١٩

وقال أبو العالية : كلُّ ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه.

وهذا ضعيف ، لأنه تخصيص من غير دليل ، والذي يقتضيه الظاهر حفظ الفروج عن سائر ما حرم عليهما من الزنا واللمس والنظر.

قوله : ﴿ذالِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾.

أي : غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم ، أي : خير لهم وأطهر ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ عليمٌ بما يفعلون.

قوله : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ الكلام فيه كما تقدم وقدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ، والبلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه.

قوله : ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي : لا يظهرن زينتهن لغير محرم ، والمراد بالزينة : الخفية ، وهما زينتان : خفية وظاهرة.

فالخفية : مثل الخلخال والخضاب في الرِّجْل ،

٣٥٤

والسوار في المعصم ، والقرط والقلائد ، فلا يجوز لها إظهارها ، ولا للأجنبي النظر إليها.

والمراد بالزينة : موضع الزينة.

وقيل : المراد بالزينة : محاسن الخَلْق التي خلقها الله ، وما تزين به الإنسان من فضل لباس ، لأن كثيراً من النساء ينفردن بخَلْقِهِنَّ من سائر ما يُعَدُّ زينة ، فإذا حملناه على الخِلْقَة وفينا العموم حقه ، ولا يمنع دخول ما عدا الخِلْقة فيه ، ولأنَّ قوله : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يدل على أن المراد من الزينة ما يعم الخِلْقة وغيرها ، فكأنها تعالى منعهن من إظهار محاسن خلقهن ، موجباً سترها بالخمار.

قوله : ﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

أما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال : معنى الآية : إلا ما يظهره الإنسان في العادة ، وذلك من النساء : الوجه والكفان ، ومن الرجال : الوجه واليدان والرجلان ، فرخص لهم في كشف ما اعتيد كشفه ، و أدت الضرورة إلى إظهاره ، وأمرهم بستر ما لا ضرورة في كشفه.

ولما كان ظهور الوجه والكفين ضرورة لا جرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة.

وأما القدم فليس ظهوره ضرورياً فلا جرم اختلفوا فيه هل هو من العورة أم لا ؟ والصحيح أنه عورة.

وفي صوتها وجهان : أصحهما ليس بعورة ، لأن نساء النبي – عليه السلام – كن يروين الأخبار للرجال.
وأما الذين حملوا الزينة على ما عد الخلقة ، قالوا : إنه تعالى إنما ذكر الزينة لأنه لا خلاف في أنه **يحل النظر إليها** حال (انفصالها عن أعضاء المرأة ، فلما حرم **الله النظر إليها** حال) اتصالها ببدن المرأة كان ذلك مبالغة في **حرمة النظر إلى** أعضاء المرأة.
وعلى هذا القول **يحل النظر إلى** زينة وجهها من الوَشمَة والغُمْرَة ، وزينة بدنها من
٣٥٥
(١) ".

"الخضاب والخواتيم والثياب ، لأن سترها فيه حرج ، لأن المرأة لا بد لها من مزاولة الأشياء بيديها ، والحاجة إلى كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح.
قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي : " الزينة الظاهرة التي استثنى الله الوجهُ والكفان ".
وقال ابن مسعود : هي الثياب ، لقوله تعالى : ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف : ٣١].
وقال الحسن : الوجه والثياب.
وقال ابن عباس : الكحْل والخاتم والخضاب في الكف.
فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل **الأجنبي النظر إليها** إذا لم يخف فتنة وشهوة ، فإن خاف شيئاً منها غض البصر.
فصل واتفقوا على تخصيص قوله : ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالحرائر دون الإماء والمعنى فيه ظاهر ، لأن الأمة مالٌ ، فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها ، وذلك لا يمكن إلا بالنظر إليها على الاستقصاء.
قوله : " وَلْيَضْرِبْنَ ".
ضمن " يضْرِبْنَ " معنى " يُلْقِينَ " فلذلك عداه بـ " على ".
وقرأ أبو عمرو في رواية بكسر لام الأمر.
وقرأ طلحة : " بِخُمْرهِنَّ " بسكون الميم.
وتسكين " فَعْل " في الجمع أولى من تسكين المفرد.
وكسر الجيم من " جِيُوبِهِنَّ " ابن كثير والأخوان وابن ذكوان.

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٨٢١

والخُمُر : جمع خمار ، وفي القلة يجمع على أخْمِرة.

قال امرؤ القيس :

٣٥٦

٣٨٢٧ - وَتَرَى الشَّجْراءَ فِي رِيِّقِهِ

كَرُؤُوسٍ قُطِعَتْ فِيهَا الخُمُرْ

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٣٤٩

والجيب : ما في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد.

فصل قال المفسرون : إنَّ نساء الجاهلية كنَّ يُسْدِلْنَ خُمُرهن من خلفهن ، وإن جيوبهن كانت من قدام ، وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن ، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتغطي بذلك أعناقهن ونحورهن.

قالت عائشة : رحم الله نساءَ المهاجرات الأُوَل ، لما أنزل الله : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

قوله : ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهنَّ كشفها في الصلاة ولا للأجانب ، وهو ما عد الوجه والكفين " إِلاَّ لِبُعولَتهنَّ " قال ابن عباس ومقاتل : يعني لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن ﴿أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ، ولا ينظروا إلى ما بين السرة والركبة إلا الزوج فإنه يجوز له أن ينظر على ما تقدم ، وهؤلاء محارم.

فإن قيل : أيحل لذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل في المؤمنة ؟ فالجواب : إذا ملك المرأة من محارمه فله أن ينظر منها إلى بطنها وظهرها لا على وجه الشهوة فإن قيل : فما القول في العم والخال ؟ فالجواب : أن الظاهر أنهما كسائر المحارم في **جواز النظر** ، وهو قول الحسن البصري قال : لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع ، وهو كالنسب ، وقال في سورة الأحزاب ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِى آبَآئِهِنَّ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٥] ولم يذكر فيها البعولة ، وقد ذكره هنا.

٣٥٧

وقال الشعبي : إنما لم يذكرهما الله لئلا يصفها العم عند ابنه ، والخال كذلك.

والمعنى : أن سائر القرابات تشترك مع الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وابناهما ، وإذا رآها الأب

وصفها لابنه وليس بمحرم ، وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب.

فصل والسبب في إباحة نظر هؤلاء إلى زينة المرأة هو الحاجة إلى مداخلتهن ومخالطتهن واحتياج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار في النزول والركوب.

قوله : " أَوْ نِسَائِهِنَّ ".

قال أكثر المفسرين : المراد اللاَّئِي على دينهن.

قال ابن عباس : ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ، ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أمة لها.

وكتب عُمَر إلى أبي عبيدة أن تمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات.

وقيل : المراد بـ " نِسَائِهِنَّ " جميع النساء.

وهذا هو الأولى ، وقول السلف محمول على الاستحباب.

قوله : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.

وهذا يشمل العبيد والإماء ، واختلفوا في ذلك : فقال قوم : عبد المرأة مَحْرَم لها يجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً ، وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالمحارم ، وهو ظاهر القرآن ، وهو مروي عن عائشة وأم سلمة.

" وروي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها ، وعلى فاطمة ثوب إذا قَنَعْت به رأسها لم يبلغ رجليها ، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها ، فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما تلقى قال : " إنه ليس عليك بأس ، إنما هو أبوك وغُلامك " وعن مجاهد : "كنَّ أمهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم ".

وكانت عائشة تمتشط والعبد ينظر إليها.

وقال ابن مسعود والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب : لا ينظر العبد إلى شعر مولاته.

وهو قول أبي حنيفة.

٣٥٨

." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٨٢٢

"" وَمَا تَسْتَوِي الأَحْيَاُ " بالتأنيث على معنى الجماعة.

وهذا الأشياء جيء بها على سَبيل الاستعارة والتمثيل فالأعمى والبصير الكافر والمؤمن والظلمات والنور الكفر والإيمان والظَّلُّ والحَرُورُ الحقُّ والباطل والأحياء والأموات لم دخل في الإسلام ولمن لم يدخل فيه.

وجاء ترتيب هذه المَنْفِيَّات على أحسن الوجوه فإنه تعالى لما ضرب الأعمى والبصير وإن كان حديد النظر لا بدّ له من ضوء يبصر فيه وقدم الأعمى ؛ لأن البصير فاصلة فحسن تأخيره ولما تقدم الأعمى في الذكر ناسب تقديم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ولأن النور فاصل.

ثم ذكر ما لكلّ منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور ، وأخّر الحرور لأجل الفاصلة كما تقدم.

وقولنا : لأجل الفاصلة هنا وفي غيره من الأماكن أحسن من قيل بعضهم لأجل السجع لأن القرآن يُنَزّه عن ذلك.

وقد منع الجمهور أن يقال في القرآن سجع ، وإنما كرر الفعل في قوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَآء﴾ مبالغة في ذلك لأن المنافَاةَ بين الحياة والموت أتم من المنافاة المتقدمة وقدم الأحياء لشرف الحياة ول يُعِد " لا " تأكيداً في قوله الأعمى والبصير وكررها في غيره لأن منافة ما بعده أتمّ فإن الشخص الواحد قد يكون بصيراً ثم أعمى فلا منافاة إلا من حيث الوصف يخلاف الظِّلّ والحَرُور والظلمات والنور فإنها متنافية أبداً لا تجتمع اثنان منهما في مَحَلِّ فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دائمةٌ.

فإن قيل : الحياةُ والموت بمنزلة العَمَى والبَصَر فإن الجسم قد يكون متصفاً بالحياة ثم يتصف بالموت!

فالجواب : أن المنافة بينهما أتم من لامافة بين الأعمى والبصير لأن الأعمى والبصير يشتركان في إدراكات كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمنافة بينهما أتمّ.

وأفرد " الأعمى والبصير " لأنه قابل الجِنْسَ بالجنس إذ قد يوجد في أفراد العُمْيَان ما يساوي بعض أفراد البُصَراء كأعمى ذكي له بصيرة يساوي بصيراً بليداً فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الأَفْرَادِ.

وجمع الظلمات لأنها عبارة عن الكفر والضلال وَطُرُقُهُمَا كثيرة متشعبة.

ووحد

١٢٤

النور لأنه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من أفراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا الواحد قال شهاب الدين : كذا قيل.

وعندي (أنه) ينبغي أنْ يقال : إن هذا الجمع لا يساوي هذا الواحد فنعلم انتفاء مساواة (فردٍ منه) (لِ)

هذا الواحد بطريق أولى وإنما جمع الأحْيَاءَ والأموات لأن التفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميّتٍ يساوي في الإدراك حيًّا فذكر أن الأَحياء لا يساوون الأموات سواء قابلت الجنس أم الفرد بالفرد.

فصل قال ابن الخطيب : قدم الأشْرَف في مثلين وهو الظّل والحيّ وأخّره في مثلين **وهو البصر والنور** في مثل هذا يقول المفسرون : إنه لتواخر الآيات.

وهذا ضعيف لأن تواخي الأواخر للسجع فيكون اللفظ حاملاً له على تغيير المعنى وأما القرآن فحكمة بلغة المعنى فيه ويؤخر للسجع فيكون اللفظ حاملاً له على تغيير المعنى وأما القرآن فحكمة بالغة المعنى فيه صحيح واللفظ يصح فلا يقدم ويؤخر اللفظ بلا معنى فنقول : الكفار قبل النبي – عليه (الصلاة و) السلام – وبين الحق واهندى به منهم قوم فصاروا بَصِيرينَ وطريقتم كالنُّور فقالك " لاَ يَسْتَوِي " من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده إلى الإيمان فلما كان الكفر قبل الإيمان في زمان محمد – عليه (الصلاة و) السلام – والكافر قبل المؤمن قدم المقدم.

ثم لما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله – عليه (الصلاة و) السلام – في الإلهيات : " سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي " ثم إن الكافر المصر بعد البعث صار أضلَّ من الأعمى وشابه الأموات في عدم إدراك الحق من جميع الوجوه فقال : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَآء﴾ أي

١٢٥

المؤمنون الذين آمنوا بما أنزل الله والأموات الذين تُلِيَتْ عليهم تُلِيَتْ عليهم الآياتُ البينات ولم نتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد الإيمان من آمن فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين.

وقدم الأعمى على البصير لوجود الكفار الضالّين قبل البعثة على المؤمنين المهتدين بها.

فصل قال المفسرون : " وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِرُ " (يعني) الجاهل والعالم.

وقيل الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى أي المؤمن والمشرك " وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ " يعني الكفر والإيمان " وَلاَ الظِّلُّ ولا الحَرُورُ " يعني الجنة والنار " ومَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ " يعني المؤمنين والكفار.

وقيل : العملاء الجهال.

" إنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ " حتى يتعظ ويچيب " ومَا أَنْتَ إلاَّ نَذِيرٌ " ما أنت إلا منذر فخوِّفْهُم بالنار.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١١٩
". (١)

"فصل اختلف الناس في أن فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه إلى السموات أم لا ؟ قال ابن الخطيب : أما الظَّاهِرِيُّونَ من المفسرين فقد قطعوا بذلك ، وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء الصرح.

والذي عندي أن هذا بعيدٌ ، والدليل عليه أن فرعون لا يخلو إما أن يقال : إنه كان مجنوناً أو عاقلاً ، فإن كان مجنوناً لم يجز من الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يذكر حكاية كلامه في القرآن ، وإن كان عاقلاً فنقول : إن كل عاقل يعلم ببديهة عقله أنه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء يكون أرفع من الجبل العالي ويعلم أيضاً ببديهة عقله أنه لا يتفاوت **في البصر من** حال السماء بين أن ينظر إليها من أسفل الجبال وبين أن ينظر إليها من أعلى الجبال ، وإذا كان هذان العلمان بديهيَّان امتنع أن يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه إلى السماء ، وإذا كان فاسداً معلوماً بالضرورة امتنع إسْنَادُهُ إلَى فِرْعَوْنَ.

والذي عندي في تفسير هذه الآية ، أنَّ فِرْعَونَ كان من الدهرية ، وغرضه من هذا الكلام إيراد شبهة في نفي الصانع وتقريره أنه قال : إنّا لا نرى شيئاً نحكم عليه أنه إله العالم ، فإنه لو كان موجوداً لكان في السماء ، ونحن لا سبيلَ لنا إلى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ، ثم إنه لأجل المبالغة لبيان أنه لا يمكن الصعود إلى السماء قال : ﴿يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ والمقصود أنه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول إلى معرفة وجود الله بطريق الحِسّ ممتنعاً.

ونظيره قوله تعالى : ﴿فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ [الأنعام : ٣٥] وليس المراد منه أن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ طلبَ نفقاً في الأرض ، أو وضع سُلَّماً إلى السماء بل المعنى أنه لما عرف أن هذا المعنى ممتنع فقد عرف أنه لا سبيلَ لك إلى تحصيل ذلك المقصود ، كذا ههنا غرض فرعون من قوله : ﴿يا هامان ابن لي صرحاً﴾ يعني أن الاطلاع إلى إله موسى لما كان لا سبيل إليه إلا بهذا الطريق ، وكان هذا الطريق ممتنعاً ، فحينئذ يظهر منه أنه لا سبيل إلى معرفة الإله الذي يثبته موسى.

واعلم أن هذه الشبهة فاسدةٌ ؛ لأن طرق العلم ثلاثة : الحِسّ ، والخَبَر **، النَّظَر ،** ولا يلزم من انتفاء طريق واحد ـ وهو الحِسَّ ـ انتفاء المطلوب ؛ وذلك لأن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قد بين لفرعون أن الطريقَ في معرفة الله تعالى إنما هو الحُجَّة ، والدليل كما قال : ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَآئِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٢٠١

٢٦] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

٥٤

[المزمل : ٩] إلا أن فرعونَ بِخُبْثِهِ ومَكْرِهِ تغافل عن ذلك الدليل ، وألقى إلى الجُهّال أنه لما كان لا طريق إلى الإحساس بهذه الإله وجب نفيه.

قوله : " أسْبَابَ السَّمَواتِ " ، فيه وجهان : أحدهما : أنه تابع " للأسباب " قبله ، بدلاً أو عطف بيان.

والثاني : أنه منصوب بإضمار أعني.

والأول أولى ؛ إذ الأصْلُ عدمُ الإضمار.

قوله : " فَأَطَّلِعَ " العامة عنلى رفعه عطفاً على أبلغ فهو داخل في حيز الترجي ؛ وقرأ حفص في آخرين بنصبه وفيه ثلاثة أوجه : أحدهما : أنه جواب الأمر في قوله " ابن لي " فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله : ٤٣٤٠. يا نَاقُ سِيرِي عَنَقاً فَسِيحا

إلَى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٥٣

وهو أوفق لمذهب البصريين الثاني : أنه منصوب ، قال أبو حيان : عطفاً على التوهم ؛ لأن خبر " لعل " جاء مقروناً " بأن "كثيراً في النظم ، وقليلاً في النثر ، فمن نصب توهم أن الفعل المضارع الواقع خبراً منصوب " بأن " والعطف على التوهم كثير وإن كان لا ينقاس.

الثالث : أن ينتصب على جواب الترجي في لعل ، وهو مذهب كوفي استهشد أصحابه بهذه القراءة وبقراءة نافع ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ [عبس : ٣.٤] بنصب " فتنفعه " جواباً لـ " لعله ".

وإلى هذا نحا الزمخشري ، قال : " تشبيهاً للترجي بالتمني ".

والبصريون يأبون ذلك ويخرجون القراءتين على ما تقدم.

وفي سورة عبس يجوز أن يكون جواباً للاستفهام في قوله : " وَمَا يُدْرِيكَ " فإنه

٥٥

مترتبٌ عليه معنًى.

وقال ابن عطية وابن جبارة الهذلي على جواب التمني ، وفيه نظر ؛ إذ ليس في اللفظ تمن ، إنما فيه ترجٍ ، وقد فرق الناس بين التَّمنّي والتَّرجّي ، بأن الترجي لا يكون إلا في الممكن عكس التمني فإنه يكون فيه وفي المستحيل كقوله : ٤٣٤١. لَيْتَ الشَّبابَ هُوَ الرَّجِيعُ عَلَى الفَتَى

والشَّيْبُ كَانَ هَوَ البَدِيءَ الأَوَّلُ

(١) ".

"وقيل : يغشاها أنوار الله ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما وصل إليها تجلّى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الأنوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكًّا ولم تتحرك الشجرة ، وخَرَّ موسى صَعِقاً ولم يتزلزل محمد.

وقيل : أبهمه تعظيماً له.

والْغشَيَانُ يكون بمعنى التغطية والسَّتْر ومنه الغَوَاشِي ، ويكون بمعنى الإتيان ، يقال : فُلاَنٌ يَغْشَانِي كُلَّ وقت أي يأتِيني.

فصل قال الماوردي في معاني القرآن : قيل : لما اختيرت السدرةُ لهذا الأمر دون غيرها من الشجر ؟ قال : لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف : ظلٍّ مديدٍ ، وطعمٍ لذيذٍ ، ورائحة زكيةٍ فشابهت الإيمانَ الذي يجمع قولاً وعملاً ونيةً ، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره.

وروى أبو الدرداء عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال : " مَنْ قَطَعْ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ " وسئل أبو الدرداء عن معنى هذا الحديث فقال : هو مختصر بمعنى من قطع سدرة في فَلاَةٍ يستظل بها ابن السَّبيل والبهائم عبثاً وظُلْماً بغير حق يكون له فيها صوَّب الله رأسه في النار.

قوله : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ اللام في البصر يحتمل وجهين : أحدهما : المعروف أي ما زاغ بصرُ محمدٍ – عليه الصلاة والسلام – وعلى هذا فقدم الزيغ لوجوه إن قيل : بأن الغَاشِيَ للسدرة هو الجرادُ والفَرَاشُ فمعناه لم يلتفت إليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غَشَيَانُ الجراد والفراش ابتلاءً وامتحاناً لمحمد – عليه الصلاة والسلام – وإنْ قِيلَ إنّ الغاشي أنوار الله تعالى ففيه وجهان : أحدهما : معناه لم يلتفت يَمْنَةً ويَسْرَةً بل اشتغل بمطالعتها.

والثاني : ما زاغ البصر بصَعْقَة ، بخلاف موسى – " عليه الصلاة والسلام – " فإنه قطع النظر وغشي عليه ، ففي الأول بيان أدبِ محمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – وفي الثاني بيان قُوَّتِهِ.

الوجه الثاني : لتعريف الجنس أي ما زاغ بَصَرُهُ أصلاً في ذلك الوضع لِعظمِ هَيْبَتِهِ.

فإن قيل : لو كان كذلك لقال : ما زاغ بصرٌ ، فإنه أدل على العموم ، لأن النكرة في مَعْرِضِ النفي تَعُمُّ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٤٠٣

فالجواب : هو كقوله : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ولم يقل : ولم يدرك له بَصَر.

قوله : (وَمَا طَغَى) فيه وجهان : الأول : أنه عطفُ جملةٍ مستقلة على جملةٍ أخرى.

والثاني : أنه عطف جملة مقدرة على جملة.

فمثال المستقلة : خَرَجَ زَيْدٌ ودَخَلَ عَمْرو.

ومثال المقدرة خَرَجَ زَيْدٌ ودَخَلَ.

والوجهان جائزانِ هنا.

أما الأول : فكأنه تعالى قال عند ظهور النور : مَا زَاغَ بصرُ محمَّد - صلى الله عليه وسلم - وما طغى مُحَمَّد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغياً.

وأما الثاني : فظاهر.

فإن قيل : بأن الغاشي للسِّدْرة جرادٌ فالمعنى لم يلتفت إليه وما طغى أي لم يلتفت إلى غير الله ولم يلتفت إلى الجراد ولا إلى غير الجراد بل إلى اللَّه تَعَالَى.

وإن قيل : غَشِيَها نُورٌ فقوله : " ما زاغ " أي ما مال عن الأنوار " وما طغى " أي ما طلب شيئاً وراءه.

وفيه لطيفة وهي أن تكون ذَانِك بياناً لوصول محمد - عليه الصلاة والسلام - إلى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه وذلك أن بصر محمد - عليه الصلاة والسلام - ما زاغ أي ما مال عن الطريق فلم يَرَ الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلاً ثم ينظر إلى شيءٍ أبيضَ فإنه يراه أصفَر أو أخْضَرَ يزيغ بصره عن جَادَّة الإبصار ، وقوله : " وَمَا طَغَى " أي ما تخيل المعدوم موجوداً.

وقيل : " وما طغى " أي ما جاوز ما أُمِرَ بِهِ.

قوله : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ في " الكبرى " وجهان : أظهرهما : أنها مفعول (رأى) و(من آياتِ ربه) حال مقدرة ، والتقدير لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه.

والثاني : أن ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ هو مفعول الرؤية و " الكُبْرَى " صفة " لآيات ربه ".

وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة ، وحسَّنَهُ هنا كونها فاصلة.

وقد تقدم مثله في " طه " عند قوله ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٣].

١٧٥

." (١)

"وقد تنازع أهل السنة والقدرية في الاستدلال بهذه الآية ، فأهل السنة يقولون : كُلّ شيء مخلوق لله تعالى ، ودليلهم قراءة النصب ؛ لأنه لا يفسر في هذا التركيب إلا ما يَصِحُّ أن يكون خبراً لو رفع الأول على الابتداء.

وقال القَدَريَّة : القراءة برفع " كل " و " خَلَقْنَاهُ " في موضع الصفة لـ " كُلّ " أي أمْرُنَا أو شَأْنُنَا كُلُّ شيء خَلَقْنَاه فهو بقدر أو بمقدار.

وعلى حد ما في هيئَتِهِ وزمنِهِ (وَغيْرِ ذَلِكَ).

وقال بعض العلماء في القدر هنا وجوه : أحدها : أنه المقدار في ذاته وفي صفاته.

الثاني : (أنه) التقدير لقوله : ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات : ٢٣] وقال الشاعر : ٤٦١٤ –

....

وَقَدْ قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرُ

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٢٨١

أي ما هو مقدّر.

الثالث : القدر الذي يقال مع القضاء ، كقولك : كَان بِقَضَاءِ اللَّهِ وقَدَرِهِ ، فقوله : (بقَدَرٍ) على قراءة الناصب متعلق بالفعل الناصب ، وفي قراءة الرفع في محلّ رفع ، لأنه خبرٌ لـ " كُلّ " و " كُلّ " وخبرها في محل رفع خبر " لإِنَّ ".

وسيأتي قريباً أنه عكس هذه ؛ أعني في اختيار الرفع وهي قوله تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر : ٥٢] ، فإنه يختلف في رفعه ، قالوا : لأن نَصْبَه يؤدي إلى فساد المعنى لأن الواقع خلافه ، وذلك أنك لو نصبته لكان التقدير : فَعلُوا كُلَّ شَيْءٍ فِي الزُّبُرِ.

وهو خلافُ الواقع ، إذ في الزبر أشياء كثيرة جداً لم يَفْعَلُوها.

وأما قراءة الرفع فتؤدي إلى أن كل شيء فعلوه هو ثابتٌ في الزُّبُرِ.

وهو المقصود فلذلك اتفق على رَفْعِهِ.

وهذان الموضعان من نُكَت المسائل الغَريبة التي اتُّفِقَ مجيئُها في سورة واحدةٍ ومَكَانَيْن مُتَقَارِبَيْن ، ومما

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٧٠٠

يدل على جلالة علم الإعراب وإفهامِهِ المعانيَ الغَامِضَة.

٢٨٣

فصل قال أهل السنة : إن الله تعالى قدر الأشياء أَيْ أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلويّ والسفليّ إلا وهو صادرٌ عن علمِهِ تعالى وقدرتِهِ وإرادته دون خلقه ، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوعُ اكتساب ومحاولةٍ ونسبةٍ وإضافةٍ ، وأن ذلك كله إنما جُعِلَ لهم بتيسير الله وبقدرة الله وإلهامه سبحانه وتعالى لا إله إلا هو ولا خالقَ غيره كما نص عليه القرآن والسنة.

لا كما قال القَدَرِيَّة وغيرهمُ من أن الأعمال إلينا ، والآجال بيد غَيرِنا.

قال أبو ذرٍ : " قَدِمَ وَفْد نَجْرَانَ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : الأعمال إلينا والآجال بيد غيرِنا ، فنزلت هذه الآيات إلى قوله : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فقالوا يا محمد : يكتب علينا الذنب ويعذبنا ؟ فقال : أنتم خصماء الله يَوْمَ القيامة ".

فصل روى أبو الزُّبَيْر عن جابرِ بنِ عبد الله قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ المُكَذِّبُونَ لِقَدَر اللَّهِ ، إنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهم وإنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُم وإنْ لَقِيتُمُوهم فَلاَ تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ " أخرجه ابن ماجه في سننه.

وخرج أيضاً عن ابن عباس وجابر قالا : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لهم في الإِسْلاَم نَصِيبٌ أَهْلُ الإِرْجَاء والقَدَر ".

قوله : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾ أي إلا كلمة واحدة وهو قوله "كُنْ ".

"كَلَمْحِ بِالبَصَرِ " أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر.

واللمح : **النظر بالعَجَلة** يقال : لَمَحَ البَرْق ببَصَره ؛ وفي الصحاح : لَمَحَهُ وأَلْمَحَهُ إذا أبصره بنظرٍ خفيف ، والاسم اللَّمْحَة ، ولَمَحَ البرْقُ والنَّجْمُ لَمحاً ، أي لَمَعَ.

قال البغوي : قوله " وَاحِدَةٌ " يرجع إلى المعنى دون اللفظ أي وما أمرنا إلا واحدة.

وقيل : معناه وأما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة كما تقدم ، وهي رواية عَطَاءٍ عن ابْن عبَّاس ، وروى الكلبي عنه : وما أمرنَا بمجيء الساعة في السرعة إلاَّ كَطَرْف البَصَر.

فصل قال ابن الخطيب : إنَّ الله تعالى إذا أراد شيئاً قال له : كُنْ فهناك شيئان الإرادة والقَوْل ، فالإرادة قَدَر ، والقول قضاء ، وقوله : " وَاحِدَةٌ " يحتمل أمرين :

٢٨٤

". (١)

"وبنو النضير لم يتركوها خراباً ، وإنما خرَّبوها بالهدم ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فصل في تفسير الآية قال قتادة والضحاك رحمهما الله تعالى : كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا ، واليهود يخربون من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم.

وقال مقاتل : إن المنافقين أرسلوا إليهم ألا يخرجوا وتدرّبوا على الأزِقَّة ، وكان المسلمون يخربون سائر الجوانب.

وقيل : إن المسلمين كانوا إذا ظهروا على دربٍ من دروبهم خربوه ، وكان اليهود يتأخرون إلى ما وراء بيوتهم وينقِّبُونها من وراء أدبارهم.

وقيل : إن المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد ، واليهود لما أيقنُوا بالجلاء ، فكانوا ينظرون إلى الخشبةِ في منازلهم مما يستحسنونه ، أو الباب فيهدمون بيوتهم ، وينزعونها ، ويحملونها على الإبل.

فإن قيل : ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين ؟ .

قلت : لما عرضوهم لذلك ، وكانوا السبب فيه ، فكأنهم أمروهم به وكلفوه إياهم.

وقال الزهري : " يخربون بيوتهم " بنقض المواعدة ، " وأيدي المؤمنين " بالمقاتلة.

وقال أبو عمرو بن العلاء : " بأيديهم " في تركهم لها ، " وأيدي المؤمنين " في إجلائهم عنها.

قوله تعالى : ﴿فَاعْتَبِرُواْ يا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾.

والاعتبار : مأخوذ هنا من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء ، وبهذا سميت العبرةُ عبرةً ؛ لأنها تنتقل من العين إلى الخدِّ ، وسمي علم التعبير ؛ لأن صاحبه ينتقل من المتخيّل إلى المعقول ، وسميت الألفاظ عبارات ؛ لأنها تنقل المعاني عن لسان القائل إلى عقلِ المستمع.

ويقال : السعيد من اعتبر بغيره ؛ لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه.

٥٦٧

ولهذا قال المفسرون : الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٧٤٨

وقوله عز وجل : ﴿يا أولي الأبصار﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أهل اللُّب والعقل والبصائر.

قال الفراء : أي من عاين تلك الوقائع والأبصار جمع البصر.

ومن جملة الاعتبار هنا أنهم اعتصموا بالحُصُون من الله ، فأنزلهم الله - تعالى - منها ، وسلط عليهم من كان ينصرهم ، وأنهم هدموا أموالهم بأيديهم ، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه.

واستدل الأصوليون بهذه الآية على وجوب العمل بالقياس.

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ﴾.

العامة : على مده وهو الإخراج.

يقال : أجليت القوم ، وجلا هو جلاء.

وقال الماردي : الجلاء أخصّ من الخروج ؛ لأنه لا يقال إلا لجماعة ، والإخراج يكون للجماعة والواحد.

وقال غيره : الفَرْق بينهما أن الجلاء كان مع الأهل والولد ، بخلاف الإخراج فإنه لا يستلزم ذلك.

وقرأ الحسن وعلي ابنا صالح : " الجَلاَ " بألف فقط.

وطلحة : مهموزاً من غير ألف كـ " النبأ ".

والمعنى : أنه لولا أنه قضى أنه سيجليهم عن ديارهم ، وأنه يبقون مدة ، فيؤمن بعضهم ويولد لهم من يؤمن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي : بالقتل كما فعل بإخوانهم " بني قريظة " ، والجلاء مفارقة الوطن يقال : جلا بنفسه جلاء ، وأجلاه غيره إجلاء.

وأما قوله : ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ ، فهو كلام مبتدأ غير معطوف على ما قبله ، إذ لو كان معطوفاً على ما قبله لزم ألا يوجد ؛ لأن " لولا " تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط.

٥٦٨

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي : عادوه وخالفوا أمره.

﴿وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ﴾.

قرأ طلحة بن مصرف ، ومحمد بن السميفع : بالفك ، كالمتفق عليه في الأفعال ، وأدغم الباقون.

والمقصود من الآية الزَّجْر.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٥٦٢

قوله : ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ﴾.

" ما " شرطية في موضع نصب بـ " قطعتم " ، و " من لينة " بيان له ، و " فبإذن الله " جزاء الشرط ، فلا بد من حذف ، أي : فقطعها بإذن الله ، فيكون " بإذن الله " الخبر لذلك المبتدأ.

واللِّيْنة : فيها خلاف كبير.

قيل : هي النَّخْلة مطلقاً.

وأنشد الشاعر في ذلك : [الطويل] ٤٧٣٧ -كَأنَّ قُتُودِي فوقهَا عُشُّ طَائرٍ

عَلَى لِينَةٍ سَوْقاءَ تَهْفُو جُنُوبُهَا

وقال ذو الرمة : [الطويل] ٤٧٣٨ - طِرَاقُ الخَوافِي واقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ

نَدَى لَيْلهِ فِي رِيشِهِ يَترَقْرَقُ

وقيل : هي النَّخْلة ما لم تكن عجوة.

قاله الزهري ، ومالك ، وسعيد بن جبير وعكرمة ، والخليل.

٥٦٩

وقيل : ما لم تكن عجوة ولا برنيَّة ، وهو قول أبي عبيدة.

قال جعفر بن محمد : هي العجوة خاصة ، وذكر أن العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق : الفَحْل ، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ، فلذلك شقّ على اليهود قطعها حكاه الماوردي.

وقيل : هي النَّخْلة الكـريمة ، أي : القريبة من الأرض.

وأنشد الأخفش رحمة الله عليه : [الخفيف] ٤٧٣٩ - قَدْ شَجَانِي الحَمَامُ حِينَ تَغَنَّى

بِفِراقِ الأحْبَابِ مِنْ فَوْقِ لِينَهْ

." (١)

"قوله : " ينقلبْ ".

العامة : على جزمه على جواب الأمر.

والكسائي في رواية برفعه.

وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون حالاً مقدرة.

والثاني : أنه على حذف الفاءِ ، أي : فينقلب.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٨٦٤

د و " خَاسِئاً " حال وقوله : " وهُو حَسِيرٌ " حال ، إما من صاحب الأولى ، وإما من الضمير المستتر في الحال قبلها ، فتكون متداخلة.

وقد تقدّمنا " خاسئاص " و " حسير " في " المؤمنين " و " الأنبياء ".

فصل في تفسير الآية لما قال : ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِن تَفَاوُتِ﴾ كأنه قال بعده : ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك البصر الواحد ، ولا يعتمد عليه لاحتمال وقوع الغلطِ في النظرة الواحدة ، ولكن ارجع البصر ، واردد النظر مرة أخرى ، حتى يتيقّن لك أنه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ألبتَّة.

قال القرطبي : أمر أن ينظر في خلقه ليعتبروا به ، ويتفكَّروا في قدرته ، فقال : ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ أي : ارْدُدْ طرفك إلى السماء ، ويقال : قلَّب بصره في السماء ، ويقال : اجتهد بالنَّظر إلى السَّماء ، والمعنى متقارب ، وإنما قال : " فارْجع " - بالفاء - وليس قبله فعل مذكُور ؛ لأنه قال : " مَا تَرَى " والمعنى : انظر ، ثم ارجع البصر هل ترى من فُطورٍ ، قاله قتادة.

قال مجاهد والضحاك : و " الفطور " الشقوق.

وقال قتادة : من خلل.

وقال السديُّ : من خروق.

٢٣١

وقال ابن عبَّاس : مِنْ وهنٍ.

وقوله : ﴿ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ في موضع المصدر ؛ لانمعناه : رجعتين.

لأن الإنسان إذا نظر في الشَّيء مرتين ترى عينه ما لم تنظره مرة أخرى ، فأخبر تعالى أنه وإن نظر إلى السماء مرّتين لايرى فيها عيباً ، بل يتحيّر بالنظر إليها.

وقال ابن الخطيب : " معناه أنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل ، والعيب بل يرجع إليك " خَاسِئاً " أي : مبعداً صاغِراً عن أن يرى شيئاً من ذلك من قولك : خسأت الكلب إذا باعدته ، وطردته ".

وخسأ الكلب بنفسه ، يتعدى ولا يتعدَّى ، وانخسأ الكلب أيضاً ، وخسأ بصره أيضاً خَسْأً وخسوءاً ، أي : ستر.

قال ابن عبَّاسٍ : الخاسيء الذي لم يرَ ما يهوى.

وقال المبردُ هاهنا : الخاسيء المبعد المصغر.

وقوله : " وهُو حَسِيرٌ " أي : قد بلغ الغاية في الإعياء ، فهو بمعنى " فاعل " من الحسور الذي هو الإعياء ، ويجوز أن يكون مفعولاً من حسرةُ بعدُ الشيء وهو معنى قول ابن عبَّاسٍ ؛ ومنه قول الشاعر : [البسيط]

٤٧٩٣ – مَنْ مَدَّ طَرْفاً إلى ما فَوْقَ غَايَتِهِ

إرتدَّ خَسْآنَ مِنهُ الطَّرْفُ قَدْ حُسِرَا

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٢٢٢

يقال : حسر بصره يحسر حسوراً ، أي : كلَّ وانقطع نظره من طول مدى ، وما أشبهه ذلك ، فهو حسير ومحسور أيضاً.

قال الشاعر : [الطويل] ٤٧٩٤ – نَظَرْتُ إليْهَا بالمُحَصَّبِ مِنْ مَنِى

فعَادَ إليَّ الطَّرْفُ وهوَ حَسِيرُ

وقيل هو النادم ؛ قال : [الرمل] ٤٧٩٥ – مَا أنَا اليَوْمَ على شَيْءٍ خَلاَ

يَا بْنَةَ القَيْنِ تولَّى بِحَسِيرْ

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٢٢٢

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ ، أي : السماء القربى ؛ لأنها أقرب السماوات إلى النَّاس ، والمعنى : السَّماء الدُّنيا من النَّاس أي : الدنيا منكم لأنها " فعلى " تأنيث " فعل " التفضيل ، " بِمصَابِيحَ " جمع مصباح وهو السِّراجُ ، وسمى الكواكب مصابيح لإضاءتها وسماها زينة لأن الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح ، فكأنه قال : ولقد زيَّنَّا سقف الدارِ التي اجتمعتم فيها بمصابيح الأنوار.

قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾.

الضمير في " وَجَعَلْنَاهَا " يجوز فيه وجهان : أظهرهما : أنه يعود على " مَصَابِيحَ ".

قيل : وكيفية الرَّجْم أن توجد نار من ضوء الكواكب يرمي بها الشيطانُ ، والكواكب في مكانه لا يرجم به.

قاله أبو علي جواباً لمن قال : كيف تكون زينةً وهي رجوم لا تبقى ؟ .

قال المهدويُّ : وهذا على أن يكون الاستراق من موضع الكوكب.

والثاني : أن الضمير يعود على السماء ، والمعنى : وجعلنا منها ؛ لأن ذات السماء ليست للرجوم.

قاله أبو حيان.

وفيه نظر لعدم عود الضمير على السَّماء.

قال القرطبي : والمعنى جعلنا شُهُباً ، فحذف المضاف ، بدليل قوله ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ

شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات : ١٠] ، قال : وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها.

قال المهدويُّ : وهذا على أن يكون الاستراق دون موضع الكوكب.

وقال القشيريُّ : وأحسن من قول أبي علي أن نقول : هي زينة قبل أن ترجم بها الشياطين.

والرجوم : جمع رجمٍ ، وهو مصدر في الأصل أطلق على المرجوم به كضرب الأمير.

٢٣٣

". (١)

"حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾ [طه: ١٢٥] قال: كان بعيد البصر، قصير النظر، أعمى عن الحق قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عز شأنه وجل ثناؤه، عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصص منه معنى دون معنى، فذلك على ما عمه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية، قال: رب لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله. فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه: ﴿لم حشرتني أعمى﴾ [طه: ١٢٥] مع معاينته عظيم سلطانه، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء، أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرفه الجرم الذي استحق به ذلك، إذ كان قد جهله، وظن أن لا جرم له، استحق ذلك به منه، فقال: رب لأي ذنب ولأي جرم حشرتني أعمى، وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا إلا بدون ما يستحق منك من العقاب." (٢)

"فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [الزخرف: ٣٧] يقول تعالى ذكره: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ [الزخرف: ٣٦] يقول: نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل **العشو: النظر بغير** ثبت لعلة في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشوا وعشوا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة، كما قال الشاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

يعني: متى تفتقر فتأته يعنك، وأما إذا **ذهب البصر ولم** يبصر، فإنه يقال فيه: عشي فلان يعشى عشى منقوص، ومنه قول الأعشى:

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٩٨٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الـطبري، أبو جعفر ١٦/٢٠٢

رأت رجلا عائب الوافدين ... مختلف الخلق أعشى ضريرا
يقال منه: رجل أعشى وامرأة عشواء وإنما معنى الكلام: ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظرا ضعيفا، كنظر من قد عشي بصره ﴿نقيض له شيطانا﴾ [الزخرف: ٣٦]." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ [الحجرات: ٣] يقول تعالى ذكره: إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله، وأصل الغض: الكف في لين ومنه: غض البصر، وهو كفه عن النظر، كما قال جرير:
فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا." (٢)

"داخل عليهم، يقول العرب: اذهب فاستأنس هل ترى أحدا في الدار؟ أي انظر هل ترى فيها أحدا؟
ويروى أن أبا موسى الأشعري أتى منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر: واحدة، فقال أبو موسى: السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر: ثنتان، قال أبو موسى: السلام عليكم أأدخل؟ ومر، فوجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلفه من رده فسأله عن صنيعه فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الاستيذان ثلاثة فإن أذنوا وإلا فارجع» [٢٤] .
فقال عمر: لتأتيني بالبينة أو لأعاقبنك، فانطلق أبو موسى فأتاه بمن سمع ذلك معه «١» .
وعن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أستأذن على امي؟ قال: «نعم» ، قال: «إنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن كلما دخلت؟ قال: «أتحب أن تراها عريانة» ؟ قال الرجل: لا، قال: «فاستأذن عليها» «٢» .
وأخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال: حدثنا موسى بن محمد بن علي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اطلع في بيت بغير إذنهم فقد حل لهم ان يفقئوا عينه» [٢٥] «٣» .
وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شبه قال: حدثنا الحضرمي قال: حدثنا أبو بكر قال:
حدثنا ابن عيينة عن الزهري أنه سمع سهل بن سعد يقول: اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك به رأسه، فقال: «لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك، إنما الاستيذان

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٥/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٤٣/٢١

من النظر» [٢٦] «٤» .

فإن لم تجدوا فيها أي في البيوت أحدا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تقفوا على أبوابهم ولا تلازموها هو أي الرجوع أزكى أطهر وأصلح لكم والله بما تعملون عليم.

فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام

---

(١) صحيح ابن حبان: ١٣/ ١٢٧.

(٢) جامع البيان للطبري: ١٨/ ١٤٨.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ٢٦٦.

(٤) المصنف: ٨/ ٣٩٥. والعبارة فيه: من البصر، بدل: من النظر.." (١)

"ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله سبحانه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة بغير استيذان فيها متاع منفعة لكم

واختلفوا في هذه البيوت ما هي؟ فقال قتادة: هي الخانات والبيوت المبنية للسائلة ليأووا إليها ويؤووا أمتعتهم إليها.

قال مجاهد: كانوا يضعون بطرق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد، وكانت الطرق إذ ذاك آمنة فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن.

محمد بن الحنفية: هي بيوت مكة، ضحاك: الخربة التي يأوي المسافر إليها في الصيف والشتاء، عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من الخلاء والبول، ابن زيد: بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق، ابن جرير: جميع ما يكون من البيوت التي لا ساكن لها على العموم لأن الاستيذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يحب من العورة، فإذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان.

والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا يكفوا من أبصارهم **عن النظر الى** ما لا يجوز، واختلفوا في قوله من فقال بعضهم: هو صلة أي يغضوا أبصارهم، وقال آخرون: هو ثابت في الحكم لأن المؤمنين غير مأمورين **بغض البصر أصلا**، وإنما أمروا بالغض عما لا يجوز.

ويحفظوا فروجهم عمن لا يحل، هذا قول أكثر المفسرين.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨٥/٧

وقال ابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإنه أراد الاستتار يعني: ويحفظوا فروجهم حتى لا ينظر إليها.

ودليل هذا التأويل إسقاط من ذلك أزكى لهم إن الله خبير عليم بما يصنعون.

أخبرني ابن فنجويه في داري قال: حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال:

حدثنا الحسن بن علي بن زكريا قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن حنطب عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا ما ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» «١» [٢٧] .

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شيبة قال: حدثنا الحضرمي قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن قال: حدثنا أبو الحسن أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النظر إلى محاسن المرأة سهم من نبال إبليس مسموم،

---

(١) مسند أحمد: ٥/ ٣٢٣.." (١)

"مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال: فمد سليمان (عليه السلام) عينه فنظر نحو اليمن ودعا آصف، فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان (عليه السلام) .

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف عند الإتيان بالعرش،

فروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن اسم الله الأعظم الذي دعا به آصف «يا حي يا قيوم» [١١٤] «١» .

وروى عثمان بن مطر عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب (يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها) قال: فمثل له بين يديه. وقال مجاهد: يا ذا الجلال والإكرام. وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب قالا: حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال: حدثنا إسماعيل عن عبد الله بن إسماعيل عن ابن زيد قال: الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الأرض؟ وهل يعبد الله عز وجل أم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨٦/٧

لا يعبد؟ فوجد سليمان (عليه السلام) فدعا باسم من أسماء الله فإذا هو بالعرش حمل فأتى به سليمان من قبل إن يرتد إليه طرفه.

وبه عن مجاهد قال: حدثني البزي وابن حرب قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل قال: زعم ابن أبي بزة أن اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم، وقال بعضهم: كان رجل من حمير يقال له: ضبة.

وقال قتادة: كان اسمه بليحا، وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان أما إن الناس يرون أنه كان معه اسم وليس ذلك كذلك، إنما كان رجل عالم من بني إسرائيل آتاه الله علما وفقها فقال: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، قال سليمان (عليه السلام) : هات، فقال: أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك ولا أقدر على حاجته فإن دعوت الله، وطلبت إليه كان عندك.

قال: صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت.

وقوله قبل أن يرتد إليك طرفك اختلفوا في معناه فقال سعيد بن جبير: يعني قبل أن يرجع إليك أقصى من تركت، وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك. قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر.

وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك.

مجاهد: يعني **إدامة النظر حتى** يرتد الطرف خاسئا.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٠٤.." (١)

"هل ترى من فطور فتوق وشقوق وخروق.

الضحاك: اختلاف وشطور، عطية: عيب، ابن كيسان: تباعد، القرظي: قروح، أبو عبيدة: صدوع «١» قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور «٢»

وقال آخر:

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا سكر ولم يبلغ سرور «٣»

وقال آخر:

بنى لكم بلا عمد سماء ... وزينها فما فيها فطور «٤»

ثم **ارجع البصر رد** البصر **وكرر النظر كرتين** مرتين، ينقلب ينصرف ويرجع **إليك البصر خاسئا** خاشعا،

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٢١١

ذليلا، مبعدا وهو حسير يعني كليل، منقطع لم يدرك ما طلب قال الشاعر:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... فعاد إلي الطرف وهو حسير «٥»

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا الحسن بن علويه، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا المسيب، حدثنا إبراهيم البكري عن صالح بن جبار عن عبد الله بن يزيد عن أبيه، قال المسيب: وحدثنا أبو جعفر عن الربيع عن كعب قالا: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة صفر- وقال نحاس- والخامسة فضة، والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء، وبين السماء السابعة إلى الحجب السبعة صحاري من نور، واسم صاحب الحجب «فنطاطروس» .

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح أي الكواكب، واحدها مصباح وهو السراج.

وجعلناها رجوما مرمى للشياطين إذا اخترقوا السمع، وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير ما جعلنا لهم في الدنيا من الشهب، وللذين كفروا بربهم أيضا عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار وهي تفور تزفر وتغلي بهم كما يغلي القدر.

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٢٩/ ٥- ٦، وفتح القدير: ٥/ ٢٥٩.

(٢) لسان العرب: ٤/ ٣٠٣.

(٣) تفسير القرطبي: ١٨/ ٢٠٩.

(٤) الأبيات في تفسير القرطبي: ١٨/ ٢٠٩.

(٥) تفسير القرطبي: ١٨/ ٢١٠. [.....]."[1]

"يدعوهم إليه ولا يفهمونه ولذلك قال تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾.

أي: حالهم حال الأصم الأبكم الأعمى، إذ لا ينتفعون بذلك فيما يدعون إليه.

فالمعنى: صم عن سماع الحق [بكم عن قول الحق، عمي **عن النظر إلى** الحق]. وإنما قدم " صم " في هذا الموضع وفي أول السورة على ما بعده لأنه أشد بلاء مما بعده لأنه يذهب به السمع والعقل. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون﴾ [يونس: ٤٢] فذكر ذهاب السمع [مع الصم]، وذكر بعده **ذهاب البصر مع** العمي لا غير.

وعن ابن عباس أن التقدير: " مثل وعظ الذين كفروا وواعظهم، كمثل الناعق بالغنم، والمنعوق بهم ".

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٣٥٧

فأضيف المثل إلى الذين كفروا، وترك ذكر الوعظ والواعظ لدلالة الكلام عليه. وقيل: التقدير: ومثل الذين كفروا في تخلف فهمهم عن الله D ورسوله / كمثل / المنعوق بهم من البهائم.." (١)

"﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا﴾ بعضها فوق بعض ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ أي: خلقه السماء ﴿من تفاوت﴾ اضطرب واختلاف بل هي مستوية مستقيمة ﴿فارجع البصر﴾ أعد **فيها النظر** ﴿هل ترى من فطور﴾ صدوع وشقوق ﴿ثم ارجع البصر﴾ **كرر النظر** ﴿كرتين﴾ مرتين." (٢)

"وقال أبو إسحاق: ومنهم من يقبل إليك بالنظر وهو كالأعمى من بغضه لك، وكراهته ما يراه من آياتك (١)، هذا على القول الأول في الآية الأولى (٢)، وعلى القول الثاني (٣) معناه: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ فيبصرك ويراك ولا يؤمن بك، وأنت (٤) لا تقدر على أن توفقه للإيمان كما لا تقدر أن تخلق للأعمى بصرا يهتدي به، وذكر ابن قتيبة: أن الله فضل السمع **على البصر حيث** قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن **بذهاب النظر إلا** **ذهاب البصر** (٥).

قال ابن الأنباري: وهذا عندي غلط؛ لأن الذي نفاه الله مع السمع بمنزلة الذي نفاه مع البصر؛ إذ كان الله -عز وجل- أراد إبصار القلوب، ولم يرد إبصار العيون، فالذي يبصره القلب هو الذي يعقله. وهذا الذي ذكره أبو بكر يكون على القول الأول في الآيتين، وعلى القول الثاني: يقال: إن الله تعالى نفى العقل [عن (٦) الصم لا من حيث أن فقد السمع يوجب فقد العقل، ولكنه زاد نفي العقل] (٧) تأكيدا؛ يقول: لا تقدر أن تسمع الصم الذين لا يعقلون؛ لأن الأصم إذا كان غير عاقل كان أبعد من الانتفاع بما يقال له، فإنه لا يفهم الإشارة أيضا، وإذا كان عاقلا فهم الإشارة، فقامت له مقام

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٢.

(٢) وهو أنهم لشدة بغضهم لمحمد بمنزلة الصم.

(٣) وهو أنهم يستمعون القرآن وهم بمنزلة الصم لعدم التوفيق.

(٤) في (ح) و (ز): (وإنك).

(٥) "تأويل مشكل القرآن" ص ٧.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٤٦/١

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١١١٦

(٦) في (ى): (على)، وهو خطأ.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و (ز).." [١]

"وقوله تعالى: ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ قال شمر: يقال: شخص الرجل بصره، **[وشخص البصر نفسه**، إذا سما وطمح وشصا (١)، كل ذلك مثل الشخوص (٢).

وقال ابن السكيت: شخص بصره] (٣)، إذا فتح عينيه لا يطرف (٤).

قال الفراء: أي لا يغتمض من هول ما يرى في ذلك اليوم (٥).

وقال ابن عباس: يريد يوم القيامة تشخص فيه أبصار الخلائق إلى الهواء، يريد: أنهم لعجائب ما يرون، ولشدة الحيرة والدووة لا يغتمضون (٦).

٤٣ - قوله تعالى: ﴿مهطعين﴾ قال أبو إسحاق: منصوب على الحال، المعنى: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطعين، فعلى ما ذكره الألف واللام في: ﴿الأبصار﴾ يدل على الكناية؛ لأن التأويل بأبصارهم على ما ذكر، وأما تفسير الإهطاع (٧) فقال أبو عبيدة: هو

---

(١) انظر: "اللسان" (طمح) ٥/ ٢٧٠٢، (شصا) ٤/ ٢٢٥٩.

(٢) ورد في "تهذيب اللغة" (شخص) ٢/ ١٨٤٠ نقله بنصه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) "إصلاح المنطق" ص ٢٦٣ بنصه، وورد في "تهذيب اللغة" (شخص) ٢/ ١٨٤٠ بنصه، والطرف: تحريك الجفون في النظر؛ يقال شخص بصره فما يطرف. انظر: "المحيط في اللغة" (طرف) ٩/ ١٦٠.

(٥) لم أجد قوله في معانيه، وورد منسوبا إليه في "تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦، و"تفسير الشوكاني" ٣/ ١٦٤، وصديق خان ٧/ ١٣٠.

(٦) ورد في تفسيره "الوسيط" تحقيق سيسي ١/ ٣٣٤ بنصه، وانظر: "تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦، وورد نحوه بلا نسبة في "تفسير الرازي" ١٩/ ١٤١، والخازن ٣/ ٨٤، و"تفسير الشوكاني" ٣/ ١٦٤، وصديق

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠٧/١١

خان ٧/ ١٣٠.

(٧) في جميع النسخ (الانقطاع) وهو تصحيف ظاهر.." [١]

"الماء (١)؛ فكأن هذه الأبصار منعت من النظر، كما يمنع السكر الماء من الجري، والتشديد يوجب زيادة وتكثيرا.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مأخوذ من سكر الشراب؛ يعني أن الأبصار حارت ووقع بها من **فساد النظر** **مثل** ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل وفساد اللب (٢)، فإذا كان هذا معنى التخفيف، فسكران بالتشديد يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة.

وقال أبوعبيدة: ﴿سكرت أبصارنا﴾: غشيت سمادير (٣) فذهبت وخبا نظرها، وأنشد (٤):

جاء الشتاء واجثأل القبر ... وجعلت عين الحرور تسكر (٥)

---

(١) انظر: (سكر) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٧١٩ بنصه ونسبه لليث، "المحيط في اللغة" ٦/ ١٨٤، "اللسان" ٤/ ٢٠٤٧، "التاج" ٦/ ٥٣٥.

(٢) ورد في "تفسير الطبري" ١٤/ ١٢ مختصرا، وورد بنحوه في "معاني القرآن" للنحاس ٤/ ١٤، "تهذيب اللغة" (سكر) ٢/ ١٧١٩، "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٣٨٦، الفخر الرازي ١٩/ ١٦٧، "تفسير القرطبي" ١٠/ ٩، "اللسان" (سكر) ٤/ ٣٧٤.

(٣) السمادير: **ضعف البصر وغشاوة** العين، ويقال: هو الشيء الذي يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغيره.

انظر: باب الرباعي (سمدد) في "تهذيب اللغة"، ٢/ ١٧٥١، و"المحيط في اللغة" ٨/ ٤٢٩.

(٤) للمثنى بن جندل الطهوي. عاش في العصر الأموي، وأخباره في "سمط اللآلي" ص ٦٤٤.

(٥) ورد في "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٧٥، "تهذيب اللغة" (سكر) ٢/ ١٧١٩، "اللسان" (سكر) ٤/ ٢٠٤٨، (قبر) ٦/ ٣٥١٠، وورد في بعض المصادر على النحو التالي: =." [٢]

"ابن خلف، ﴿ومن يأمر بالعدل﴾، يريد حمزة وعثمان بن مظعون (١).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٤٩٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٥٥٨

٧٧ - قوله تعالى: ﴿ولله غيب السماوات﴾ قال أبو إسحاق: معناه: ولله علم غيب السموات والأرض (٢)، وذكرنا الكلام في معنى غيب السموات والأرض في آخر آية من سورة هود [١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة﴾: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق في صيحة (٣).

وقوله تعالى: ﴿إلا كلمح البصر﴾ قال ابن الأعرابي: **اللمح: النظر بسرعة** (٤)، يقال: لمحه ببصره لمحا ولمحانا (٥)، أنشد الفراء:

لمحان أقنى فوق طود يافع ... بعض العداة دجنة وظلالا (٦)

---

(١) ورد في "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٦٠ ب، بنصه مختصرا، وانظر: "تفسير البغوي" ٥/ ٣٣ - ٣٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣، و"القرطبي" ١٠/ ١٤٩، وهذا كالمثل الأول؛ لا دليل صحيح على تخصيصه بأحد بعينه، وحسبك تضارب الروايات لرده، والصحيح حمل الآية على العموم. انظر: التعليق على آية [٧٥]، و"تفسير أبي حيان" ٥/ ٥٢٠، و"تفسير الألوسي" ١٤/ ١٩٧.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٣) انظر: "تفسير الفخر الرازي" ٢٠/ ٨٨، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ١٥٠، بنصه غير منسوب.

(٤) ورد في لمح ٥/ ٩٨، بمعناه.

(٥) اللمح: **هو النظر الخاطف** كرجوع الطرف، يشبه بلمعان البرق، يقال: لمح البرق والنجم؛ أي لمع، ويقال: لمحه ببصره وألمحه، والاسم: اللمحة. انظر: (لمح) في "العين" ٣/ ٢٤٣، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٢٩٦، و"المحيط في اللغة" ٣/ ١١٦، و"الصحاح" ١/ ٤٠٢.

(٦) لم أقف عليه. (أقنى): برز، (طود)، الطود: الجبل العظيم، (يافع): هو التل المشرف، وقيل: ما أرتفع من الأرض، (دجنة)، الدجنة: الظلماء.." (١)

"قال ابن عباس في قوله: ﴿وما أمر الساعة﴾، يريد: القيامة، ﴿إلا كلمح البصر﴾، يريد: النظر.

وقال قتادة: هو أن يقول: كن، فهو ﴿كلمح البصر﴾ (١).

وقال السدي: هو كلمح العين من السرعة، ﴿أو هو أقرب﴾: من ذلك إذا أردناه (٢)، وشرح أبو إسحاق معنى هذا فقال: الساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم، أعلم الله تعالى أن البعث والإحياء في قدرته ومشيئته،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣/١٥٠

﴿كلمح البصر أو هو أقرب﴾، ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها (٣)، ومعنى (أو) في قوله: ﴿أو هو أقرب﴾: أن أمرها يكون على إحدى منزلتين: إما لمح البصر، وإما أقرب، فأدخل (أو) لشك المخاطب؛ أي كونوا في تقدير سرعة كونها على هذا الشك، وهذا معنى قول قطرب: أراد أن يطويه عنا (٤)، وقيل: إن (أو) هاهنا بمنزلة بل (٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٢/ ٣٥٩) بنصه، والطبري ١٤/ ١٥١ بنصه، وورد في "معاني القرآن" للنحاس ٤/ ٩٥، بنصه، وأورده السيوطي في "الدر المنثور" ٢٣٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في تفسيره "الوسيط" تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٤، وأورده السيوطي في "الدر المنثور"، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) بذلك فسرها مقاتل ١/ ٢٠٥ ب، والسمرقندي ٢/ ٢٤٤، وهود الهواري ٢/ ٣٨٠، وانظر: "تفسير البغوي" ٥/ ٣٤، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٨، و"تفسير القرطبي" ١٠/ ١٥٠، وأورده أبو حيان في تفسيره وأبطله بحجة أن الإضراب هنا يؤدي إلى فساد المعنى، وتعقبه الألوسي وصححه، انظر: "تفسير أبي حيان" ٥/ ٥٢١، =." (١)

"قال ابن عباس: يريد: لا ينظروا إلى ما لا يحل لهم (١). وهذا قول المفسرين (٢).

وقالوا: إن (من) هاهنا صلة. وهو قول مقاتل، وسفيان (٣).

وقيل (٤): إن (من) هاهنا لتبعيض (٥) الغض، وهو الغض عم لا يحل

= (غض)، "لسان العرب" ٧/ ١٩٧ "غضض"، "خزانة الأدب" ١/ ٧٢. وهو من قصيدة يهجو بها الراعي النميري.

(١) روى الطبري ١٨/ ١١٧ وابن أبي حاتم ٧/ ٣٤ أعن ابن عباس قال: يغضوا أبصارهم عما يكره الله. وقد أخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" ٧/ ٣٤ ب عن قتادة نحو هذا القول الذي ذكره الواحدي عن ابن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥١/١٣

عباس.

(٢) انظر: "الطبري" ١٨/ ١١٦ - ١١٧، "تفسير ابن أبي حاتم" ٧/ ٣٤ أ، ب، الثعلبي ٣/ ٧٧ ب، "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) قول مقاتل في "تفسيره" ٢/ ٣٧ ب، وتتمة كلامه: يعني: يحفظوا أبصارهم كلها عما لا يحل **لهم النظر إليه**. اهـ وقد حكى الماوردي في "النكت والعيون" ٤/ ٨٩ هذا القول عن قتادة. وأما قول سفيان فلم أجده. وقد روى ابن أبي حاتم ٧/ ٣٤ أمثل هذا القول عن سعيد بن جبير. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ١٧٧ عن سعيد، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) حكى الرازي ٢٣/ ٢٠٢ هذا القول عن أكثر المفسرين. قال الثعلبي ٣/ ٧٧ أ: لأن المؤمنين غير مأمورين **بغض البصر أصلا**، وإنما أمروا بالغض عما لا يجوز. واستظهر ابن عطية ١٠/ ٤٨٥ هذا القول. وقوى القرطبي ١٢/ ٢٢٣ هذا القول بما في "صحيح مسلم" كتاب: الآداب- باب: نظر الفجأة ٣/ ٩٩ عن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن نظرة الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري.

وانظر: "المحرر" لابن عطية ١٠/ ٤٨٦، القرطبي ١٢/ ٢٢٢، "الدر المصون" للسمين الحلبي ٨/ ٣٩٧.

(٥) (لتبعيض): موضعها بياض في (ظ).." (١)

"النظر إليه، فأما (١) ما يحل فلا يجب الغض عنه.

وقوله ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ أي عن الفواحش وعمن لا يحل. وهذا قول عامة (٢) المفسرين (٣).

وروى الربيع (٤)، عن أبي العالية قال: كل آية في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية. قال: يحفظوا فروجهم ألا يراها أحد (٥). ونحو هذا قال ابن زيد (٦).

ويدل على صحة هذا التأويل إسقاط (من) هاهنا على قول من يجعله للتبعيض (٧).

---

(١) في (أ): (وأما).

(٢) عامة: ساقطة من (ظ).

(٣) حكاه الثعلبي ٣/ ٧٧ أ، عن أكثر المفسرين. وانظر: "الطبري" ١٨/ ١١٦، وابن أبي حاتم ٧/ ٣٤ ب، "الدر المنثور" ٦/ ١٧٦ - ١٧٧.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦/١٩٧

(٤) هو: الربيع بن أنس.

(٥) رواه الطبري ١٨/ ١١٦، وابن أبي حاتم ٧/ ٣٤ ب عن الربيع، عن أبي العالية. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ١٧٧ ونسبه أيضا لعبد بن حميد وابن المنذر. قال الجصاص في "أحكام القرآن" ٣/ ٣١٥ - بعد ذكره لهذا القول عن أبي العالية: هذا تخصيص بلا دلالة، والذي يقتضيه الظاهر أن يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم عليه من الزنا واللمس والنظر، وكذلك سائر الآي المذكورة في غير هذا الموضع في حفظ الفروج، هي على جميع ذلك ما لم يقم الدلالة على أن المراد بعض ذلك دون بعض.

(٦) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٧٧ أ، والزمخشري ٣/ ٦٠.

(٧) قال الزمخشري ٣/ ٦٠: فإن قلت كيف دخلت -يعني "من"- في **غض البصر دون** حفظ الفروج؟ قلت: دلالة على أن **أمر النظر أوسع**؛ ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن .. وأما الفرج فمضيق، وكفاك فرقا أن **أبيح النظر إلا** ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه.." [١]

"وقال إبراهيم، ومجاهد: رفرف أخضر (١).

وقال السدي: غشيها طيور من فوقها (٢).

وروي مرفوعا: "غشيها نور من الله حتى ما يستطيع أحد ينظر إليها" (٣).

١٧ - قوله تعالى: ﴿ما **زاغ البصر وما** طغى﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛ لأن الله تعالى أعطاه من القوة ما قوي به **على النظر إلى** الآيات (٤).

فعلى هذا القول معنى الآية ما مل بصره من رؤية الآيات خوفا وجزعا.

وروى مسلم عن ابن عباس: ما **زاغ البصر يمينا** ولا شمالا ولا جاوز ما أمر به (٥). ونحو ذلك روى الكلبي، وهو قول مجاهد، والمفسرين، قال الكلبي: ما قلب بصره يمينا ولا شمالا، وما جاوز ما رأى (٦).

وعلى هذا معنى الآية وصف أدب النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره إلى غير ما أري من الآيات واستقبله من

= ويروى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .. بدون سند. "الكشف والبيان" ١٢/ ٩ ب.

وانظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٣٣، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٢٥٢.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦/١٩٨

(١) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٩٧، و"فتح القدير" ٥/ ١٠٧.

(٢) انظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٢٤٨.

(٣) لعل مراد المؤلف رحمه الله ما ورد في الصحيح وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها .. " "صحيح مسلم"، كتاب: الإيمان" باب: الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- .. ١/ ١٤٦.

(٤) لم أقف عليه

(٥) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٣٤، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٩٧، وأخرجه الحاكم في "المستدرك" ٢/ ٤٦٩ عن مجاهد عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وزاد الذهبي وعلى شرط مسلم أيضا.

(٦) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٢٩٣، و"الوسيط" ٤/ ١٩٨، و"معالم التزيل" ٤/ ٢٤٩، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٢٥٢.." [١]

"وروى الوالبي عن ابن عباس قال: خلق الله الخلق كلهم بقدر، وخلق لهم الخير والشر، فخير الخير السعادة، وشر الشر الشقاوة (١).

٥٠ - قوله تعالى ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من **لمح البصر** (٢).

وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة (إلا واحدة) **كطرف البصر** (٣)، وهذا قول مقاتل، يقول: مرة واحدة كرجوع الطرف (٤). وهذا القول هو اختيار الفراء وأبي عبيد (٥).

وعلى هذا يختص الكلام بأمر الساعة.

ومعنى اللمح في **اللغة: النظر بالعجلة**، يقال: لمح البرق ولمح البصر، ولمحه ببصره (٦).

والأحسن في معنى الآية أن هذا عام في كل ما يخلقه الله تعالى ويريد تكوينه. يقول: إذا أردنا أن نفعل شيئا فمرة واحدة لأنه ليس منا معاناة ولا علاج ولا توصل بالآلات والأسباب فيكون بمرات كما تكون أفعال العباد، إنما هو كن فيكون.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤/٢١

٥١ - قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ يعني أشباهكم

---

(١) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٦٥، و"الكشف والبيان" ١٢/ ٢٩ ب.

(٢) انظر: "الوسيط" ٤/ ٢١٦، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٦٥، و"زاد المسير" ٨/ ١٢.

(٣) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٧، و"الوسيط" ٤/ ٢١٦، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٦٥.

(٤) انظر: "تفسير مقاتل" ١٣٤ ب.

(٥) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١١.

(٦) انظر: "تهذيب اللغة" ٥/ ٩٧، و"اللسان" ٣/ ٣٩٨، و"مفردات الراغب" ص ٤٥٤ (لمح).." [١]

"وقال الزجاجي: (برق) بصر فلان، يبرق برقا (إذا) (١) تحير، والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق، فيؤثر ذلك في ناظره، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق كما يقال: قمر بصره، إذا فسد من النظر إلى القمر، ثم استعير في الحيرة، وكذلك يفكر الرجل في أمره، أي تحير ودهش. وأصله من قولهم: بعلت المرأة، إذا فاجأها زوجها فنظرت إليه وتحيرت، وكذلك: ذهب إذا نظر إلى الذاهب الكثير، فجاز، كل ذلك بين في معنى الحيرة، والأصل لغيرها (٢).

قال قتادة: برق البصر: شخص البصر (٣).

وقول مقاتل: وذلك لما يرى من العجائب التي يكذب بها فيبرق بصره، ولا يكاد يطرق (٤).

وقال عطاء: يريد عند الموت (٥).

وقال الكلبي: ذلك عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار (٦).

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) "التفسير الكبير" ٣٠/ ٢١٩، ونسبه إلى الزجاج، غير أني لم أجده عند الزجاج، فلعله تصحيف، والمراد به الزجاجي، كما هو في الأصل عند الواحدي، ولم أعثر على مصدر قول الزجاجي فيما بين يدي من مراجعه.

(٣) "جامع البيان" ٢٩/ ١٨٠، و"الكشف والبيان" ١٣: ٥/ أ، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٢، و"الدر المنثور" ٨/ ٣٤٤ وعزاه إلى عبد الرزاق -ولم أجده عنده-، وعبد ابن حميد، وابن المنذر.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢٦/٢١

(٤) "تفسير مقاتل" ٢١٧/ ب، و"الكشف والبيان" ١٣/ ٥/ أ، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٢.
(٥) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٩٤، و"فتح القدير" ٥/ ٣٣٧ وهو مروي عن مجاهد وغيره في كلا المرجعين.
(٦) "معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٢.." [(١)]

"فلو **كان النظر الرؤية** لم يطلب عليه الجزاء، أي: المحب لا يستثيب **من النظر إلى** محبوبه شيئا، بل يريد ذلك ويتمناه، ويدل على ذلك قول الآخر:

ونظرة ذي شجن وأمن ... إذا ما الركائب جاوزن ميلا (١).

فهذا على التوجه إلى الناحية التي المحبوب فيها، **وتقليب البصر نحوها**، وما يعالج من التلفت والتقلب، كقول الآخر:

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة ... إلا وذكرك يلوي دايبا عنقي (٢)

هذا الذي ذكرنا هو الأصل في اللغة (٣)، ثم يجوز أن يعني بالنظر: الرؤية؛ لأن **تقليب البصر نحو** المبصر تتبعه (٤) الرؤية، وقد يجري على الشيء لفظ ما يتبعه ويقترن به، كقولهم للفناء: عذرة، ولذي بطن الإنسان: غائط.

والنظر يعدى بإلى، ثم يجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل كما أنشده (٥) الأخفش:

ظاهرات الجمال والحسن ينظر ... ن كما تنظر الأراك الظباء (٦)

---

(١) البيت في "المفضليات" ١/ ٥٦ ولم ينسبه. وقوله وأمن كذا في المخطوطة وفي "المفضليات": (وامق) ولعلها أصوب.
(٢) البيت في "الحلة السيراء" ١/ ٩٤، وفي "محاضرات الأدباء" ٢/ ٧٣. ولم أهتد لقائله.
(٣) ينظر في (نظر) "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٦٠٣ - ٣٦٠٦، "المفردات" ص ٤٩٩ - ٥٠٠، "اللسان" ٧/ ٤٤٦٥ - ٤٤٦٨ (نظر)، "البحر المحيط" ٢/ ١٢٤.
(٤) في (م): (يتبعه).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٢/٤٨٥

(٥) في (أ): (م) (أنشد).

(٦) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات في "ديوانه" ص ٨٨ وذكره في "البحر المحيط".." [١]

"وقوله تعالى: ﴿على علم﴾ أي: فصلناه بعلم لم يقع منا فيه سهو ولا غلط، وقيل: ﴿على علم﴾ في الكتاب وهو ما أودع من العلوم (١) وبيان الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿هدى ورحمة﴾، قال الزجاج: (﴿هدى﴾ في موضع نصب أي: فصلناه هاديا وذا رحمة) (٢).

وقوله تعالى: ﴿لقوم يؤمنون﴾ يدل على أن القرآن جعل هدى لقوم مخصوصين أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به.

٥٣ - قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا **تأويله**﴾، **النظر هاهنا** بمعنى: الانتظار (٣)، وقد مر في سورة البقرة (٤)، وإنما قيل لهم ﴿هل ينظرون﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأنهم في منزلة المنتظر كأنهم ينتظرون ذلك لأنهم

---

(١) أكثرهم قال: (المعنى بيناه على علم منا بما فصلناه به) اهـ. انظر: "تفسير مقاتل" ٢/ ٤٠، والطبري ٨/ ٢٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ٢٢٨، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن الجوزي ٣/ ٢١٠.

(٢) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤١، والجمهور على نصبهما على الحال من مفعول ﴿فصلناه﴾ أو على أنه مفعول لأجله أي: فصلناه لأجل الهداية والرحمة. قالوا: ويجوز الجر على النعت لكتاب أو البدل منه، والرفع على تقدير مبتدأ أي: هو هدى ورحمة انظر: "معاني الفراء" ١/ ٣٨٠، و"تفسير الطبري" ٣/ ٢٠٨، و"إعراب النحاس" ١/ ٦١٥، و"المشكل" ١٢٩٣، و"البيان" ١/ ٣٦٤، و"التبيان" ص ٣٧٨، و"الفريد" ٢/ ٣٠٩، و"البحر" ٤/ ٣٠٦، و"الدر المصون" ٥/ ٣٦٦.

(٣) النظر: **تقليب البصر والبصيرة** لإدراك الشيء وتأمله ورؤيته، والنظر: الانتظار يقال: نظرته أي انتظرته، وأنظرته - أخرته. انظر: "الجمهرة" ٢/ ٧٦٣، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٦٠٤، و"الصحاح" ٥/ ٣٨٠،

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٤/ ٩٤

و"المجمل" ٣/ ٨٧٣، و"مقاييس اللغة" ٥/ ٤٤٤، و"المفردات" ص ٨١٣، و"اللسان" ٧/ ٤٤٦٦ (نظر).
(٤) انظر: "البسيط" النسخة الأزهرية ١/ ١٢٦ب.." [١]

"السدي: هذا مثل ضربه الله للآلهة، يقول: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء، ورجل حر فقد رزق رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا لا يخاف من أحد، فكذلك أنا، وهذه الآلهة التي تدعون ليست تملك شيئا، وأنا الذي أملك وأرزق من شئت.

وقوله: هل يستوون جمع الفعل لأن المراد بقوله: عبد مملوكا وبقوله: ومن رزقناه الشيوع في الجنس لا التخصيص، وقوله: الحمد لله أنه المستحق للحمد، لأنه المنعم ولا نعمة للأصنام عندهم، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [النحل: ٧٥] يعني أن المشركين لا يعلمون أن الحمد لي لأن جميع النعمة مني، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع.

ثم ذكر مثلا آخر، فقال: ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم﴾ [النحل: ٧٦] لا يقدر على شيء، وهو العيي الأقطع اللسان، ﴿لا يقدر على شيء﴾ [النحل: ٧٦] من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه، ﴿وهو كل على مولاه﴾ [النحل: ٧٦] ثقل ووبال على صاحبه وقريبه وابن عمه، والكل الذي هو عيال وثقل على صاحبه، أينما يوجهه أينما يرسله، والتوجيه: الإرسال في وجه الطريق، يقال: وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه.

وقوله: ﴿لا يأت بخير﴾ [النحل: ٧٦] لأنه عاجز لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه، ﴿هل يستوي هو﴾ [النحل: ٧٦] أي: هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف، ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ [النحل: ٧٦] وهو قادر تام التمييز متكلم، ناطق بالحق، آمر بالعدل، ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ [النحل: ٧٦] دين مستقيم، وهذا مثل للمؤمن والكافر.

٥٢٤ - أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري، نا جعفر بن محمد بن شاكر، نا عفان، نا وهيب، نا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: نزلت في رجلين؛ فالأبكم منهما الكل على مولاه: هو السيد ابن أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم: هو عثمان بن عفان، رضي الله عنه

قوله: ﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴿٧٧﴾ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/١٦٣

تشكرون ﴿٧٨﴾ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٧٩﴾ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل: ٧٧-٨٠] ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ [النحل: ٧٧] تقدم تفسيره، قوله: ﴿وما أمر الساعة﴾ [النحل: ٧٧] يعني القيامة، ﴿إلا كلمح البصر﴾ [النحل: ٧٧] **اللمح النظر بسرعة**، يقال: لمحه ببصر، قال السدي: يقول: هو كلمح العين من السرعة.

﴿أو هو أقرب﴾ [النحل: ٧٧] من ذلك إذا أردنا، وقال الزجاج: أعلم الله أن البعث والإحياء في قدرته ومشيئته **كلمح البصر أو** هو أقرب، ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

يدل على هذا قوله: ﴿." (١)

"سمعت ابن عمر، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» رواه مسلم، عن قتيبة

وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك.

﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ [القمر: ٥٠] قال عطاء، عن ابن عباس: يريد: أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر.

وقال الكلبي، عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر.

ومعنى **اللمح: النظر بالعجلة**.

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ [القمر: ٥١] أشباهكم، ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية، ﴿فهل من مدكر﴾ [القمر: ٥١] متعظ، يعلم أن ذلك حق فيخاف، ويعتبر.

ثم أخبر أن جميع ما فعلته الأمم قبلهم كان مكتوبا عليهم، فقال: ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ [القمر: ٥٢] قال مقاتل: مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ.

﴿وكل صغير وكبير﴾ [القمر: ٥٣] من الخلق، والأعمال، مستطر مكتوب على فاعليه، قبل أن يفعلوه.

قوله: ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ [القمر: ٥٤] أراد: أنهارا، يعني: أنهار الجنة من الماء، والخمر، واللبن، والعسل، فوحد لوفاق الفواصل.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٧٥/٣

﴿في مقعد صدق﴾ [القمر: ٥٥] في مجلس حسن، ﴿عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥] عند ملك قادر، لا يعجزه شيء، والمعنى: في المكان الذي كرمه لأوليائه.." (١)

"فطور ﴿٣﴾ ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير ﴿٤﴾ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴿٥﴾ ﴾ [الملك: ١-٥] .

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿١﴾ الذي خلق الموت والحياة﴾ [الملك: ١-٢]

قال عطاء، عن ابن عباس: يريد: الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

وقال قتادة: يعني: موت الإنسان أذل الله به ابن آدم، والحياة حياته في الدنيا.

﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك: ٢] اللام في: ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء بالحياة، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿أيكم أحسن عملا﴾ [الملك: ٢] : «أيكم أحسن عقلا، وأورع عن محارم الله» ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتمكم عقلا، أشدكم خوفا لله، وأحسنكم فيما أمر الله به، ونهى عنه نظرا» .

وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا، وأترك لها.

وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه، الغفور لمن تاب إليه.

ثم أخبر عن صنعه الذي يدل على توحيده، فقال: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا﴾ [الملك: ٣] بعضها فوق بعض، ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣] قال مقاتل: يعني: ما ترى يابن آدم في خلق السموات من عيب.

وقال قتادة: ما ترى خللا ولا اختلافا.

وقال الكلبي: وهو الذي يفوت بعضه بعضا.

وقرئ تفاوت وهما بمنزلة واحدة، مثل: تصعد وتصاعد، وتعهد به وتعاهدته، **فارجع البصر كرر** النظر، ﴿هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] شقوق، وصدوع، وخروق.

﴿ثم **ارجع البصر كرتين**﴾ [الملك: ٤] قال ابن عباس: مرة بعد مرة.." (٢)

"وعلموا ثم أنكروا وجحدوا (١).

﴿بصاحبهم﴾ (٢): الصاحب: الذي بينك وبينه شأن من خلاف ووفاق.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/٢١٦

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/٣٢٦

و ﴿ما﴾ (٣): للنفي، و ﴿من:﴾ لتأكيد النفي.

و (الجنة): «الجنون» (٤)، **ككلة البصر وكلوله**.

١٨٥ - ﴿ينظروا:﴾ نظر القلب إن شاء الله ولذلك عم المخلوقات كلها بقوله: ﴿وما خلق الله من شيء.﴾ ﴿وأن عسى:﴾ في محل النصب معطوفا على قوله (٥): ﴿ما بصاحبهم من جنة،﴾ أو محل الخفض معطوفا على قوله (٦): ﴿ملكوت السماوات.﴾

وفائدة النظر في المخلوقات الاستدلال بها على صانعها (٧).

﴿بعده:﴾ بعد الحديث، أو بعد تمام الأجل (٨).

١٨٧ - ﴿يسئلونك عن الساعة:﴾ لا يتولى مخلوق إلى علم (٩) أوانها حقيقة، إن واحدا من المخلوقين لو توصل (١٠) إليه من جهة الوحي أو الأمارات المتقدمة وتعينت له الساعة بكمية الأيام والساعات والدقائق لتنكرت بكمية الأعداد والأنفاس والأصوات (١٢٨ ظ) واللحظات والخطرات، كيف وهي ممكنة في كل لحظة غير واجبة (١١).

﴿أيان:﴾ سؤال عن الوقت، يليها الاسم تارة والفعل أخرى، وهي مركبة من أي أوان (١٢).

---

(١) ينظر: المجيد ٣٢٧ (تحقيق: د. إبراهيم الدليمي)، والبحر المحيط ٤/ ٤٢٩.

(٢) في الأصل وع وب: لصاحبهم، وهو خطأ.

(٣) في ب: ومن، وهو خطأ. وينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٦٠٥، والدر المصون ٥/ ٥٢٥.

(٤) غريب القرآن وتفسيره ١٥٤، وتفسير غريب القرآن ١٧٥.

(٥) في الآية السابقة.

(٦) (ما بصاحبهم من جنة. . . قوله) ليس في ب. وينظر: إعراب القرآن ٢/ ١٦٥، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٣٠٦، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٦٠٥.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٩٢، والتبيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٤، وزاد المسير ٣/ ٢٠١.

(٨) ينظر: تفسير القرطبي ٧/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٤/ ٤٣١.

(٩) (مخلوق إلى علم) ساقطة من ب.

(١٠) في ب: تصل.

(١١) في الأصل وب: أواجبة، والهمزة مقحمة.

(١٢) في ك وب: وأن. وينظر: المجيد ٣٢٩ - ٣٣٠ (تحقيق: د. إبراهيم الدليمي)، والبحر المحيط ٤/ ٤١٨، والدر المصون ٥/ ٥٢٩ - ٥٣٠.." (١)

"﴿فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (٢٨) ﴾

قوله عز وجل: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها﴾ أي: إن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ يعني: إذا كان في البيت قوم فقالوا: ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما، ﴿هو أزكى لكم﴾ يعني: الرجوع أطهر وأصلح لكم، قال قتادة: إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب ٣٨/ب فإن للناس حاجات، وإذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز.

وكان ابن عباس يأتي باب الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج، ولا يستأذن، فيخرج الرجل ويقول: يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني، فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم (١) وإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردودا: أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلا اطلع على النبي صلى الله عليه وسلم من ستر الحجرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم مدرى (٢) ، فقال: "لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتيه لطعنت بالمدرى في عينيه، وهل جعل الاستئذان إلا من أجل البصر" (٣) .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح" (٤) .

قوله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ من الدخول بالإذن وغير الإذن. ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر بسنده مطولا في جامع بيان العلم وفضله ص (١٤٠) .

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧١٣/١

(٢) تطلق على نوعين: أحدهما: صغير يتخذ من آبنوس أو عاج أو حديد يكون طول المسلة يتخذ لفرق الشعر فقط، وهو مستدير الرأس على هيئة نصل السيف. وثانيهما: كبير وهو عود مخروط من آبنوس أو غيره، وفي رأسه قطعة منحوتة في قدر الكف، ولها مثل الأصابع، أولاهن معوجة مثل حلقة الإبهام المستعمل للتسريح.

(٣) أخرجه البخاري في الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له: ١٢ / ٢٤٣ ومسلم في الآداب باب **تحريم النظر في** بيت غيره برقم: (٢١٥٦) : ٣ / ١٦٩٨.

(٤) أخرجه البخاري في الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له: ١٢ / ٢٤٣ ومسلم في الآداب باب **تحريم النظر في** بيت غيره برقم: (٢١٥٨) : ٣ / ١٦٩٩ والمصنف في شرح السنة: ١٠ / ٢٥٤ والشافعي: ٢ / ١٠١.." (١)

"ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله عز وجل:

﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) ﴾

﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ (١) ، أي: بغير استئذان، ﴿فيها متاع لكم﴾ يعني منفعة لكم. واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الخانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤوا أمتعتهم إليها، جاز دخولها بغير استئذان، والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة. وقال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن. وكان ابن سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول: السلام عليكم أأدخل؟ ثم يلج. وقال عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط. وقيل: هي جمع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (٢) ، ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ قوله عز وجل: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ أي: **عن النظر إلى** ما لا **يحل النظر إليه**. وقيل: "من" صلة أي: يغضوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين **بغض البصر أصلا** لأنه لا يجب الغض عما **يحل النظر إليه**، وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا **يحل النظر إليه**، ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه،

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣١/٦

﴿ذلك﴾ أي: **غض البصر وحفظ** الفرج، ﴿أزكى لهم﴾ أي: خير لهم وأطهر، ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ عليم بما يفعلون، روي عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة" (٣) .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٧٥ وانظر: القرطبي: ١٢ / ٢١٣.

(٢) ذكره هذه الأقوال الطبري: ١٨ / ١١٣-١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح، باب: ما يؤمر به من غض البصر: ٣ / ٧٠ والترمذي في الأدب، باب: ما جاء في نظرة المفاجأة: ٨ / ٦١ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، والدارمي في الرقاق باب: في حفظ السمع: ٢ / ٢٩٨ وصححه الحاكم: ٢ / ١٩٤ على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: ٥ / ٣٥٣، ٣٥٧ وذكره المصنف في شرح السنة: ٩ / ٢٣.." [١]

"قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ أي لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية، وهما زينتان خفية وظاهرة، فالخفية: مثل الخلخال، والخضاب في الرجل، والسوار في المعصم، والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا **للأجنبي النظر إليها**، والمراد من الزينة موضع الزينة.

قوله تعالى: ﴿إلا ما ظهر منها﴾ أراد به الزينة الظاهرة. واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى: قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: "خذوا زينتكم عند كل مسجد" (الأعراف-٣١) ، وأراد بها الثياب. وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف.

فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل **الأجنبي النظر إليه** إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئا منها غض البصر، وإنما رخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنه؛ لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره.

قوله عز وجل: ﴿وليضربن بخمرهن﴾ أي: ليلقين بمقانعهن، ﴿على جيوبهن﴾ وصدورهن [ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن] (١) وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة ٣٩/أرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها (٢) .

﴿ولا يبدين زينتهن﴾ يعني: الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب، وهو ما عدا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٢/٦

الوجه والكفين ﴿إلا لبعولتهن﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لبعولتهن، أي إلا لأزواجهن، ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناءبعولتهن أو إخوانهن﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره **له النظر إلى** فرجها.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من "أ".

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" ٨ / ٤٨٩.." [1]

"وقال الكلبي: خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان. وقيل: كانت المسافة مقدار شهرين. واختلفوا في الدعاء [الذي دعا به] (١) آصف، فقال مجاهد، ومقاتل: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: يا حي يا قيوم. وروي ذلك عن عائشة. وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علما وفهما: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال سليمان: هات، قال: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك، فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت.

وقوله تعالى: ﴿قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال سعيد بن جبير: يعني: من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر. وقال مجاهد: يعني **إدامة النظر حتى** يرتد الطرف خاسئا. وقال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك، ﴿فلما رآه﴾ يعني: رأى (٢) سليمان العرش، ﴿مستقرا عنده﴾ محمولا إليه من مأرب إلى (٣) الشام في قدر ارتداد (٤) الطرف، ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾ نعمته، ﴿أم أكفر﴾ [فلا أشكرها] (٥) ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ أي: يعود نفع شكره إليه، وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ عن شكره، ﴿كريم﴾ بإفضال على من يكفر نعمه.

﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون (٤١) ﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٤/٦

قوله تعالى: ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ يقول: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزاد فيه وينقص، وروي أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿ننظر أتهتدي﴾ إلى عرشها فتعرفه، ﴿أم تكون من﴾ الجاهلين، ﴿الذين لا يهتدون﴾ إليه، وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب

---

(١) ساقط من "ب".

(٢) ساقط من "أ".

(٣) ساقط من "أ".

(٤) في "أ": إمداد.

(٥) ما بين القوسين ساقط من "أ".." (١)

"مرفوعا: " أحسن عملا" أحسن عقلا وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله ١٧٠/أ

وقال فضيل بن عياض "أحسن عملا" أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة.

وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها.

وقال الفراء: لم يوقع البلوى على "أي" [إلا] (١) وبينهما إضمار كما تقول بلوتكم لأنظر أيكم أطوع (٢) . ومثله: "سلهم أيهم بذلك زعيم" (القلم-٤٠) أي: سلهم وانظر أيهم فـ"أي": رفع على الابتداء "وأحسن" خبره ﴿وهو العزيز﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الغفور﴾ لمن تاب إليه.

﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت **فارجع البصر هل** ترى من فطور (٣) ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير (٤) ﴾

﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا﴾ طبقا على طبق بعضها فوق بعض ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ قرأ حمزة والكسائي: "من تفوت" بتشديد الواو بلا ألف، وقرأ الأخرون بتخفيف الواو وألف قبلها. وهما لغتان كالتحمل والتحامل والتطهر والتطاهر. ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل هي مستقيمة مستوية. وأصله من "الفوت" (٣) وهو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها ﴿فارجع البصر﴾ كرر النظر، معناه: انظر ثم ارجع ﴿هل ترى من فطور﴾ شقوق وصدوع.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي، أبو محمد ١٦٥/٦

﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ قال ابن عباس: مرة بعد مرة ﴿ينقلب﴾ ينصرف ويرجع ﴿إليك البصر خاسئا﴾ صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى ﴿وهو حسير﴾ كليل منقطع لم يدرك ما طلب. وروي عن كعب أنه قال: السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة [صفراء] (٤) وقال: نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء بين [السماء] (٥) السابعة إلى الحجب السبعة صحاري من نور (٦) .

---

(١) ساقط من "أ".

(٢) معاني القرآن للفراء: ٣ / ١٦٩,

(٣) في "أ" ارقرب: وهو تصحيف.

(٤) في "ب" صفر.

(٥) ساقط من "ب".

(٦) انظر:البحر المحيط: ٨ / ٢٩٨ وقد عقب على الرواية فقال: " ... والسابعة من زمردة بيضاء،يحتاج إلى نقل صحيح، وقد كان بعض من ينتمي إلى الصلاح - وكان أعمى لا يبصر موضع قدميه - يخبر أنه يشاهد السماوات على بعض أوصاف مما ذكرنا ".." [١]

"[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٢]

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢)

ذلكم إشارة إلى الموصف مما تقدم من الصفات، وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أى ذلك الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى: أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه. ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعنى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب على الأعمال.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٣]

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٧٦/٨

البصر: هو الجوهر اللطيف «١» الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات. فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصرا «٢» في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٤]

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)

---

(١) . قال محمود: «البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في **حاسة النظر به** تدرك ... الخ» قال أحمد:

وقد سلف الكلام على هذه الآية في غير موضعها، لأن المصنف تعجل الكلام عليها قبل، والذي يريده الآن أن الإدراك عبارة عن الاحاطة، ومنه: حتى إذا أدركه الغرق أى أحاط به، وإنا لمدركون أى محاط بنا، فالمنفى إذا عن الأبصار إحاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية، ثم إما أن نقتصر على أن الآية لا تدل على مخالفتنا، أو تزيد فنقول، بدل لنا أن تخصيص الاحاطة بالنفي يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك، وأقله مجرد الرؤية، كما أنا نقول: لا تحيط به الأفهام وإن كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن، فالاحاطة للعقل منفية كنفى الاحاطة للحس، وما دون الاحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفي. ولم يذكر الزمخشري على إحالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة فيحتاج إلى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز، ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئي لا في جهه، فيقتصر معه على إلزامه استبعاد أن يكون الموجود لا في جهة إذ اتباع الرهم يبعدهما جميعا، والانقياد إلى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معا. وهذا القدر كاف بحسب ما أورده في هذا الوضع، والله الموفق.

(٢) . قوله «لأنه متعال عن أن يكون مبصرا» استحالة الرؤية مذهب المعتزلة، لظاهر هذه الآية. وجوازها مذهب أهل السنة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وكل يؤول مستند الآخر. وتحقيقه في التوحيد. (ع)." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٥٤

"ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء، كقوله ولا يظلمون شيئا، فلا يخاف ظلما ولا هضما.

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٧٢]
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا (٧٢)
معناه: ومن كان في الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى. والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر. وأما في الآخرة، فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه، وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل «١» . ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول مما لا، والثاني مفخما «٢» ، لأن أفعل التفضيل تمامه بمن، فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام «٣» ، كقولك: أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء، فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٧٣ الى ٧٥]
وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا (٧٣) ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا (٧٥)
روى أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب: لا نعشر، ولا نحشر، ولا نجبى «٤» في صلاتنا، وكل ربا لنا فهو لنا، وكل ربا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول، وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره، فإذا سألتك العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرنى

---

(١) . عاد كلامه. قال: «وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ... الخ» قال أحمد: أى لأنه من عمى القلب لا من عمي البصر، فجاز أن ينبنى منه أفعل.
(٢) . عاد كلامه. قال: «ومن ثم أمال أبو عمرو الأولى وفخم الثانية ... الخ» قال أحمد: يحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى، أى: فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه، ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده، فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه، بل أعمى عنه أو أشد

عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين، والله أعلم.

(٣) . قوله «الواقعة في وسط الكلام» لعله الكلمة، كعبارة النسفي. (ع)

(٤) . قوله «لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى» في الصحاح «التجبية» أن يقوم الإنسان قيام الراكع. وقال أبو عبيدة: تكون في حالين، أحدهما: أن يضع يديه على ركبتيه، والآخر ينكب على وجهه باركا وهو السجود، وفيه «وج» بلد الطائف: وفيه أيضا: عضدت الشجر، أى قطعته. (ع)." [1]

"بالشك في بيدودة جنته: لطول أمله واستيلا الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة **وإطراحه النظر في** عواقب أمثاله. وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت إلى ربي إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه، ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا، تطمعا وتمنيا على الله، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله، وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه، كقوله إن لي عنده للحسنى، لأوتين مالا وولدا. وقرئ: خيرا منهما، ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة.

وانتصابه على التمييز، أى: منقلب تلك، خير من منقلب هذه، لأنها فانية وتلك باقية.

[سورة الكهف (١٨) : آية ٣٧]

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧)

خلقك من تراب أى خلق أصلك، لأن خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال. جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه لشكه في البعث، كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا

[سورة الكهف (١٨) : آية ٣٨]

لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا (٣٨)

لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت النونان فكان الإدغام. ونحوه قول القائل:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٨٣/٢

وترمينني بالطرف أى أنت مذنب ... وتقلينني لكن إياك لا أقلى «١»

أى: لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربى، والجملة خبر أنا، والراجع منها إليه ياء الضمير. وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا، وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة. وغيره لا يثبتها إلا في الوقف. وعن أبى عمرو أنه وقف بالهاء:

---

(١) . يقول: وترمينني يا محبوبة بطرفك، أى: تشيرين إلى به. فالرمى: استعارة مصرحة، لأنه شبه إطلاق البصر بإطلاق الحجر. ويجوز أن الباء للالة، فالمرمى محذوف فسره بقوله: أى أنت مذنب، فأى تفسيرية، يعنى أن ما رمته به هو ادعاؤها أنه مذنب. وقلاه يقليه، وقليه يقلاه. وقد يقال: قلاه يقلاه بمعنى بغضه أشد البغض، ولكن أصله: ولكن أنا، فنقلت حركة الهمزة إلى النون ثم حذفت، ثم أدغمت النون في النون بعدها، وحذفت الألف الأخيرة في الرسم كاللفظ. ولو أجرى الوصل مجرى الوقف لثبتت، وقدم المفعول وهو «إياك» للاهتمام ببراءتها من فلاء وتخصيصها بذلك دون غيرها من النساء.." (١)

"وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه، وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه: قيل ولا تمدن عينيك أى لا تفعل ما أنت معتاد له وضاربه، ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة. ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير، والفعل واقع على منهم كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم. فإن قلت: علام انتصب زهرة؟ قلت: على أحد أربعة أوجه: على الذم وهو النصب على الاختصاص. وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا، وكونه مفعولا ثانيا له. وعلى إبداله من محل الجار والمجرور. وعلى إبداله من أزواجا، على تقدير ذوى زهرة.

فإن قلت: ما معنى الزهرة فيمن حرك «١» ؟ قلت: معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة الجهرة. وقرئ: أرنا الله جهرة. وأن تكون جمع زاهر، وصفا لهم بأنهم زاهروا هذه الدنيا، لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون، وتهلل وجوههم «٢» وبهاء زيهم وشارتهم «٣» ، بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء: من شحوب الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب، لوجود الكفران

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٧٢٢

منهم. أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم. أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة. أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة «٤» من بعض الوجوه، والحلال خير وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام لا يسمى رزقا أصلا «٥» . وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه

---

(١) . قوله «حرك» أى حرك الهاء بالفتح. (ع)

(٢) . قوله «وتهلل وجوههم» الذي في الصحاح: تهلل وجه الرجل من فرحه، وهلهل النساج الثوب. أرق نسجه وخففه. (ع)

(٣) . قوله «وبهاء زيهم وشارتهم» في الصحاح: الزي والشارة: اللباس والهيئة. (ع)

(٤) . قال محمود: «معناه أن رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا أكثره مكتسب من الحرام ... الخ» قال أحمد:

لولا أن غرض القدرية من هذا إثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا.

فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى، سواء كان حلالا أو غيره، لا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالا، فكما يخلق الله تعالى على يدي العبد ما نهاه عنه، كذلك يرزقه ما أباح له تناوله وما لا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله الموفق الصواب.

(٥) . قوله «والحرام لا يسمي رزقا أصلا» هذا عند المعتزلة، ويسمى رزقا عند أهل السنة. (ع)." [1]

"[سورة النور (٢٤) : آية ٣٠]

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠)

من للتبعيض، والمراد **غض البصر عما** يحرم، والاقتصار به على ما يحل. وجوز الأخفش أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه. فإن قلت: كيف دخلت في **غض البصر دون** حفظ الفروج؟

قلت: دلالة على أن **أمر النظر أوسع**. ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات، والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين. وأما أمر الفرج فمضيق، وكفاك فرقا أن **أبيح النظر إلا** ما استثنى منه، وحظر الجماع

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٩٨

إلا ما استثنى منه. ويجوز أن يراد- مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل- حفظها عن الإبداء. وعن ابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا، إلا هذا فإنه أراد به الاستتار. ثم أخبر أنه خبير بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم؟ وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم؟ فعليهم- إذ عرفوا ذلك- أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

[سورة النور (٢٤) : آية ٣١]

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

النساء مأمورات أيضا بغض الأبصار، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبى إلى ما تحت سرته إلى ركبته، وإن اشتهت غضت بصرها رأسا، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك.

وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن. ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم- وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب- فدخل علينا فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله،." (١)

"علم الوحى والشرائع. وقيل: هو اللوح. والذي عنده علم منه: جبريل عليه السلام. وآتيك- في الموضعين- يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل. الطرف: تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر. ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قوله:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر «١»

وصف برد الطرف، ووصف الطرف بالارتداد. ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء، فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك: ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مد عينيك حتى ينتهى طرفك. فمد عينيه فنظر نحو اليمن. ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب، ثم نبغ «٢» عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله، قبل أن يرد طرفه. ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٢٩/٣

المجيء به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة، وفي ردة طرف، والتفت ترني، وما أشبه ذلك: تريد السرعة. يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب، ويصونها عن سمة الكفران، وترتبط به النعمة ويستمد المزيد.

وقيل: الشكر، قيد للنعمة الموجودة، وصيد للنعمة المفقودة. وفي كلام بعض المتقدمين: إن كفران النعمة بوار، وقلما أقشعت «٣» ناقرة فرجعت في نصابها، فاستدع شاردها بالشكر، واستدم راهنها بكرم الجوار. واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالإنعام على من يكفر نعمته، والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه، جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر، كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٤١ الى ٤٣]

قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون (٤١) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين (٤٢) وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (٤٣)

---

(١) .

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

لأعرابية، نظرها أعرابى فخاطبها بشعر يسألها عن أحوالها ومحاسنها، كأنه يراودها عن نفسها، فأجابته بذلك وقيل: هو لشاعر حماسى. وشبه إطلاق البصر نحو المناظر الجميلة بإرسال الرائد أمام الركب يتعرف لهم مكان الخصب، على طريق التصريحية، ورائدا ترشيح، لأنه يلائم الإرسال. ويوما: ظرف له. والمناظر: مواقع النظر، واستدل على إتعابها إياه بقوله: رأيت الذي لا تملكه كله ولا تصبر عن بعضه، فكانت عينك سببا لوقوع قلبك في حيرة الهوى وحرقة الجوى.

(٢) . قوله «ثم نبغ عند مجلس سليمان» في الصحاح «نبغ الشيء» : ظهر. (ع)

(٣) . قوله «وقلما أقشعت» أى: أقلعت، أفاده الصحاح. (ع)." [١]

"الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب من أهل الإساءة طباقا مطابقة بعضها فوق بعض، من طابق النعل: إذا خصفها طبقا على طبق، وهذا وصف بالمصدر. أو على ذات طباق، أو على: طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ: من تفوت. ومعنى البناءين واحد، كقولهم:

تظاهروا من نسائهم. وتظهروا. وتعاهدته وتعهدته، أى: من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة. وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه. ومنه قولهم: خلق متفاوت. وفي نقيضه: متناصف. فإن قلت:

كيف موقع هذه الجملة مما قبلها؟ قلت: هي صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها: ما ترى فيهن من تفاوت، فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن، وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت: وهو أنه خلق الرحمن، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب، والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب. وقوله تعالى **فارجع البصر متعلق** به على معنى التسبيب، أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن، ثم قال **فارجع البصر حتى** يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة، ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق: جمع فطر وهو الشق. يقال: فطره فانفطر. ومنه: فطر ناب البعير، كما يقال: شق وبزل. ومعناه:

شق اللحم فطلع. وأمره **بتكرير البصر فيهن** متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب إليك أى إن **رجعت البصر وكررت النظر لم** يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أى: بالبعد عن إصابة الملتمس. كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة «١» . وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والبرديد. فإن قلت: كيف **ينقلب البصر خاسئا** حسيرا برجعه كرتين اثنتين؟ قلت: معنى التثنية التكرير بكثرة «٢» ، كقولك:

لبيك وسعديك، تريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض، وقولهم في المثل: دهدرين سعد القين «٣» من ذلك. أى: باطلا بعد باطل. فإن قلت: فما معنى ثم ارجع؟ قلت: أمره يرجع

---

(١) . قوله «بالصغار والقماءة» أى: الصغر والذل، كما في الصحاح. (ع) [.....]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٦٨/٣

(٢) . قال محمود: «لم خص الكرتين؟ فأجاب بأن معنى التثنية هاهنا التكثير ... الخ» قال أحمد: وفي قوله ينقلب إليك البصر وضع الظاهر موضع المضمر. وفيه من الفائدة: التنبيه على أن الذي يرجع خاسئا حسيرا غير مدرك الفطور: هو الآلة التي يلتمس بها إدراك ما هو كائن، فإذا لم يدرك شيء دل على أنه لا شيء. ومن هذا القبيل قوله خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وأصله: ما ترى في خلقهن من تفاوت، ولكنه ذكرهن منسربات لخلق الرحمن، تنبيها على السبب الذي ربأ بهن على الفطور والتفاوت.

(٣) . قوله «دهدرين ... الخ» في القاموس بضم الدالين وفتح الراء المشددة: اسم لبطل، وللباطل والكذب كالدهدر. ودهدرين سعد القين: أى بطل سعد الحداد. أو أن فينا ادعى أن اسمه سعد زمانا، ثم تبين كذبه، فقيل له ذلك» أى: جمعت باطلا إلى باطل يا سعد الحصاد. ويروى منفصلا «ده» أمر من الدهاء، و «درين» من در: أى تتابع، أى: بالغ في الكذب يا سعد. وفيه غير ذلك، فراجعه، كذا بهامش الأصل. (ع)." (١)

"قوله تعالى:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠٣ الى ١٠٥]

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يرى يوم القيامة، يراه المؤمنون وقاله ابن وهب عن مالك بن أنس، والوجه أن يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز، واختصار تبيين ذلك يعتبر بعلمنا بالله عز وجل، فمن حيث جاز أن نعلمه لا في مكان ولا متحيز ولا مقابل ولم يتعلق علمنا بأكثر من الوجود، جاز أن نراه غير مقابل ولا محاذى ولا مكيفا ولا محدودا، وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول: مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك وهو قوله عز وجل: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة [القيامة: ٢٢] وتعدية النظر يأتي إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة، وذكر هذا المذهب لمالك فقال: فأين هم عن قوله تعالى: كلا إنهم عن ربهم يومئذ

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٥٧٦

لمحجوبون [المطففين: ١٥] .
قال القاضي أبو محمد: فقال بدليل الخطاب ذكره النقاش ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم، فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله: إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الأحاديث على اختلاف ترتيب ألفاظها، وذهبت المعتزلة إلى المنع من جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة واستحال ذلك بآراء مجردة، وتمسكوا بقوله تعالى: لا تدركه الأبصار وانفصل أهل السنة عن تمسكهم بأن الآية مخصوصة في الدنيا، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها، وانفصال آخر، وهو أن يفرق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية، ونقول إنه عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه، وذلك الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، وذلك كله محال في أوصاف الله عز وجل، والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي ويبلغ غايته، وعلى هذا التأويل يترتب العكس في قوله وهو يدرك الأبصار ويحسن معناه، ونحو هذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي، فرقوا بين الرؤية والإدراك، وأما الطبري رحمه الله ففرق بين الرؤية والإدراك واحتج بقول بني إسرائيل إنا لمدركون فقال إنهم رأوهم ولم يدركوهم.
قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وهذا كله خطأ لأن هذا الإدراك ليس **بإدراك البصر بل** هو مستعار منه أو باشتراك، وقال بعضهم إن المؤمنين يرون الله تعالى بحاسة سادسة تخلق يوم القيامة، وتبقى هذه الآية في منع الإدراك بالأبصار عامة سليمة، قال: وقال بعضهم: إن هذه الآية مخصوصة في الكافرين، أي إنه لا تدركه أبصارهم لأنهم محجوبون عنه.
قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وهذه الأقوال كلها ضعيفة ودعا ولا تستند إلى قرآن ولا حديث، واللطيف المتلطف في خلقه واختراعه وإتقانه، وبخلقه وعباده والخبير المختبر لباطن أمورهم." (١)

"فلذلك صرفت، وهذه نذارة من نوح لقومه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا وسواعا ويغوث ويعوق وغيرها مما لم يشتهر، وقرأ الكسائي وحده «غيره» بالكسر من الراء على النعت ل إله، وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وأبي جعفر، وقرأ الباقون «غيره» بالرفع، وقرأ حمزة والكسائي «هل من خالق غير الله» خفضا، وقرأ الباقون: «غير الله» رفعا والرفع في قراءة الجماعة هنا على البدل من قوله من إله لأن موضع قوله: من إله رفع، وهو الذي رجح الفارسي، ويجوز أن يكون نعتا على الموضع لأن التقرير ما لكم إله غيره، أو يقدر «غير» ب «إلا» فيعرب بإعراب ما يقع بعد «إلا» ، وقرأ عيسى بن عمر «غيره» بنصب الراء على الاستثناء، قال أبو حاتم: وذلك ضعيف من أجل النفي المتقدم، وقوله عذاب

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٣٣٠

يحتمل أن يريد به عذاب الدنيا ويحتمل أن يريد به عذاب الآخرة.

والملأ الجماعة الشريفة، قال الطبري: لا امرأة فيهم، وحكاه النقاش عن ثعلب في الملأ والرهط والنفر والقوم، وقيل هم مأخوذون من أنهم يملؤون النفس والعين، ويحتمل أن يكون من أنهم إذا تمالؤوا على أمرتم، وقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري عند قفول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر إنما قتلنا عجائز صلعا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أولئك الملأ من قريش لو حضرت أفعالهم لاحتقرت فعلك» . والملأ صفة غالبة وجمعه أملاء وليس من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع لأن رهط لا واحد له من لفظه، و «ملأ» يوجد من لفظه مالىء قال أحمد بن يحيى: المالئ الرجل الجليل الذي يملأ العين بجهرته فيجيء كعازب وخادم ورائح فإن أسماء جموعها عرب وخدم وروح، وإن كانت اللفظة من تمالأ القوم على كذا فهي مفارقة باب رهط ومنه قول علي رضي الله عنه: ما قتلت عثمان ولا مالأت في دمه، وقال ابن عباس «الملؤ» بواو وكذلك هي في مصاحف الشام، وقولهم لنراك يحتمل أن يجعل من رؤية البصر، ويحتمل من رؤية القلب وهو الأظهر وفي ضلال أي في إتلاف وجهالة بما تسلك.

وقوله لهم جوابا عن هذا ليس بي ضلالة مبالغة في حسن الأدب والإعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة، وقوله: ولكني رسول تعرض لمن **يريد النظر والبحث** والتأمل في المعجزة.

قال القاضي أبو محمد: ونقدر ولا بد أن نوحا عليه السلام وكل نبي مبعوث إلى الخلق كانت له معجزة تخرق العادة فمنهم من عرفنا بمعجزته ومنهم من لم نعرف.

وقرأ السبعة سوى أبي عمرو «أبلغكم» بشد اللام وفتح الباء، بسكون الباء وتخفيف اللام، وقوله صلى الله عليه وسلم وأعلم من الله ما لا تعلمون وإن كان لفظا عاما في كل ما علمه فالمقصود منه هنا المعلومات المخوفات عليهم لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت فاللفظ مضمن الوعيد.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣) فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين (٦٤)." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤١٥

"بيمينه

حقيقة في أن في يوم القيامة صحائف تتطاير وتوضع في الأيمان لأهل الإيمان، وفي الشمائل لأهل الكفر، وتوضع في أيمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد، فسيستفيدون منها أنهم غير مخلدين في النار، وقوله يقرؤن كتابهم عبارة عن السرور بها أي يرددنها ويتأملونها، وقوله ولا يظلمون فتيلا أي ولا أقل ولا أكثر، فهذا هو مفهوم الخطاب حكم المسكوت عنه كحكم المذكور. كقوله تعالى فلا تقل لهما أف، [الإسراء: ٢٣] وكقوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة [النساء: ٤٠] وهذا كثير ومعنى الآية: أنهم لا يبخسون من جزاء أعمالهم الصالحة شيئا، و «الفتيل» هو الخيط الذي في شق نواة التمرة يضرب به المثل في القلة وتفاهة القدر، وقوله ومن كان، الآية، قال محمد بن أبي موسى: الإشارة بهذه إلى النعم التي ذكرها في قوله ولقد كرمنا بني آدم أي من عمي عن شكر هذه النعم والإيمان لمسديها، فهو في أمور الآخرة وشأنها أعمى.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أعمى الثاني أن يكون بمنزلة الأول، على أنه تشبيه بأعمى البصر، ويحتمل أن يكون صفة تفضيل، أي أشد عمى، والعمى في هذه الآية هو عمى القلب في الأول والثاني، وقال ابن عباس ومجاهد قتادة وابن زيد: الإشارة بهذه إلى الدنيا، أي من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعبره والإيمان بأنبيائه، فهو في الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف، أي في شأن الآخرة، وإما أن يكون: فهو في يوم القيامة أعمى، على معنى أنه حيران، لا يتوجه له صواب، ولا يلوح له نجح، قال مجاهد «فهو في الآخرة أعمى» عن حجته.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي أن الإشارة ب هذه إلى الدنيا، أي من كان في دنياه هذه ووقت إدراكه وفهمه أعمى عن النظر في آيات الله، فهو في يوم القيامة أشد حيرة وأعمى، لأنه قد باشر الخيبة، ورأى مخايل العذاب، وبهذا التأويل، تكون معادلة للتي قبلها، من ذكر م ن يؤتى كتابه بيمينه، وإذا جعلنا قوله في الآخرة بمعنى في شأن الآخرة، لم تطرد المعادلة بين الآيتين. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «أعمى» في الموضعين، بغير إمالة، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بخلاف عنه في الموضعين بإمالة، وقرأ أبو عمرو بإمالة الأول وفتح الثاني، وتأوله بمعنى أشد عمى، ولذلك لم يمله، قال أبو علي: لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر، وأعمى ليس كذلك لأن تقديره أعمى من كذا، فليس يتم إلا في قولنا من كذا، فهو إذا ليس بآخر، ويقوي هذا التأويل قوله عطفا عليه وأضل سبيلا فإنما عطف أضل الذي هو أفعل من كذا على ما هو شبيه به، وإنما جعله في الآخرة أضل سبيلا، لأن الكافر في الدنيا يمكن أن يؤمن فينجو، وهو في الآخرة، لا يمكنه ذلك، فهو أضل سبيلا، وأشد حيرة، وأقرب إلى العذاب، وقول

سيبويه رحمه الله: لا يقال أعمى من كذا كما يقال ما أبداه، إنما هو في عمى العين الذي لا تفاضل فيه، وأما في عمى القلب فيقال ذلك لأنه يقع فيه التفاضل، وذكر مكي في هذه الآية، أن العمى الأول هو عمى العين عن الهدى وهذا بين الاختلال، والله المعين. وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية، إن هذه عند سيبويه هي المخففة من الثقيلة، واللام في قوله ليفتنونك لام تأكيد، وإن هذه عند الفراء بمعنى ما، واللام بمعنى إلا والضمير في قوله كادوا قيل هو لقريش وقيل لثقيف، فأما لقريش، فقال ابن جبير ومجاهد: نزلت الآية لأنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لا." (١)

"الحمام بغير مئزر وقال أبو العالية كل فرج ذكر في القرآن فهو من الزنا إلا هذه الآيتين فإنه يعني التستر.

قال الفقيه الإمام القاضي: ولا وجه لهذا التخصيص عندي وباقي الآية بين وظاهره التوعد، وقوله تعالى: وقل للمؤمنات الآية أمر الله تعالى النساء في هذه الآية **بغض البصر عن** كل ما يكره من جهة **الشرع النظر إليه**، وفي حديث أم سلمة قالت: كنت أنا وعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن أم مكتوم فقال النبي عليه السلام «احتجبن» فقلنا: أعمى، فقال النبي عليه السلام «أفعمياوان أنتما» ؟ ومن تحتمل ما تقدم في الأولى، و «حفظ الفروج» يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ، وأمر الله تعالى بأن لا يبدين زينتهن للناظرين إلا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية، ثم استثنى ما يظهر من الزينة، فاختلف الناس في قدر ذلك، فقال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب، وقال سعيد بن جبير الوجه والثياب، وقال سعيد بن جبير أيضا وعطاء والأوزاعي الوجه والكفان والثياب، وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفتخ ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس، وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آخر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الفقيه الإمام القاضي: ويظهر لي في محكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه فغالب الأمر أن الوجه بما فيه والكفين يكثر فيهما الظهور، وهو الظاهر في الصلاة، ويحسن بالحسنة الوجه أن تستره إلا من ذي حرمة «محرمة» ، ويحتمل لفظ الآية أن الظاهر من الزينة لها أن تبديه ولكن يقوي ما قلناه الاحتياط ومراعاة فساد الناس

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٤٧٤

فلا يظن أن يباح للنساء من إبداء الزينة إلا ما كان بذلك الوجه والله الموفق للصواب برحمته، وقرأ الجمهور «وليضربن» بسكون اللام التي هي للأمر، وقرأ أبو عمر في رواية عباس عنه و «ليضربن» بكسر اللام على الأصل لأن أصل لام الأمر الكسر في «ليذهب وليضرب» ، وإنما تسكينها كتسكين عضد وفخذ، وسبب هذه الآية أن النساء كن في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر قال النقاش كما يصنع النبط فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك فأمر الله تعالى ب «الخمار على الجيوب» وهيئة ذلك يستر جميع ما ذكرناه، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله المهاجرات الأول لما نزلت هذه الآية عمدن إلى أكثف المروط فشققنها أخمرة وضربن بها على الجيوب.

ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك فشقته عليها وقالت إنما يضرب بالكثيف الذي يستر، ومشهور القراءة ضم الجيم من «جيوبهن» ، وقرأ بعض الكوفيين بكسرها بسبب الياء كقراءتهم ذلك في بيوت وشيوخ ذكره الزهراوي.

قوله عز وجل:

ولا يبدين زينتهن إلا ...." (١)

"غرضه في استدعاء «عرشها» فقال قتادة ذكر له بعظم وجودة فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويحمي أموالهم، و «الإسلام» على هذا التأويل الدين، وهو قول ابن جريج، وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله وليغرب عليها، ومسلمين في هذا التأويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس وذكره صلة في العبارة لا تأثير لاستسلامهم في غرض سليمان، ويحتمل أن يكون بمعنى الإسلام، وظاهر هذه الآيات أن هذه المقالة من سليمان عليه السلام بعد مجيء هديتها ورده إياها، وقد بعث الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المفسرين، وحكى الطبري عن ابن عباس أنه قال هذه المقالة هي ابتداء النظر في صدق الهدهد من كذبه لما قال له ولها عرش عظيم [النمل: ٢٣] قال سليمان أيكم يأتيني بعرشها ثم وقع في ترتيب القصص تقديم وتأخير.

قال القاضي أبو محمد: والقول الأول أصح وروي أن عرشها كان من ذهب وفضة مرصعا بالياقوت والجوهر وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق، وقرأ الجمهور «قال عفريت» ، وقرأ أبو رجاء وعيسى الثقفي «قال عفرية» ، ورويت عن أبي بكر الصديق، وقرأت فرقة «قال عفر» بكسر العين، وكل ذلك لغات فيه وهو من الشياطين القوي المارد والتاء في عفريت زائدة، وقد قالوا تعفرت الرجل إذا تخلق بخلق الإذاية،

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٨/٤

قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت كودا، وروي عن ابن عباس أنه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة: [البسيط]

كأنه كوكب في إثر عفرية ... مصوب في سواد الليل منقضب

وقوله قبل أن تقوم من مقامك قال مجاهد وقتادة وابن منبه معناه قبل قيامك من مجلس الحكم، وكان يجلس من الصبح إلى وقت الظهر في كل يوم، وقيل معناه قيل أن تستوي من جلوسك قائما، وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، قال ابن جبير وقتادة قبل أن يصل إليك من يقع طرفك عليه في أبعد ما ترى، وقال مجاهد معناه قبل أن يحتاج إلى التغميض أي مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداد.

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان يقابلان قول من قال إن القيام هو من مجلس الحكم، ومن قال إن القيام هو من الجلوس، فيقول في ارتداد الطرف هو أن يطرف أي قبل أن تصلح عينيك وتفتحهما، وذلك أن الثاني تعاطى الأقصر في المدة ولا بد. وقوله لقوي أمين معناه «قوي» على حمله أمين على ما فيه، ويروى أن بلقيس لما فصلت من بلدها متوجهة إلى سليمان تركت العرش تحت أقفال وثقاف حصين فلما علم سليمان بانفصالها أراد أن يغرب عليها بأن تجد عرشها عنده ليبين لها أن ملكه لا يضاهى، فاستدعى سوقه فدعا الذي عنده علم من التوراة وهو الكتاب المشار إليه باسم الله الأعظم الذي كانت العادة في ذلك الزمن أن لا يدعو به أحد إلا أجيب، فشقت الأرض بذلك العرش حتى نبع بين يدي سليمان عليه السلام وقيل بل جيء به في الهواء. قال مجاهد وكان بين سليمان وبين العرش كما بين الكوفة والحيرة، وحكى الرماني أن العرش حمل من مأرب إلى الشام في قدر رجع البصر.

قال القاضي أبو محمد: وهي مسيرة شهرين للمجد، وقول مجاهد: أشهر، وروي أن الجن كانت." (١)

"وكان شكر القوم عند المنى ... كي الصحيحات وفقء الأعين

وقد أخبر الله تعالى أنه أنزل من السماء ماء مباركا فأنبت به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد فهذا معنى قوله: أنكم تكذبون، أي بهذا الخبر.

وقرأ عاصم في رواية المفضل عنه: «تكذبون» بفتح التاء وسكون الكاف وتخفيف الدال كقراءة علي بن أبي طالب. وكذبهم في مقالتهم بين، لأنهم يقولون هذا بنوء كذا وذلك كذب منهم وتخرص، وذكر الطبري أن النبي عليه السلام سمع رجلا يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال له: «كذبت، بل هو رزق الله»

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٦٠/٤

.

قال القاضي أبو محمد: والنهي عنه المكروه هو أن يعتقد أن للطالع من النجوم تأثيرا في المطر، وأما مراعاة بعض الطوالع على مقتضى العادة، فقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء: يا عباس، يا عم النبي عليه السلام كم بقي من نوء الثريا، فقال العباس: العلماء يقولون إنها تتعرض في الأفق بعد سقوطها سبعا.

قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتى مطروا.

وقوله تعالى: فلولا إذا بلغت الحلقوم توقيف على موضع عجز **يقتضي النظر فيه** أن الله تعالى ملك كل شيء، والضمير في: بلغت لنفس الإنسان والمعنى يقتضيها وإن لم يتقدم لها ذكر.

و: الحلقوم مجرى الطعام، وهذه الحال هي نزاع المرء للموت.

وقوله: وأنتم إشارة إلى جميع البشر، وهذا من الاقتضاب كقوله تعالى: ولا تقتلوا أنفسكم [النساء: ٢٩] .

وقرأ عيسى بن عمر: «حينئذ» بكسر النون. و: تنظرون معناه إلى المنازع في الموت.

وقوله تعالى: ونحن أقرب إليه منكم يحتمل أن يريد ملائكته ورسله، ويحتمل أن يريد بقدرتنا وغلبتنا، فعلى الاحتمال الأول يجيء قوله: ولكن لا تبصرون **من البصر بالعين**، وعلى التأويل الثاني يجيء **من البصر بالقلب**. وقال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله أقرب إليه مني، ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية بلفظ التحضيض، والمدين: المملوك هذا أصح ما يقال في معنى اللفظة هنا، ومن عبر عنها بمجازي أو بمحاسب فذلك هنا قلق والمملوك يقلب كيف يشاء المالك، ومن هذا الملك قول الأخطل: [الطويل]

ربت وربا في حجرها ابن مدينة ... تراه على مسحاته يتركل

أراد ابن أمة مملوكة وهو عبد يخدم الكرم، وقد قيل في معنى هذا البيت: أراد أكارا حضريا لأن الأعراب في البادية لا يعرفون الفلاحة وعمل الكرم، فنسبه إلى المدينة لما كان من أهلها، فبمعنى الآية فلولا ترجعون النفس البالغة الحلقوم إن كنتم غير مملوكين مقهورين ودين الملك حكمه وسلطانه، وقد نحا إلى هذا المعنى الفراء، وذكره مستوعبا النقاش.

وقوله: ترجعونها سدت مسد الأجوبة والبيانات التي يقتضيها التحضيضات، وإذا من قوله:." (١)

"أحسن عملا أزهدكم في الدنيا. وقوله تعالى: «ليبلو» دال على فعل تقديره: فينظر أو فيعلم أيكم، وقال جماعة من المتأولين: الموت والحياة، عبارة عن الدنيا والآخرة، سمى هذه موتا من حيث إن فيها الموت، وسمى تلك الحياة من حيث لا موت فيها، فوصفهما بالمصدرين على تقدير حذف المضاف،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٢٥٣

كعدل وزور، وقدم الموت في اللفظ، لأنه متقدم في النفس هيبة وغلظة، وطباقا قال الزجاج: هو مصدر، وقيل: هو جمع طبقة أو جمع طبق مثل: رحبة ورحاب، أو جمل وجمال، والمعنى بعضها فوق بعض، وقال أبان بن ثعلب: سمعت أعرابيا يذم رجلا، فقال: «شره طباق، خيره غير باق» ، وما ذكر بعض المفسرين في السماوات من أن بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف كله، ولم يثبت بذلك حديث، ولا يعلم أحد من البشر حقيقة لهذا. وقوله تعالى: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت معناه من قلة تناسب، ومن خروج عن إتقان، والأمر المتفاوت، هو الذي يجاوز الحدود التي توجب له زيادة أو نقصانا، وقرأ جمهور القراء: «من تفاوت» ، وقرأ حمزة والكسائي وابن مسعود وعلقمة والأسود وابن جبير وطلحة والأعمش: «من تفوت» وهما بمعنى واحد، وقال بعض العلماء: في خلق الرحمن يعني به السماوات فقط، وهي التي تتضمن اللفظ، وإياها أراد بقوله: هل ترى من فطور، وإياها أراد بقوله:

ينقلب **إليك البصر الآية**، قالوا وإلا ففي الأرض فطور، وقال آخرون: في خلق الرحمن يعني به جميع ما في خلق الله تعالى من الأشياء، فإنها لا تفاوت فيها ولا فطور، جارية على غير إتقان، ومتى كانت فطور لا تفسد الشيء المخلوق من حيث هو ذلك الشيء، بل هي إتقان فيه، فليست تلك المرادة في الآية، وقال منذر بن سعيد: أمر الله تعالى بالنظر إلى السماء وخلقها ثم أمر بالتكرير في النظر، وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر، ليرى فيها خللا أو نقصا، فإن بصره ينقلب خاسئا حسيرا، **ورجع البصر ترديده** في الشيء المبصر. وقوله: كرتين معناه مرتين، ونصبه على المصدر، والخاسئ المبعد بذل عن شيء أراده وحرص عليه، ومنه الكلب الخاسئ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد:

«اخسأ فلن تعد وقدرك» ، ومنه قوله تعالى للكفار الحريصين على الخروج من جهنم: اخسؤا فيها [المؤمنون: ١٠٨] ، وكذلك **هنا البصر يحرص** على روية فطور أو تفاوت فلا يجد ذلك، فينقلب خاسئا، والحسير العيي الكال، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

لهن الوجا لم كن عونا على النوى ... ولا زال منها طالح وحسير

قوله عز وجل:

[سورة الملك (٦٧) : الآيات ٥ الى ٩]

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (٥) وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير (٦) إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور (٧) تكاد تميز من الغيظ

كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير (٨) قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير (٩)

أخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا التي تلينا بمصابيح وهي النجوم، فإن كانت جميع النجوم في." [(١)]

"الحسن، ومقاتل، ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة «١» **فقيد النظر إليه** بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيد. وقوله تعالى: وهو يدرك الأبصار فيه القولان: قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه فأعلم الله أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه فكيف به عز وجل؟! فأما «اللطيف» ، فقال أبو سليمان الخطابي: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الاعرابي: اللطيف: الذي يوصل إليك أربك في رفق ومنه قولهم: لطف الله بك ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية.

وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرفيق بعباده والخبير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٤]

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)

قوله تعالى: قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر: جمع بصيرة، وهي الدلالة التي **توجب البصر بالشيء** والعلم به. قال الزجاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر فمن أبصر فلنفسه نفع ذلك ومن عمي فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله عز وجل غني عن خلقه. وما أنا عليكم بحفيظ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

(فصل:) وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بآية السيف. وقال بعضهم: معناها: لست رقيبا عليكم، أحصي أعمالكم فعلى هذا لا وجه للنسخ.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٣٣٨

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٥]

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

قوله تعالى: وكذلك نصرف الآيات قال الأخفش: وكذلك معناها: وهكذا. وقال الزجاج: المعنى: ومثل ما بينا فيما تلي عليك، نبين الآيات، قال ابن عباس: نصرف الآيات، أي نبينها في كل وجه، ندعوهم بها مرة، ونخوفهم بها أخرى. وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن «دارست» . قال ابن الانباري: معنى الآية: وكذلك نصرف الآيات، لنلزمهم الحجة، وليقولوا:

دارست وإنما صرف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي. قال الزجاج: وهذه اللام في «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة. والمعنى: أن السبب الذي أداهم إلى أن يقولوا: دارست!، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله تعالى: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا «٢» وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوا وحزنا. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه بالكتاب. ولكن العاقبة كانت الهلاك. فأما «دارست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست»

---

(١) سورة القيامة: ٢٢- ٢٣.

(٢) سورة القصص: ٨.." (١)

"عباس. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن النفقة في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلى بن منية عن ابن عباس. والثالث: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الآمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أن المراد بالأبكم: أبي بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء. فيخرج على هذه الأقوال في معنى مولاه» قولان: أحدهما: أنه مولى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس. والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو ثقل على وليه الذي يخدمه ويزينه.

ويخرج في معنى «أينما يوجهه» قولان: إن قلنا: إنه رجل، فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق. وإن قلنا: إنه الصم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أينما يدعوه، لا يجيبه،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٦٣/٢

قاله مقاتل. والثاني: أينما توجه تأميله إياه ورجاه له، لا يأته ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلفه الصنم، كقوله: ما وعدتنا على رسلك «١» أي: على ألسنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما توجهه» بالتاء على الخطاب. فأما قوله: لا يأت بخير فان قلنا: هو رجل، فانما كان كذلك، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، إما لكفره وجحوده، أو لبكم به. وإن قلنا: إنه الصنم، فلكونه جمادا.

هل يستوي هو أي: هذا الأبكم ومن يأمر بالعدل أي: ومن هو قادر على التكلم، ناطق بالحق.

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٧]

ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا **كلمح البصر أو** هو أقرب إن الله على كل شيء قدير (٧٧)

قوله تعالى: ولله غيب السماوات والأرض قد ذكرناه في آخر (هود) «٢» ، وسبب نزول هذه الآية أن كفار مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل.

وقال ابن السائب: المراد بالغيب هاهنا: قيام الساعة.

قوله تعالى: وما أمر الساعة يعني: القيامة إلا **كلمح البصر واللمح: النظر بسرعة**، والمعنى: إن القيامة في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين، لأن الله تعالى يقول: كن فيكون «٣» ، أو هو أقرب قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٨]

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨)

قوله تعالى: والله أخرجكم من بطون أمهاتكم قرأ حمزة «إمهاتكم» بكسر الألف والميم، وقرأ الكسائي بكسر الإلف وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح الميم، وكذلك في النور «٤» والزمر «٥»

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٤.

(٢) سورة هود: ١٢٣.

(٣) سورة البقرة: ١١٧.

(٤) سورة ال نور: ٦١.

(٥) سورة الزمر: ٦.." (١)

"عز وجل ملكين في صورة إنسيين، وقيل: لم يأته الملكان حتى جاء منها سليمان وشب، ثم أتياه فوجداه في محراب عبادته، فمنعهما الحرس من الدخول، فتسوروا المحراب عليه، وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين، وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن وقتادة والسدي، ومقاتل في آخرين.

وذكر جماعة من المفسرين «١» أن داود لما نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى الغزاة مرة بعد مرة إلى أن قتل، فتزوجها وروي مثل هذا عن ابن عباس، ووهب، والحسن في جماعة.

وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزهون عنه.

وقد اختلف المحققون في ذنبه الذي عوتب عليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه لما هويها، قال لزوجها: تحول لي عنها، فعوتب على ذلك. وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زاد داود على أن قال لصاحب المرأة: أكفلنيها وتحول لي عنها ونحو ذلك روي عن ابن مسعود «٢» . وقد حكى أبو سليمان الدمشقي أنه بعث إلى أوريا فأقدمه من غزاته، فأدناه وأكرمه جدا، إلى أن قال له يوما: أنزل لي عن امرأتك وانظر أي امرأة شئت في بني إسرائيل أزوجكها، أو أي أمة شئت أبتاعها لك، فقال: لا أريد بامرأتي بديلا فلما لم يجبه إلى ما سأل، أمره أن يرجع إلى غزاته. والثاني: أنه تمنى تلك المرأة حلالا، وحدث نفسه بذلك، فاتفق غزو أوريا من غير أن يسعى في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك، فلما بلغة قتله، لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده، ثم تزوج امرأته، فعوتب على ذلك.

وذنوب الأنبياء عليهم السلام وإن صغرت، فهي عظيمة عند الله عز وجل. والثالث: أنه لما وقع بصره عليها، **أشبع النظر إليها** حتى علقت بقلبه «٣» . والرابع: أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة، فخطبها داود مع علمه بأن أوريا قد خطبها، فتزوجها، فاغتم أوريا، وعاتب الله تعالى داود إذ لم يتركها لخاطبها الأول «٤«

واختار القاضي أبو يعلى هذا القول، واستدل عليه بقوله تعالى: وعزني في الخطاب، قال:

فدل هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدم تزوج الآخر، فعوتب داود عليه السلام لشيئين ينبغي للأنبياء التنزه عنهما: أحدهما: خطبته على خطبة غيره. والثاني: إظهار الحرص على التزويج مع كثرة نسائه، ولم يعتقد ذلك معصية، فعاتبه الله تعالى عليها قال: فأما ما روي أنه نظر إلى المرأة

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٧٤/٢

فهويها وقدم زوجها للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها.

قال الزجاج: إنما قال: «الخصم» بلفظ الواحد، وقال: «تسوروا» بلفظ الجماعة، لأن قولك:

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ٥٤: وأما قولهم: إنه أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله، فهذا باطل قطعا، لأن داود لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه، وليس في القرآن أن ذلك كان، ولا أنه تـزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، فعن من يروى هذا ويسند؟ وعلى من في نقله يعتمد، وليس يؤثره عن الثقات الأثبات أحد؟

(٢) لا يصح عن ابن مسعود، وقد ذكره المصنف بصيغة التمريض وهو متلقى عن أهل الكتاب.

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٥٦: لا يجوز ذلك عندي بحال، لأن **طموح البصر لا** يليق بالأولياء المتجردين للعبادة، فكيف بالأنبياء الذين هم الوسائط المكاشفون بالغيب.

(٤) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٥٧: هذا باطل يرده القرآن والآثار التفسيرية كلها.." [١]

"إنا كل شيء خلقناه بقدر.

(١٣٨٠) وروى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» .

وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضع يدك على خدك. وقال الزجاج: معنى «بقدر» أي:

كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كل شيء» بفعل مضمر المعنى: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر.

قوله تعالى: وما أمرنا إلا واحدة قال الفراء: أي: إلا مرة واحدة، وكذلك قال مقاتل: مرة واحدة لا مثنوية لها. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: إن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال ابن السائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر. ومعنى اللمح **بالبصر: النظر بسرعة**. ولقد أهلكنا أشياعكم أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية فهل من مدكر أي متعظ وكل شيء فعلوه يعني الأمم. وفي الزبر قولان: أحدهما: أنه كتب الحفظة. والثاني: اللوح المحفوظ. وكل صغير وكبير أي: من الأعمال المتقدمة مستطر أي:

مكتوب، قال ابن قتيبة: هو «مفتعل من «سطرت» : إذا كتبت، وهو مثل «مسطور» . قوله تعالى: في

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٥٦٦

جنات ونهر قال الزجاج: المعنى: في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدل على الجميع، فيجتزأ به من الجميع. أنشد سيبويه والخليل:

بها جيف الحسرى، فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

يريد: وأما جلودها، ومثله:

في حلقكم عظم وقد شجينا

ومثله:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا

وحكى ابن قتيبة عن الفراء أنه وحد لأنه رأس آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال:

النهر: الضياء والسعة، من قولك: أنهرت الطعنة: إذا وسعتها، قال قيس بن الخطيم يصف طعنة:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

أي: أوسعت فتقها. قلت: وهذا قول الضحاك. وقرأ الأعمش «ونهر» .

قوله تعالى: في مقعد صدق أي: مجلس حسن وقد نبهنا على هذا المعنى في قوله: أن لهم قدم صدق «١» . فأما المليك، فقال الخطابي: المليك: هو المالك، وبناء فعيل للمبالغة في الوصف، ويكون المليك بمعنى الملك، ومنه هذه الآية. والمقتدر مشروح في الكهف «٢» .

صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٥ والبخاري في «خلق أفعال العباد» ٧٣ وأحمد ٢/ ١١٠ وابن حبان ٦١٤٩ من طرق عن مالك به من حديث ابن عمر. وأخرجه مالك ٢/ ٨٩٩ في «الموطأ» عن زياد بن سعد به. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٧٢ عن أبي مصعب عن مالك به.

---

(١) يونس: ٢.

(٢) الكهف: ٤٥.." (١)

"لا حاجة إلى إظهاره في الدين، والفائدة في ذكر ذلك أنهم يعلمون كون الرسول عالما بكل ما يخفونه، فيصير ذلك داعيا لهم إلى ترك الإخفاء لئلا يفتضحوا.

ثم قال تعالى: قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وفيه أقوال: الأول: أن المراد بالنور محمد وبالكتاب

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٢٠٤

القرآن، والثاني: أن المراد بالنور الإسلام، وبالكتاب القرآن. الثالث: النور/ والكتاب هو القرآن، وهذا ضعيف لأن العطف يوجب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه وتسمية محمد والإسلام والقرآن بالنور ظاهرة، لأن النور الظاهر هو الذي يتقوى **به البصر على** إدراك الأشياء الظاهرة، والنور الباطن أيضا هو الذي تتقوى به البصيرة على إدراك الحقائق والمعقولات.

[سورة المائدة (٥) : آية ١٦]

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (١٦)

ثم قال تعالى: يهدي به الله أي بالكتاب المبين من اتبع رضوانه من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذي يرتضيه الله تعالى، فأما من كان مطلوبه من دينه تقرير ما ألفه ونشأ عليه وأخذه من أسلافه مع **ترك النظر والاستدلال**، فمن كان كذلك فهو غير متبع رضوان الله تعالى.

ثم قال تعالى: سبل السلام أي طرق السلامة، ويجوز أن يكون على حذف المضاف، أي سبل دار السلام، ونظيره قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم [محمد: ٤، ٥] ومعلوم أنه ليس المراد هداية الإسلام، بل الهداية إلى طريق الجنة.

ثم قال: ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذلك أن الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام، ويهتدي بالإيمان إلى طرق الجنة كما يهتدي بالنور، وقوله بإذنه أي بتوفيقه، والباء تتعلق بالاتباع أي اتبع رضوانه بإذنه، ولا يجوز أن تتعلق بالهداية ولا بالإخراج لأنه لا معنى له، فدل ذلك على أنه لا يتبع رضوان الله إلا من أراد الله منه ذلك.

وقوله تعالى: ويهديهم إلى صراط مستقيم وهو الدين الحق، لأن الحق واحد لذاته، ومتفق من جميع جهاته، وأما الباطل ففيه كثرة، وكلها معوجة.

[سورة المائدة (٥) : آية ١٧]

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير (١٧)

وقوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم في الآية سؤال، وهو أن أحدا من النصارى لا

يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، فكيف حكى الله عنهم ذلك مع أنهم لا يقولون به.
وجوابه: أن كثيرا من الحلولية يقولون: إن الله تعالى قد يحل في بدن إنسان معين، أو في روحه، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال: إن قوما من النصارى ذهبوا إلى هذا القول، بل هذا أقرب مما يذهب إليه النصارى، وذلك لأنهم يقولون: أن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتا أو." (١)

"استمالة قلوبهم. قال مقاتل والكلبي: هذه الآية منسوخة بآية السيف وهذا بعيد، لأن شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ، ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وذلك لا يقتضي حرمة القتال، فآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٤٢ الى ٤٤]
ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون (٤٢) ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون (٤٣) إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون (٤٤)
في الآية مسائل:
المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى في الآية الأولى، قسم الكفار إلى قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به، وفي هذه الآية قسم من لا يؤمن به قسمين: منهم من يكون في غاية البغض له والعداوة له ونهاية النفرة عن قبول دينه، ومنهم من لا يكون كذلك، فوصف القسم الأول في هذه الآية فقال: ومنهم من يستمع كلامك مع أنه يكون كالأصم من حيث إنه لا ينتفع ألبتة بذلك الكلام فإن الإنسان إذا قوي بغضه لإنسان آخر، وعظمت نفرته عنه، صارت نفسه متوجهة إلى طلب مقابح كلامه معرضة عن جميع جهات محاسن كلامه، فالصمم في الأذن، معنى ينافي حصول إدراك الصوت فكذلك حصول هذا البغض الشديد كالمنافي للوقوف على محاسن ذلك الكلام والعمى في العين معنى ينافي حصول إدراك الصورة، فكذلك البغض ينافي وقوف الإنسان على محاسن من يعاديه والوقوف على ما آتاه الله تعالى من الفضائل، فبين تعالى أن في أولئك الكفار من بلغت حالته في البغض والعداوة إلى هذا الحد، ثم كما أنه لا يمكن جعل الأصم سميعا ولا جعل الأعمى بصيرا، / فكذلك لا يمكن جعل العدو البالغ في العداوة إلى هذا الحد صديقا تابعا للرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام بأن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢٧/١١

هذه الطائفة، قد بلغوا في مرض العقل إلى حيث لا يقبلون العلاج والطبيب إذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أعرض عنه، ولم يستوحش من عدم قبوله للعلاج، فكذلك وجب عليك أن لا تستوحش من حال هؤلاء الكفار.

المسألة الثانية: احتج ابن قتيبة بهذه الآية، على أن السمع أفضل **من البصر فقال**: إن الله تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن **بذهاب النظر إلا** ذهاب البصر، فوجب أن يكون السمع أفضل من البصر. وزيف ابن الأنباري هذا الدليل فقال: إن الذي نفاه الله مع السمع بمنزلة الذي نفاه الله **مع البصر** **لأنه** تعالى أراد إبصار القلوب، ولم يرد إبصار العيون والذي يبصره القلب هو الذي يعقله. واحتج ابن قتيبة على هذا المطلوب بحجة أخرى من القرآن، فقال: كلما ذكر الله السمع والبصر، فإنه في الأغلب يقدم السمع على البصر، وذلك يدل على أن السمع أفضل **من البصر ومن** الناس من ذكر في هذا الباب دلائل أخرى: فأحدها: أن العمى قد وقع في حق الأنبياء عليهم السلام أما الصمم فغير جائز عليهم لأنه يخل بأداء الرسالة، من حيث إنه إذا لم يسمع كلام السائلين تعذر عليه الجواب فيعجز عن تبليغ شرائع الله تعالى.

الحجة الثانية: أن القوة السامعة تدرك المسموع من جميع الجوانب، والقوة الباصرة لا تدرك المرئي إلا من جهة واحدة وهي المقابل.." (١)

"إلا **كلمح البصر أو** هو أقرب

والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة سميت ساعة لأنها تفجأ الإنسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة، وقوله: إلا **كلمح البصر اللمح النظر بسرعة** يقال لمحه ببصره لمحا ولمحانا، والمعنى: وما أمر قيام القيامة في السرعة إلا كطرف العين، والمراد منه تقرير كمال القدرة، وقوله:

أو هو أقرب معناه أن **لمح البصر عبارة** عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، ولا شك أن الحدقة مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ، **فلمح البصر عبارة** عن المرور على جملة تلك الأجزاء التي منها تألف سطح الحدقة، ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة، والزمان الذي يحصل فيه **لمح البصر مركب** من آنات متعاقبة، والله تعالى قادر على إقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات فلهذا قال: أو هو أقرب إلا أنه لما كان أسرع الأحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا هو **لمح البصر لا** جرم ذكره. ثم قال: أو هو أقرب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧/٢٥٧

تنبيها على ما ذكرناه، ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك، بل المراد: بل هو أقرب، وقال الزجاج: المراد به الإبهام عن المخاطبين أنه تعالى يأتي بالساعة إما بقدر **لمح البصر أو** بما هو أسرع. قال القاضي: هذا لا يصح، لأن إقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال إنه تعالى يأتي بها في زمان، بل الواجب أن يخلقها دفعة واحدة في وقت واحد، ويفارق ما ذكرناه في ابتداء خلق السموات والأرض لأن تلك الحال حال تكليف، فلم يمتنع أن يخلقهما كذلك لما فيه من مصلحة الملائكة.

واعلم أن هذا الاعتراض إنما يستقيم على مذهب القاضي، أما على قولنا في أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فليس له قوة والله أعلم، ثم إنه تعالى عاد إلى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فقال:

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ حمزة والكسائي أمهاتكم بكسر الهمزة، والباقون بضمه.

المسألة الثانية: أمهاتكم أصله أماتكم، إلا أنه زيد الهاء فيه كما زيد في أراق فقيل: أهراق وشذت زيادتها في الواحدة في قوله:

أمهتي خندف واليأس أبي

المسألة الثالثة: الإنسان خلق في مبدأ الفطرة خاليا عن معرفة الأشياء.

ثم قال تعالى: وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة والمعنى: أن النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله، فالله أعطاه هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم، وتمام الكلام في هذا الباب يستدعي مزيد تقرير فنقول: التصورات والتصديقات إما أن تكون كسبية، وإما أن تكون بديهية، والكسبيات إنما يمكن تحصيلها بواسطة تركيبات البديهيات، فلا بد من سبق هذه العلوم البديهية، وحينئذ لسائل أن يسأل فيقول: هذه العلوم البديهية إما أن يقال إنها كانت حاصلة منذ خلقنا أو ما كانت حاصلة. والأول باطل لأنا بالضرورة نعلم أنا حين كنا جنينا في رحم الأم ما كنا نعرف أن النفي والإثبات لا يجتمعان، وما كنا نعرف أن الكل أعظم من الجزء.

وأما القسم الثاني: فإنه يقتضي أن هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد أنها ما كانت حاصلة، فحينئذ لا يمكن حصولها إلا بكسب وطلب، وكل ما كان كسبيا فهو مسبوق بعلوم أخرى، فهذه العلوم البديهية." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢٥٠

"وقت السكون والراحة. فإذا صرف إلى العبادة كانت على الأنفس أشق وللبدن أتعب فكانت أدخل في استحقاق الأجر والفضل.

المسألة الخامسة: لقائل أن يقول: النهار له طرفان فكيف قال: وأطراف النهار بل الأولى أن يقول كما قال: وأقم الصلاة طرفي النهار [هود: ١١٤] ، وجوابه من الناس من قال أقل الجمع اثنان فسقط السؤال، ومنهم من قال: إنما جمع لأنه يتكرر في كل نهار ويعود، أما قوله تعالى: لعلك ترضى ففيه وجوه. أحدها:

أن هذا كما يقول الملك الكبير: يا فلان اشتغل بالخدمة فلعلك تنتفع به ويكون المراد إني أوصلك إلى درجة عالية في النعمة، وهو إشارة إلى قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى [الضحى: ٥] وقوله: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا [الإسراء: ٧٩] ، وثانيها: لعلك ترضى ما تنال من الثواب. وثالثها: لعلك ترضى ما تنال من الشفاعة. وقرأ الكسائي وعاصم: لعلك ترضى بضم التاء والمعنى لا يختلف لأن الله تعالى إذا أرضاه فقد رضيه وإذا رضيه فقد أرضاه.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣١ الى ١٣٥]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

اعلم أنه تعالى لما صبر رسوله عليه السلام على ما يقولون، وأمره بأن يعدل إلى التسبيح أتبع ذلك بنهيه عن مد عينيه إلى ما متع به القوم فقال تعالى: ولا تمدن عينيك وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: ولا تمدن عينيك وجهان: أحدهما: المراد منه نظر العين وهؤلاء قالوا:

مد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه إعجابا به كما فعل نظارة قارون حيث قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم [القصص: ٧٩] حتى واجههم أولوا العلم والإيمان بقولهم: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا [القصص: ٨٠] وفيه **أن النظر غير** الممدود معفو عنه وذلك كما إذا نظر الإنسان إلى شيء مرة ثم غض، ولما **كان النظر إلى** الزخارف كالمركوز في الطباع قيل: ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له. ولقد شدد المتقون في وجوب **غض البصر عن** أبنية الظلمة

وعدد الفسقة في اللباس والمركوب وغير ذلك لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمقوي لهم على اتخاذها. القول الثاني: قال أبو مسلم الذي نهي عنه بقوله: ولا تمدن عينيك ليس هو النظر، بل هو الأسف أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

المسألة الثانية:

قال أبو رافع: «نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني إلى يهودي لبيع أو سلف، فقال: والله لا أفعل ذلك إلا برهن فأخبرته بقوله فأمرني أن أذهب بدرعه إليه فنزل قوله تعالى: ولا تمدن عينيك»

وقال عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم»

وقال أبو." (١)

"الأسواق ورابعها: أنها الحمامات، والأولى أن يقال إنه لا يمتنع دخول الجميع تحت الآية فيحمل على الكل، والعلة في ذلك أنها إذا كانت كذلك فهي مأذون بدخولها من جهة العرف، فكذلك نقول إنها لو كانت غير مسكونة ولكنها كانت مغصوبة، فإنه لا يجوز للداخل أن يدخل فيها لكن الظاهر من حال الخانات أنها موضوعة لدخول الداخل.

وأما قوله: والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فهو وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة.

[سورة النور (٢٤) : الآيات ٣٠ الى ٣١]

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

الحكم السابع حكم النظر

اعلم أنه تعالى قال: قل للمؤمنين وإنما خصهم بذلك لأن غيرهم لا يلزمه **غض البصر عما** لا يحل له

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٤/٢٢

ويحفظ الفرج عما لا يحل له، لأن هذه الأحكام كالفروع للإسلام والمؤمنون مأمورون بها ابتداء، والكفار مأمورون قبلها بما تصير هذه الأحكام تابعة له، وإن كان حالهم كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها، لكن المؤمن يتمكن من هذه الطاعة من دون مقدمة، والكافر لا يتمكن إلا بتقديم مقدمة من قبله، وذلك لا يمنع من لزوم التكاليف له.

واعلم أنه سبحانه أمر الرجال **بغض البصر وحفظ** الفرج، وأمر النساء بمثل ما أمر به الرجال وزاد فيهن أن لا يبدين زينتهن إلا لأقوام مخصوصين.

أما قوله تعالى: يغضوا من أبصارهم ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قال الأكثرون (من) هاهنا للتبعيض والمراد **غض البصر عما** يحرم والاقتصار به على ما يحل، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة، ونظيره قوله: ما لكم من إله غيره [الأعراف: ٨٥] فما منكم من أحد عنه حاجزين [الحاقة: ٤٧] وأباه سيبويه، فإن قيل كيف دخلت في **غض البصر دون** حفظ الفرج؟ قلنا دلالة على أن **أمر النظر أوسع** ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وكذا الجواري المستعرضات، وأما أمر الفرج فمضيق، وكفاك فرقا أن **أبيح النظر إلا** ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما استثنى." (١)

"المسألة الأولى: العامل في إذ ما قبلها أو ما بعدها فيه وجهان، فإن قلنا ما قبلها ففيه احتمالان: أظهرهما رآه [النجم: ١٣] أي رآه وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى، والاحتمال الآخر العامل فيه الفعل الذي في النزلة، تقديره رآه نزلة أخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى، أي نزوله لم يكن إلا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيها ما غشى فحينئذ نزل محمد نزلة إشارة إلى أنه لم يرجع من غير فائدة، وإن قلنا ما بعده، فالعامل فيه ما **زاغ البصر [**النجم: ١٧] أي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها، وسنذكره عند تفسير الآية.

المسألة الثانية: قد ذكرت أن في بعض الوجوه سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى، وقوله يغشى السدرة على ذلك الوجه ينادي بالبطلان، فهل يمكن تصحيحه؟ نقول يمكن أن يقال المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة، أي ورد على حالة الحيرة حالة الرؤية واليقين، ورأى محمد صلى الله عليه وسلم عند ما حار العقل ما رآه وقت ما طرأ على تلك الحالة ما طرأ من فضل الله تعالى ورحمته، والأول هو الصحيح، فإن النقل الذي ذكرنا من أن السدرة نبقها كقلال هجر يدل على أنها شجرة.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٦٠/٢٣

المسألة الثالثة: ما الذي غشى السدرة؟ نقول فيه وجوه الأول: فراش أو جراد من ذهب وهو ضعيف، لأن ذلك لا يثبت إلا بدليل سمعي، فإن صح فيه خبر فلا يبعد من جواز التأويل، وإن لم يصح فلا وجه له الثاني:

الذي يغشى السدرة ملائكة يغشونها كأنهم طيور، وهو قريب، لأن المكان مكان لا يتعداه الملك، فهم يرتقون إليه متشرفين به متبركين زائرين، كما يزور الناس الكعبة فيجتمعون عليها الثالث: أنوار الله تعالى، وهو ظاهر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إليها تجلى ربه لها، كما تجلى للجبل، وظهرت الأنوار، لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت، فجعل الجبل دكا، ولم تتحرك الشجرة، وخر موسى صعقا، ولم يتزلزل محمد الرابع: هو مبهم للتعظيم، يقول القائل: رأيت ما رأيت عند الملك، يشير إلى الإظهار من وجه، وإلى الإخفاء من وجه.

المسألة الرابعة: يغشى يستر، ومنه الغواشي أو من معنى الإتيان، يقال فلا يغشاني كل وقت، أي يأتيني، والوجهان محتملان، وعلى قول من يقول: الله يأتي ويذهب، فالإتيان أقرب. / ثم قال تعالى:

[سورة النجم (٥٣) : آية ١٧]

ما زاغ البصر وما طغى (١٧)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اللام في البصر يحتمل وجهين أحدهما: المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم، أي ما زاغ بصر محمد، وعلى هذا فعدم الزيغ على وجوه، إن قلنا الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش، فمعناه لم يتلفت إليه ولم يشتغل به، ولم يقطع نظره عن المقصود، وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء، وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم. وإن قلنا أنوار الله، ففيه وجهان أحدهما: لم يلتفت يمنة ويسرة، واشتغل بمطالعتها وثانيهما:

ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام، فإنه قطع النظر وغشي عليه، وفي الأول: بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الثاني: بيان قوته الوجه الثاني: في اللام أنه لتعريف الجنس، أي ما زاغ بصر أصلا في ذلك الموضع لعظمة الهيبة، فإن قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر، لأنه أدل على العموم،

لأن النكرة في معرض النفي تعم، نقول هو كقوله لا تدركه الأبصار [الأنعام: ١٠٣] ولم يقل لا يدركه بصر.." (١)

"الأخضر ثم الأزرق ثم الأسود والأظهر أن الألوان الأصلية ثلاثة الأبيض والأسود وبينهما غاية الخلاف والأحمر متوسط بين الأبيض والأسود فإن الدم خلق على اللون المتوسط، فإن لم تكن الصحة على ما ينبغي فإن كان لفرط البرودة فيه كان أبيض وإن كان لفرط الحرارة فيه كان أسود لكن هذه الثلاثة يحصل منها الألوان الأخر فالأبيض إذا امتزج بالأحمر حصل الأصفر يدل عليه مزج اللبن الأبيض بالدم وغيره من الأشياء الحمر وإذا امتزج الأبيض بالأسود حصل اللون الأزرق يدل عليه خلط الجص المدقوق بالفحم وإذا امتزج الأحمر بالأسود حصل الأزرق أيضا لكنه إلى السواد أميل، وإذا امتزج الأصفر بالأزرق حصل الأخضر من الأصفر والأزرق وقد علم أن الأصفر من الأبيض والأحمر والأزرق من الأبيض والأسود والأحمر والأسود فالأخضر حصل فيه الألوان الثلاثة الأصلية فيكون ميل الإنسان إليه لكونه مشتملا على الألوان الأصلية وهذا بعيد جدا والأقرب أن الأبيض **يفرق البصر ولهذا** لا يقدر الإنسان على **إدامة النظر في** الأرض عند كونها مستورة بالثلج وإنه يورث الجهر والنظر إلى الأشياء السود **يجمع البصر ولهذا** كره **الإنسان النظر إليه** وإلى الأشياء الحمر كالدم والأخضر لما اجتمع فيه الأمور الثلاثة دفع بعضها أذى بعض وحصل اللون الممتزج من الأشياء التي في بدن الإنسان وهي الأحمر/ والأبيض والأصفر والأسود ولما كان ميل النفس في الدنيا إلى الأخضر ذكر الله تعالى في الآخرة ما هو على مقتضى طبعه في الدنيا.

المسألة الخامسة: العبقري منسوب إلى عبقر وهو عند العرب موضع من مواضع الجن فالثياب المعمولة عملا جيدا يسمونها عبقريات مبالغة في حسنها كأنها ليست من عمل الإنس، ويستعمل في غير الثياب أيضا حتى يقال للرجل الذي يعمل عملا عجيبا: هو عبقري أي من ذلك البلد

قال النبي صلى الله عليه وسلم في المنام الذي رآه: «فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه»

واكتفى بذكر اسم الجنس عن الجمع ووصفه بما توصف به الجموع فقال حسان: وذلك لما بينا أن جمع الرباعي يستثقل بعض الاستثقال، وأما من قرأ: عباقري فقد جعل اسم ذلك الموضع عباقر فإن زعم أنه جمعه فقد وهم، وإن جمع العبقري ثم نسب فقد التزم تكلفا خلاف ما كلف الأدباء التزامه فإنهم في الجمع إذا نسبوا ردوه إلى الواحد وهذا القارئ تكلف في الواحد ورده إلى الجمع ثم نسبه لأن عند العرب ليس في الوجود بلاد كلها عبقر حتى تجمع ويقال: عباقر، فهذا تكلف الجمع فيما لا جمع له ثم نسب إلى ذلك

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨/٢٤٥

الجمع والأدباء تكره الجمع فيما ينسب لئلا يجمعوا بين الجمع والنسبة. ثم قال تعالى:

[سورة الرحمن (٥٥) : آية ٧٨]

تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام (٧٨)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في الترتيب وفيه وجوه أحدها: أنه تعالى لما ختم نعم الدنيا بقوله تعالى: ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام [الرحمن: ٢٧] ختم نعم الآخرة بقوله: تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام إشارة إلى أن الباقي والدائم لذاته هو الله تعالى لا غير والدنيا فانية، والآخرة وإن كانت باقية لكن بقاؤها بإبقاء الله تعالى ثانيها: هو أنه تعالى في أواخر هذه السور كلها ذكر اسم الله فقال في السورة التي قبل هذه: عند مليك مقتدر [القمر: ٥٥] وكون العبد عند الله من أتم النعم كذلك هاهنا بعد ذكر الجنات وما فيها من النعم قال: تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام إشارة إلى أن أتم النعم عند الله تعالى، وأكمل اللذات ذكر الله تعالى، وقال في السورة التي بعد هذه: فروح وريحان وجنة نعيم [الواقعة: ٨٩] ثم قال تعالى في آخر." (١)

"ومجرد القردية غير مؤلم بدليل أن القرود حال سلامتها غير متألمة فمن أين يحصل العذاب بسببه؟ الجواب: لم لا يجوز أن يقال إن الأمر الذي به يكون الإنسان إنسانا عاقلا فاهما كان باقيا إلا أنه لما تغيرت الخلقة والصورة لا جرم أنها ما كانت تقدر على النطق والأفعال الإنسانية إلا أنها كانت تعرف ما نالها من تغير الخلقة بسبب شؤم المعصية وكانت في نهاية الخوف/ والخجالة، فربما كانت متألمة بسبب تغير تلك الأعضاء ولا يلزم من عدم تألم القرود الأصلية بتلك الصورة عدم تألم الإنسان بتلك الصورة الغريبة العرضية.

السؤال الثاني: أولئك القردة بقوا أو أفناهم الله، وإن قلنا إنهم بقوا فهذه القردة التي في زماننا هل يجوز أن يقال إنها من نسل أولئك الممسوخين أم لا؟ الجواب: الكل جائز عقلا إلا أن الرواية عن ابن عباس أنهم ما مكثوا إلا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

المسألة الرابعة: قال أهل اللغة: الخاسئ الصاغر المبعد المطرود كالكلب إذا دنا من الناس قيل له اخسأ، أي تباعد وانطرد صاغرا فليس هذا الموضع من مواضعك، قال الله تعالى: ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٢/٢٩

حسير يحتمل صاغرا ذليلا ممنوعا عن **معاودة النظر لأنه** تعالى قال: **فارجع البصر هل** ترى من فطور ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير [الملك: ٣، ٤] ، فكأنه قال: **ردد البصر في** السماء ترديد من يطلب فطورا فإنك وإن أكثرت من ذلك لم تجد فطورا فيرتد إليك طرفك ذليلا كما يرتد الخائب بعد طول سعيه في طلب شيء ولا يظفر به فإنه يرجع خائبا صاغرا مطرودا من حيث كان يقصده من أن يعاوده.

أما قوله: فجعلناها فقد اختلفوا في أن هذا الضمير إلى أي شيء يعود على وجوه. أحدها: قال الفراء: (جعلناها) يعني المسخة التي مسخوها، وثانيها: قال الأخفش: أي جعلنا القردة نكالا. وثالثها: جعلنا قرية أصحاب السبت نكالا. رابعها: جعلنا هذه الأمة نكالا لأن قوله تعالى: ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت يدل على الأمة والجماعة أو نحوها والأقرب هو الوجهان الأولان لأنه إذا أمكن رد الكناية إلى مذكور متقدم فلا وجه لردها إلى غيره، فليس في الآية المتقدمة إلا ذكرهم وذكر عقوبتهم، أما النكال فقال القفال رحمه الله: إنه العقوبة الغليظة الرادعة للناس عن الإقدام على مثل تلك المعصية وأصله من المنع والحبس ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع منها، ويقال للقيد النكل، وللجام الثقيل أيضا نكل لما فيهما من المنع والحبس، ونظيره قوله تعالى: إن لدينا أنكالا وجحيما [المزمل: ١٢] وقال الله تعالى: والله أشد بأسا وأشد تنكيلا [النساء: ٨٤] والمعنى: أنا جعلنا ما جرى على هؤلاء القوم عقوبة رادعة لغيرهم أي لم نقصد بذلك ما يقصده الآدميون من التشفي لأن ذلك إنما يكون ممن تضره المعاصي وتنقص من ملكه وتؤثر فيه، وأما نحن فإنما نعاقب لمصالح العباد فعقابنا زجر وموعظة، قال القاضي: اليسير من الذم لا يوصف بأنه نكال حتى إذ عظم وكثر واشتهر، يوصف به وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في السارق المصر القطع جزاء ونكالا وأراد به أن يفعل على وجه الإهانة والاستخفاف فهو بمنزلة الخزي الذي لا يكاد يستعمل إلا في الذم العظيم، فكأنه تعالى لما بين ما أنزله بهؤلاء القوم الذين اعتدوا في السبت واستحلوا من اصطياد الحيتان وغيره ما حرمه عليهم ابتغاء الدنيا ونقضوا ما كان منهم من المواثيق، فبين أنه تعالى أنزل بهم عقوبة لا على وجه المصلحة لأنه كان لا يمتنع أن يقلل مقدار مسخهم ويغير صورهم بمنزلة ما ينزل بالمكلف من الأمراض المغيرة." (١)

"هاهنا احتمالين أحدهما: أن يكون الحسير مفعولا من حسر العين بعد المرئي، قال رؤبة:

يحسر طرف عيناه فضا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٤٢/٣

الثاني: قول الفراء: أن يكون فاعلا من الحسور الذي هو الإعياء، والمعنى أنه وإن **كرر النظر وأعاده** فإنه لا يجد عيبا ولا فطورا، **بل البصر يرجع** خاسئا من الكلال والإعياء، وهاهنا سؤالان:

السؤال الأول: كيف **ينقلب البصر خاسئا** حسيرا برجعه كرتين اثنتين الجواب: التثنية للتكرار بكثرة كقولهم: لبيك وسعديك يريد إجابات متوالية.

السؤال الثاني: فما معنى ثم ارجع الجواب: أمره **برجع البصر ثم** أمره بأن لا يقنع بالرجعة الأولى، بل أن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعيده ويعاوده إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه لا يعثر على شيء من فطور.

[سورة الملك (٦٧) : آية ٥]

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (٥)

اعلم أن هذا هو الدليل الثاني على كونه تعالى قادرا عالما، وذلك لأن هذه الكواكب نظرا إلى أنها محدثة ومختصة بمقدار خاص، وموضع معين، وسير معين، تدل على أن صانعها قادر ونظرا إلى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لأهل الدنيا، وسببا لانتفاعهم بها، تدل على أن صانعها عالم، ونظير هذه الآية في سورة الصفات إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد [الصافات: ٧] وهاهنا مسائل.

المسألة الأولى: السماء الدنيا السماء القربى، وذلك لأنها أقرب السموات إلى الناس ومعناها السماء الدنيا من الناس، والمصابيح السرج سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح، فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بمصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة، أما قوله تعالى:

وجعلناها رجوما للشياطين فاعلم أن الرجوم جمع رجم، وهو مصدر سمي به ما يرجم به، وذكروا في معرض هذه الآية وجهين: الوجه الأول أن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع رجموا بها، فإن قيل: جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها واستمرارها وجعلها رجوما للشياطين ورميهم بها يقتضي زوالها والجمع بينهما متناقض، قلنا: ليس معنى رجم الشياطين هو أنهم يرمون بأجرام الكواكب، بل يجوز أن ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها، وتلك الشعل هي الشهب، وما ذاك إلا قبس يؤخذ من نار والنار/ باقية الوجه الثاني: في تفسير كون الكواكب رجوما للشياطين أنا جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الإنس وهم

الأحكاميون من المنجمين.

المسألة الثانية: اعلم أن ظاهر هذه الآية لا يدل على أن هذه الكواكب مركوزة في السماء الدنيا، وذلك لأن السموات إذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا أو كانت في سموات أخرى فوقها، فهي لا بد وأن تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها، فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح. واعلم أن أصحاب الهيئة اتفقوا على أن هذه الثوابت مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق." (١)

"أي يسأل سؤال مستنعت مستبعد لقيام الساعة، في قوله: أيان يوم القيامة، ونظيره يقولون متى هذا الوعد [يونس: ٤٨] واعلم أن إنكار البعث تارة يتولد من الشبهة وأخرى من الشهوة، أما من الشبهة فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه [القيامة: ٣] وتقريره أن الإنسان هو هذا البدن فإذا مات تفرقت أجزاء البدن واختلطت تلك الأجزاء بسائر أجزاء التراب وتفرقت في مشارق الأرض ومغاربها فكان تمييزها بعد ذلك عن غيرها محالا فكان البعث محالا، واعلم أن هذه الشبهة ساقطة من وجهين الأول: لا نسلم أن الإنسان هو هذا البدن فلم لا يجوز أن يقال: إنه شيء مدبر لهذا البدن فإذا فسد هذا البدن بقي هو حيا كما كان وحينئذ يكون الله تعالى قادرا على أن يرده إلى أي بدن شاء وأراد، وعلى هذا القول يسقط السؤال، وفي الآية إشارة إلى هذا لأنه أقسم بالنفس اللوامة، ثم قال: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن الثاني: إن سلمنا أن الإنسان هو هذا البدن فلم قلتم: إنه بعد تفريق أجزائه لا يمكن جمعه مرة أخرى وذلك لأنه تعالى عالم بجميع الجزئيات فيكون عالما بالجزء الذي هو بدن عمرو، وهو تعالى قادر على كل الممكنات وذلك التركيب من/ الممكنات وإلا لما وجد أولا، فيلزم أن يكون قادرا على تركيبها.

ومتى ثبت كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات قادرا على جميع الممكنات لا يبقى في المسألة إشكال.

وأما القسم الثاني: وهو إنكار من أنكر المعاد بناء على الشهوة فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله: بل يريد الإنسان ليفجر أمامه [القيامة: ٥] ومعناه أن الإنسان الذي يميل طبعه إلى الاسترسال في الشهوات والاستكثار من اللذات لا يكاد يقر بالحشر والنشر وبعث الأموات لئلا تتنغص عليه اللذات الجسمانية فيكون أبدا منكرا لذلك قائلا على سبيل الهزء والسخرية أيان يوم القيامة.

ثم إنه تعالى ذكر علامات القيامة فقال:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٨٣/٣٠

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٧ الى ١٠]

فإذا **برق البصر** (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠)

[قوله تعالى فإذا **برق البصر وخسف** القمر وجمع الشمس والقمر] وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى ذكر من علامات القيامة في هذا الموضع أمورا ثلاثة أولها: قوله: فإذا **برق البصر قرئ** بكسر الراء وفتحها، قال الأخفش: المكسورة في كلامهم أكثر والمفتوحة لغة أيضا، قال الزجاج: برق بصره بكسر الراء يبرق برقا إذا تحير، والأصل فيه أن يكثر الإنسان **من النظر إلى** لمعان البرق، فيؤثر ذلك في ناظره، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق، كما قالوا: قمر بصره إذا فسد **من النظر إلى** القمر، ثم استعير في الحيرة، وكذلك بعل الرجل في أمره، أي تحير ودهش، وأصله من قولهم: بعلت المرأة إذا فاجأها زوجها، فنظرت إليه وتحيرت، وأما برق بفتح الراء، فهو من البريق، أي لمع من شدة شخوصه، وقرأ أبو السمال بلق بمعنى انفتح، وانفتح يقال: بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته.." (١)

"[سورة القيامة (٧٥) : آية ٢٢]

وجوه يومئذ ناضرة (٢٢)

قال الليث: نضر اللون والشجر والورق ينضر نضرة، والنضرة النعمة، والناضر الناعم، والنضر الحسن من كل شيء، ومنه يقال للون إذا كان مشرقا: ناضر، فيقال: أخضر ناضر، وكذلك في جميع الألوان، ومعناه الذي يكون له برق، وكذلك يقال: شجر ناضر، وروض ناضر. ومنه

قوله عليه السلام: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها» الحديث.

أكثر الرواة رواه بالتخفيف، وروى عكرمة عن الأصمعي فيه التشديد، وألفاظ المفسرين مختلفة في تفسير الناضر، ومعناها واحد قالوا: مسرورة، ناعمة، مضيئة، مسفرة، مشرقة بهجة.

وقال الزجاج: نضرت بنعيم الجنة، كما قال: تعرف في وجوههم نضرة النعيم [المطففين: ٢٤] .

[سورة القيامة (٧٥) : آية ٢٣]

إلى ربها ناظرة (٢٣)

اعلم أن جمهور أهل السنة يتمسكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة. أما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠/٧٢٣

المعتزلة فلهم هاهنا مقامان أحدهما: بيان أن ظاهره لا يدل على رؤية الله تعالى والثاني: بيان التأويل.

أما المقام الأول: **فقالوا: النظر المقرون** بحرف إلى ليس اسما للرؤية، بل لمقدمة الرؤية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماس لرؤيته، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة، وكالإصغاء بالنسبة إلى السماع، فكما أن نظر القلب مقدمة للمعرفة، والإصغاء مقدمة للسماع، فكذا نظر العين مقدمة للرؤية، قالوا: والذي يدل على **أن النظر ليس** اسما للرؤية وجوه الأول: قوله تعالى: وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون [الأعراف: ١٩٨] **أثبت النظر حال** عدم الرؤية، فدل على **أن النظر غير** الرؤية والثاني: **أن النظر يوصف** بما لا توصف به الرؤية، يقال: نظر إليه نظرا شزرا، ونظر غضبان، ونظر راض، وكل ذلك لأجل أن حركة الحدقة تدل على هذه الأحوال، ولا توصف الرؤية بشيء من ذلك، فلا يقال: رآه شزرا، ورآه رؤية غضبان، أو رؤية راض الثالث: يقال: انظر إليه حتى تراه، ونظرت إليه فرأيته، وهذا يفيد كون الرؤية/ غاية للنظر، وذلك يوجب الفرق **بين النظر والرؤية** الرابع: يقال: دور فلان متناظرة، أي متقابلة، **فمسمى النظر حاصل** هاهنا، ومسمى الرؤية غير حاصل الخامس: قوله الشاعر:

وجوه ناظرات يوم بدر ... إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

أثبت النظر المقرون بحرف إلى مع أن الرؤية ما كانت حاصلة السادس: احتج أبو علي الفارسي على **أن النظر ليس** عبارة عن الرؤية، التي هي إدراك البصر، بل هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو الجهة التي فيها الشيء الذي يراد رؤيته، لقول الشاعر:

فيا مي هل يجزي بكائي بمثله ... مرارا وأنفاسي إليك الزوافر

وإني متى أشرف على الجانب الذي ... به أنت من بين الجوانب ناظرا

قال: فلو **كان النظر عبارة** عن الرؤية لما طلب الجزاء عليه، لأن المحب لم يطلب الثواب على رؤية المحبوب، فإن ذلك من أعظم مطالبه، قال: ويدل على ذلك أيضا قول الآخر:

ونظرة ذي شجن وامق ... إذا ما الركائب جاوزن ميلا." (١)

"أعطيتك هذه الأشياء، وما ضيعتك أترى أنك إذا اكتسبت شيئا وجعلته وديعة عندي فأنا أضيعها، كلا إن هذا مما لا يكون.

المسألة الخامسة: قوله: جزاؤهم عند ربهم جنات فيه قولان:

أحدهما: أنه قابل الجمع بالجمع «١» ، وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد، كما لو قال لامرأتيه أو عبديه:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٣٠/٣٠

إن دخلتما هاتين الدارين فأنتما كذا فيحمل هذا على أن يدخل كل واحد منهما دارا على حدة، وعن أبي يوسف لم يحنث حتى يدخلا الدارين، وعلى هذا إن ملكتما هذين العبدين، ودليل القول الأول: جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم [نوح: ٧] فعلى القول الأول بين أن الجزاء لكل مكلف جنة واحدة، لكن أدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا، ويدل عليه قوله تعالى: وملكا كبيرا [الإنسان: ٢٠] ويحتمل أن يراد لكل مكلف جنات، كما روي عن أبي يوسف وعليه يدل القرآن، لأنه قال:

ولمن خاف مقام ربه جنتان [الرحمن: ٢٦] ثم قال: ومن دونهما جنتان [الرحمن: ٦٢] فذكر أربعا للواحد، والسبب فيه أنه بكى من خوف الله، وذلك البكاء إنما نزل من أربعة أجفان اثنان دون الاثنين، فاستحق جنتين دون الجنتين، فحصلت له أربع جنات، لسكبه البكاء من أربعة أجفان، ثم إنه تعالى قدم الخوف في قوله: ولمن خاف مقام ربه جنتان وأخر الخوف في هذه الآية لأنه ختم السورة بقوله: ذلك لمن خشي ربه وفيه إشارة إلى أنه لا بد من/ دوام الخوف، أما قبل العمل فالحاصل خوف الاختلال، وأما بعد العمل فالحاصل خوف الخلاف، إذ هذه العبادة لا تليق بتلك الحضرة.

المسألة السادسة: قوله: عدن يفيد الإقامة: لا يخرجون منها [الجاثية: ٤٥] وما هم منها بمخرجين [الحجر: ٤٨] لا يبغون عنها حولا [الكهف: ١٠٨] يقال: عدن بالمكان أقام،

وروي أن جنات عدن وسط الجنة،

وقيل: عدن من المعدن أي هي معدن النعيم والأمن والسلامة، قال بعضهم: إنها سميت جنة إما من الجن أو الجنون أو الجنة أو الجنين، فإن كانت من الجن فهم المخصوصون بسرعة الحركة يطوفون العالم في ساعة واحدة فكأنه تعالى قال: إنها في إيصال المكلف إلى مشتهياته في غاية الإسراع مثل حركة الجن، مع أنها دار إقامة وعدن، وإما من الجنون فهو أن الجنة، بحيث لو رآها العاقل يصير كالمجنون، لولا أن الله بفضله يثبته، وإما من الجنة فلأنها جنة واقية تقيك من النار، أو من الجنين، فلأن المكلف يكون في الجنة في غاية التنعم، ويكون كالجنين لا يمسه برد ولا حر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا [الإنسان: ١٣] .

المسألة السابعة: قوله: تجري إشارة إلى أن الماء الجاري ألطف من الراكد، ومن **ذلك النظر إلى** الماء الجاري، يزيد نورا **في البصر بل** كأنه تعالى قال: طاعتك كانت جارية ما دمت حيا على ما قال: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [الحجر: ٩٩] فوجب أن تكون أنهار إكرامي جارية إلى الأبد، ثم قال: من تحتها

إشارة إلى عدم التنغيص، وذلك لأن التنغيص في البستان، إما بسبب عدم الماء الجاري فذكر الجري الدائم، وإما بسبب الغرق والكثرة، فذكر من تحتها، ثم الألف واللام في الأنهار للتعريف فتكون منصرفة إلى الأنهار المذكورة في القرآن، وهي نهر الماء واللبن والعسل والخمر، واعلم أن النهار والأنهار من السعة والضياء، فلا تسمى الساقية نهرا، بل العظيم هو الذي يسمى نهرا بدليل قوله: وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار

---

(١) الصواب أن يقال: قابل المفرد بالجمع فالمفرد هنا لفظ جزاء والجمع لفظ جنات.." (١)

"المسألة الثالثة في قوله: علم اليقين وجهان أن معناه علما يقينا فأضيف الموصوف إلى الصفحة، كقوله تعالى: ولدار الآخرة [يوسف: ١٠٩] وكما يقال: مسجد الجامع وعام الأول والثاني: أن اليقين هاهنا هو الموت والبعث والقيامة، وقد سمي الموت يقينا في قوله: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [الحجر: ٩٩] ولأنهما إذا وقعا جاء اليقين، وزال الشك فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الإنسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التكاثر والتفاخر عن ذكر الله، وقد يقول الإنسان: أنا أعلم علم كذا أي أتحققه، وفلان يعلم علم الطب وعلم الحساب، لأن العلوم أنواع فيصلح لذلك أن يقال: علمت علم كذا.

المسألة الرابعة: العلم من أشد البواعث على العمل، فإذا كان وقت العمل أمامه كان وعدا وعظة، وإن كان بعد وفاة وقت العمل فحينئذ يكون حسرة وندامة، كما ذكر أن ذا القرنين لما دخل الظلمات [وجد خرزا] ، فالذين كانوا معه أخذوا من تلك الخرز فلما خرجوا من الظلمات وجدوها جواهر، ثم الآخذون كانوا في الغم أي لما لم يأخذوا أكثر مما أخذوا، والذين لم يأخذوا كانوا أيضا في الغم، فهكذا يكون أحوال أهل القيامة.

المسألة الخامسة: في الآية تهديد عظيم للعلماء فإنها دلت على أنه لو حصل اليقين بما في التكاثر والتفاخر من الآفة لتركوا التكاثر والتفاخر، وهذا يقتضي أن من لم يترك التكاثر والتفاخر لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا ثم الويل له.

المسألة السادسة: في تكرار الرؤية وجوه أحدها: أنه لتأكيد الوعيد أيضا لعل القوم/ كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك ونون التأكيد تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية، يعني لو خليتم ورأيكم ما رأيتموها لكنكم تحملون على رؤيتها شئتم أم أبيتم وثانيها: أن أولهما الرؤية من البعيد: إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥١/٣٢

تغيظا [الفرقان: ١٢] وقوله: وبرزت الجحيم لمن يرى [النازعات: ٣٦] والرؤية الثانية إذا صاروا إلى شفير النار وثالثها: أن الرؤية الأولى عند الورود والثانية عند الدخول فيها، قيل: هذا التفسير ليس بحسن لأنه قال: ثم لتسئلن والسؤال يكون قبل الدخول ورابعها: الرؤية الأولى للوعد والثانية المشاهدة وخامسها: أن يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها لأنهم مخلدون في الجحيم فكأنه قيل لهم: على جهة الوعيد، لئن كنتم اليوم شاكين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة فتزول عنكم الشكوك وهو كقوله: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت- إلى قوله- ثم **ارجع البصر كرتين** [الملك: ٣، ٤] بمعنى لو **أعدت النظر فيها** ما شئت لم تجد فطورا ولم يرد مرتين فقط، فكذا هاهنا، إن قيل: ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين؟ قلنا: لأنهم في المرة الأولى رأوا لهبا لا غير، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية، ولا شك أن هذه الرؤية أجلى، والحكمة في النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التفريع على **ترك النظر لأنهم** كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة.

المسألة السابعة: قراءة العامة (لترون) بفتح التاء، وقرئ بضمها من رأيته الشيء، والمعنى أنهم يحشرون إليها فيرونها، وهذه القراءة تروى عن ابن عامر والكسائي كأنهما أرادا لترونها فترونها، ولذلك قرأ الثانية: ثم لترونها بالفتح، وفي هذه الثانية دليل على أنهم إذا أروها وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتأكيد ولسائر الفوائد التي عددناها، واعلم أن قراءة العامة أولى لوجهين الأول: قال الفراء: قراءة العامة أشبه بكلام العرب." (١)

"أن يستقصي **في النظر إلى** شيئين، بل إذا حدق بصره نحو شيء تعذر عليه في تلك الحالة **تحديق البصر نحو** شيء آخر، فكذلك هاهنا إذا حدق الإنسان حدقة عقله نحو ملاحظة معقول امتنع عليه في تلك الحالة الحالة تحديق حدقة العقل نحو معقول آخر، فعلى هذا كلما كان اشتغال العقل بالالتفات إلى المعقولات المختلفة أكثر، كان حرمانه عن الاستقصاء في تلك التعقلات والإدراكات أكثر، فعلى هذا: السالك إلى الله لا بد له في أول الأمر من تكثير الدلائل، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله صار اشتغاله بتلك الدلائل كالحجاب له عن استغراق القلب في معرفة الله، فالسالك في أول أمره كان طالبا لتكثير الدلائل، فعند وقوع هذا النور في القلب يصير طالبا لتقليل الدلائل، حتى إذا زالت/ الظلمة المتولدة من اشتغال القلب بغير الله كمل فيه تجلي أنوار معرفة الله، وإليه الإشارة بقوله: فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى [طه: ٢١] والنعلان هما المقدمتان اللتان بهما يتوصل العقل إلى المعرفة فلما وصل إلى

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٣/٣٢

المعرفة أمر بخلعهما، وقيل له: إنك تريد أن تضع قدميك في وادي قدس الوحدانية فاترك الاشتغال بالدلائل.
إذا عرفت هذه القاعدة، فذكر في سورة البقرة ثمانية أنواع من الدلائل، ثم أعاد في هذه السورة ثلاثة أنواع منها، تنبيها على أن العارف بعد صيرورته عارفا لا بد له من تقليل الالتفات إلى الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول، فكان الغرض من إعادة ثلاثة أنواع من الدلائل وحذف البقية، التنبيه على ما ذكرناه، ثم إنه تعالى استقصى في هذه الآية الدلائل السماوية وحذف الدلائل الخمسة الباقية، التي هي الدلائل الأرضية، وذلك لأن الدلائل السماوية أقهر وأبهر، والعجائب فيها أكثر، وانتقال القلب منها إلى عظمة الله وكبريائه أشد، ثم ختم تلك الآية بقوله: لقوم يعقلون وختم هذه الآية بقوله: لأولي الألباب لأن العقل له ظاهر وله لب، ففي أول الأمر يكون عقلا، وفي كمال الحال يكون لبا، وهذا أيضا يقوي ما ذكرناه، فهذا ما خطر بالبال والله أعلم بأسرار كلامه العظيم الكريم الحكيم.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٩١ الى ١٩٢]
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (١٩١) ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار (١٩٢)
[في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم] اعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل الإلهية والقدرة والحكمة وهو ما يتصل بتقرير الربوبية ذكر بعدها ما يتصل بالعبودية، وأصناف العبودية ثلاثة أقسام: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، فقوله تعالى: يذكرون الله إشارة إلى عبودية اللسان، وقوله: قياما وقعودا وعلى جنوبهم إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء، وقوله: ويتفكرون في خلق السماوات/ والأرض إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح، والإنسان ليس إلا هذا المجموع، فإذا كان اللسان مستغرقا في الذكر، والأركان في الشكر، والجنان في الفكر، كان هذا العبد مستغرقا بجميع أجزائه في العبودية، فالآية الأولى دالة على كمال الربوبية، وهذه الآية دالة على كمال العبودية، فما أحسن هذا الترتيب في جذب الأرواح من الخلق إلى الحق، وفي نقل الأسرار من جانب عالم الغرور إلى جناب الملك الغفور، ونقول في الآية مسائل:
المسألة الأولى: للمفسرين في هذه الآية قولان: الأول: أن يكون المراد منه كون الإنسان دائم الذكر لربه،

فإن الأحوال ليست إلا هذه الثلاثة، ثم لما وصفهم بكونهم ذاكرين فيها كان ذلك دليلا على كونهم مواظبين على الذكر غير فاترين عنه ألبتة.." (١)

"منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة. إن هم إلا كالأنعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات. بل هم أضل سبيلا من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار، ولأنها إن لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا، بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق، ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا (٤٦)

ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنعه. كيف مد الظل كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك، فغير النظم إشعارا بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه، أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال، فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس: يسخن الجو ويبهر البصر، ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود. ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الأجرام، أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها.

ثم قبضناه إلينا أي أزلناه بإيقاع الشمس موقعه لما عبر عن أحداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى الكف. قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩/٤٥٩

مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق، وثم في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها، وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير، ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة، ثم خلق الشمس عليه دليلا، أي مسلطا عليه مستتبعا إياه كما يستتبع الدليل المدلول، أو دليل الطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا إلى أن تنتهي غاية نقصانه، أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٧]

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا (٤٧)

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره. والنوم سباتا راحة للأبدان بقطع المشاغل، وأصل السبت القطع أو موتا كقوله: وهو الذي يتوفاكم بالليل لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت. وجعل النهار نشورا ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور. وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٨ الى ٤٩]

وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا (٤٨) لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (٤٩)." (١)

"ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١)

﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي نظر عينيك **ومد النظر تطويله** وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وفيه **أن النظر غير** الممدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب **غض البصر عنابنية** الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دقدقة هما ليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل العصية من تلك الرقاب وهذا لا يهما إنما اتخذوا هذه

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٢٦/٤

الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لعرهم ومغر لهم على اتخاذها ﴿إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أصنافا من الكفرة ويجوزان ينصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها وانتصب على الذم وعلى ابداله محل به أو على إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود." (١)

"قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠)

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ من للتبعيض والمراد

النور (٣١ - ٣٠)

﴿ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾

غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لارخصة فيه بوجه ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها في رواية وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين ﴿ذلك﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿أزكى لهم﴾ أي أطهر من دنس الاثم ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خبير." (٢)

"ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير (٤)

﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ كرر النظر مرتين أي كرتين مع الأولى وقيل سوى الأولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي كرر نظرك ودققه هل ترى خللا أو." (٣)

"جميعها دليل على وحدانية خالقها وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم أن الأول مخففة من الثقيلة، وهي عطف على الملكوت، وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى، وأجلهم يعني: موتهم، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب، ينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل فبأي حديث بعده الضمير للقرآن يسئلونك عن الساعة السائلون اليهود أو قريش، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله: وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب أيان مرساها معنى أيان: متى، ومرساها: وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت قل إنما علمها عند ربي أي استأثر الله بعلم وقوعها ولم

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٣٩٠

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٤٩٩

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٥١١

يطلع عليه أحد لا يجليها لوقتها إلا هو معنى يجليها يظهرها، فهو من الجلاء ضد الخفاء، واللام في لوقتها ظرفية: أي عند وقتها، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله ثقلت في السماوات والأرض في معناه ثلاثة أقوال: الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها، والثاني ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض، والثالث معنى ثقلت: أي ثقل علمها أي خفي يسئلونك كأنك حفي عنها الحفي بالشيء هو المهتم به المعتني به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفي بعلمها وقيل: المعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقرابتك منهم، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسألونك، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير

براءة من علم الغيب، واستدلال على عدم علمه وما مسني السوء عطف على لاستكثرت من الخير أي لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصيبني ما قدر لي من الخير والشر، وقيل: إن قوله وما مسني السوء: استئناف إخبار، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أي أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخص بهم البشارة والنذارة، لأنهم هم الذين ينتفعون بها، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها، ويكون المتعلق بنذير محذوف أي نذير للكافرين، والأول أحسن

من نفس واحدة يعني آدم زوجها يعني حواء ليسكن إليها يميل إليها ويستأنس بها تغشاها كناية عن الجماع حملت حملا خفيفا أي خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب، وقيل: الحمل الخفيف المني في فرجها فمرت به قيل: معناه استمرت به إلى حين ميلاده، وقيل معناه قامت وقعدت فلما." (١)

"أن يراها عريانة «١» ، ومعنى تستأنسوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك: آنست للشيء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب، واختلف أيهما يقدم، فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول: السلام عليكم، ثم يقول أأدخل، وقيل يقدم الاستئذان لتقديمه في الآية، وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات، وهو تفسير للآية

ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣١٥/١

تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية، فقيل:

هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليه ا كل ابن سبيل، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل: هي الخرب التي تدخل للبول والغائط، والمتاع على هذا حاجة الإنسان، وقيل: هي حوانيت القيسارية، والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع.

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة في [إبراهيم: ٣١] وقد ذكر ومن أبصارهم للتبعيض، والمراد **غض البصر عما** يحرم، والاقتصار به على ما يحل، وقيل: معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة، وقيل: هي لابتداء الغاية، **لأن البصر مفتاح** القلب والغض المأمور به هو **عن النظر إلى** العورة، أو إلى ما لا يحل من النساء، أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر، وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا، وقيل: أراد ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد

وقل ر لمؤمنات يغضضن من أبصارهن تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بد **من النظر إليه** عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقيل: إلا ما

---

(١) . رواه مالك في الموطأ أول كتاب الاستئذان ص ٩٦٣ وأوله: يا رسول الله أستأذن على أمي؟ فقال: نعم. قال الرجل: إني معها في البيت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها. فقال الرجل: إني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا. قال: فاستأذن عليها.." (١)

"**فارجع البصر هل** ترى من فطور الفطور الشقوق جمع فطر، وهو الشق. وإرجاع البصر:

ترديده في النظر، ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتئمة مستوية

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٦٦

ثم **ارجع البصر كرتين** أي انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق، وقال الزمخشري: معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة. كقولهم: لبيك فإن معناه إجابات كثيرة ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب، فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خلالا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليل من **شدة النظر وكثرة** التأمل.

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح السماء الدنيا: هي القريبة منا، والمصابيح يراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، لأنها ظاهرة فيها لنا، ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها. على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة وجعلناها رجوما للشياطين أي جعلنا منها رجوما، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين، فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به، قال الزمخشري: معنى كون النجوم رجوما للشياطين: والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب «١» ، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر وأعتدنا لهم عذاب السعير يعني للشياطين سمعوا لها شهيقا الشهيق أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها، والأول أظهر وهي تفور أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها

تكاد تميز من الغيظ أي تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا، وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها، أو يكون عبارة عن شدتها كلما ألقي فيها فوج أي كلما ألقي في جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير؟ أي رسول، وهذا السؤال على وجه

---

(١) . الشهب هي قطع صغيرة من حجارة أو معدن تلمع عند ما تصدم بالغلاف الجوي وتتناثر في الهواء

والنيازك قطع كبيرة تصل إلى الأرض فتحدث فيها الحرائق أو الحفر العميقة. وهذا لا يعارض معنى الآية.." (١)

"وأما دلائل السنة فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: «أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم ترونه» كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس عنده في أوله أن أناسا سألوا ولا في آخره ليس دونها سحاب. عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة؟ قال: نعم قلت وما آية ذلك من خلقه؟ قال: يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال: «فالله أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله جل وأعظم» أخرجه أبو داود وأما الدلائل العقلية، فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وتقريره، أنه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الأبصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لأن المعدوم لا يصح التمدح به فثبت أن قوله لا تدركه الأبصار يفيد المدح، وهذا يدل على أنه تعالى جائز الرؤية وتحقيق هذا أن الشيء إذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم، أما إذا كان في نفسه جائز الرؤية. ثم إنه قدر على حجب الأبصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت أن هذه الآية دالة على أنه تعالى جائز الرؤية وإذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، لأن موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله: أرني أنظر إليك وذلك يدل على جواز الرؤية، إذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فإن استقر مكانه فسوف تراني. استقرار الجبل جائز. والمعلق على الجائز جائز. وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية، فاعلم أن الإدراك غير الرؤية، لأن الإدراك هو الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، والرؤية: المعاينة للشيء من غير إحاطة. وقد تكون الرؤية بغير إدراك كما قال تعالى في قصة موسى: قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا إدراكهم إياه فنفى موسى الإدراك مع إثبات

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٩٥/٢

الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز أن يرى في الآخرة من غير إدراك ولا إحاطة لأن الإدراك هو الإحاطة بالمرئي وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لأنه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا أنه تعالى

يرى ولا يدرك وقال قوم: إن الآية مخصوصة بالدنيا. قال ابن عباس في معنى الآية: لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الإدراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فقوله: يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة على هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال **السدي: البصر بصران**: بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه الأبصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما هذا وجه حسن أيضا والله أعلم.

وقوله تعالى: وهو يدرك الأبصار يعني أنه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه أبصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس: بأوليائه الخبير بهم. وقال الزهري: معنى اللطيف الرفيق بعباده. وقيل هو الموصل الشيء إليك برفق ولين. وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف **دقة النظر في** الأشياء. وقال أبو سليمان الخطابي: اللطيف هو اللين بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل إليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. وقال الأزهري: اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده. وقيل: هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم. وقيل: هو اللطيف بعباده حيث يثني." (١)

"وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان. وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لأن الاستئذان إنما جعل لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم يعني عما لا **يحل النظر إليه** قيل معناه يغضوا أبصارهم. وقيل من هنا للتبعيض لأنه لا يجب الغض عما يحل **إليه النظر وإنما** أمروا أن يغضوا عما لا **يحل النظر إليه** (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال: «اصرف بصرك» عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية» أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٤٣/٢

المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي

الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد» وقوله تعالى ويحفظوا فروجهم يعني عما لا يحل. قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه. فإن قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج. قلت فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفيها للحاجة إلى ذلك وأما أمر الفروج فمضيق وكفاك أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه. فإن قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج. قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه ذلك أزكى لهم يعني غض البصر وحفظ الفرج إن الله خبير بما يصنعون يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل:

[سورة النور (٢٤): آية ٣١]

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن يعني عما لا يحل لهن. روي عن أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتجبا منه فقلنا: يا رسول الله أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه» أخرجه الترمذي وأبو داود. قوله تعالى ولا يبدين يعني لا يظهرن زينتهن يعني لغير المحرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن إلا ما ظهر منها يعني من الزينة

قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان. وقال ابن مسعود هي الثياب. وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل **الأجنبي النظر إليه** للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات إذا لم يخف فتنة وشهوة فإن خاف شيئا من ذلك **غض البصر** **وإنما** رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن يعني ليلقين بمقانعهن على جيوبهن يعني موضع الجيب." (١)

"[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٨ الى ١٠]

وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار (٨) أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب (٩) قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠)

وإذا مس الإنسان ضر أي بلاء وشدة دعا ربه منيبا أي راجعا إليه مستغيثا به ثم إذا خوله أي أعطاه نعمة منه نسي أي ترك ما كان يدعوا إليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه وجعل لله أندادا يعني الأصنام ليضل عن سبيله أي ليرد عن دين الله تعالى قل أي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا أي في الدنيا إلى انقضاء أجلك إنك من أصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر أمن هو قانت قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت، وقيل مجازه الذي جعل لله أندادا أخير أم من هو قانت. وقيل معنى الآية تمتع بكفرك إنك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة. قال ابن عباس: نزلت في أبي بكر وعمر. وعن ابن عمر: أنها نزلت في عثمان. وقيل: إنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل: الآية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة، وقال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام، وقيل: القانت القائم بما يجب عليه آناء الليل أي ساعات الليل أوله ووسطه وآخره ساجدا وقائما أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولأن ظلمة الليل تجمع الهم **وتمنع البصر عن النظر إلى** الأشياء، وإذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلى له، وقيل لأن الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٢٩٢

على النفس فيكون الثواب فيه أكثر يحذر أي يخاف الآخرة ويرجوا رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهي أنه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر إليه تعالى، وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب إلى الله تعالى ويعضد. هذا ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف نجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون أي ما عند الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك، وقيل: الذين يعلمون عمار وأصحابه. والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي، وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لأن العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فإذا حصل للإنسان دل ذلك على كماله وفضله إنما يتذكر أولوا الألباب قوله تعالى: قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم أي بطاعته واجتناب معاصيه للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني للذين آمنوا وحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا وأرض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب: وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين فإنه يحثي لهم حثيا. وروي أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل.." (١)

"[سورة الملك (٦٧): الآيات ٣ الى ٨]

الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت **فارجع البصر هل** ترى من فطور (٣) ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير (٤) ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (٥) وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير (٦) إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور (٧)

تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير (٨)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٥٢

قوله تعالى: الذي خلق سبع سماوات طباقا يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقبية على الأخرى وسماء الدنيا كالقبة على الأرض قال كعب الأحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء إلى الحجب السبعة صحار من نور، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي ما ترى يا ابن آدم في شيء مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية **فارجع البصر أي كرر النظر هل** ترى من فطور أي من شقوق وصدوع ثم **ارجع البصر كرتين** قال ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب أي ينصرف إليك **فيرجع البصر خاسئا** أي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوي وهو حسير أي كليل منقطع لم يدرك ما طلب ولقد زينا السماء الدنيا أي القربى من الأرض وهي التي يراها الناس بمصابيح أي بكواكب كالمصابيح في الإضاءة وهي أعلام الكواكب، وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى: وجعلناها رجوما للشياطين قال ابن عباس: يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع.

فإن قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين.

قلت قالوا إنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمي الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها وأعتدنا لهم أي وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير أي في الآخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم أي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من إنس وجن عذاب جهنم وبئس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى: إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات وهي تفور أي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل، تكاد تميز أي تتقطع من الغيظ من تغيظها عليهم كلما ألقي فيها فوج أي جماعة سألهم خزنتها يعني سؤال توبيخ وتقريع ألم يأتكم نذير أي رسول ينذركم.

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٩ الى ١٦]

قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير (٩) وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (١٠) فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير (١١) إن الذين

يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير (١٢) وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور (١٣) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (١٤) هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور (١٥) أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور (١٦)

قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسول ما نزل الله من شيء وهذا اعتراف منهم بأنه أزاح." [1]

"الغيب. وقال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر، هذا بنوء كذا وكذا، وهذا بنوء الأسد، وهذا بنوء الجوزاء، وغير ذلك. وقرأ الجمهور: تكذبون من التكذيب وعلي والمفضل عن عاصم: من الكذب، فالمعنى من التكذيب أنه ليس من عند الله، أي القرآن أو المطر، حيث ينسبون ذلك إلى النجوم. ومن الكذب قولهم: في القرآن سحر وافتراء، وفي المطر من الأنواء.

فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون، قال الزمخشري: ترتيب الآية:

فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، فلولا الثانية مكررة للتوكيد، والضمير في ترجعونها للنفس. وقال ابن عطية: توقيف على موضع عجز **يقتضي النظر فيه** أن الله مالك كل شيء. وأنتم: إشارة إلى جميع البشر، حينئذ: حين إذ بلغت الحلقوم، تنظرون: أي إلى النازع في الموت. وقرأ عيسى: حينئذ بكسر النون إتباعا لحركة الهمزة في إذ، ونحن أقرب إليه منكم ب العلم والقدرة، ولكن لا تبصرون:

من البصيرة بالقلب، أو أقرب: أي ملائكتنا ورسلنا، ولكن لا تبصرون: **من البصر بالعين**. ثم عاد التوقيف والتقدير ثانية بلفظ التخصيص. والمدين: المملوك. قال الأخطل:

ربت ورباني في حجرها ابن مدينة قيل: ابن مملوكة يصف عبدا ابن أمة، وآخر البيت:

تراه على مسحانة يتوكل والمعنى: فلولا ترجعون النفس البالغة إلى الحلقوم إن كنتم غير مملوكين وغير مقهورين. إن كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد، إذ كانوا فيما ذهبوا إليه من أن القرآن سحر وافتراء، وأن ما نزل من المطر هو بنوء، كذا تعطيل للصانع وتعجيز له. وقال ابن عطية: وقوله ترجعونها سد مسد جوابها، والبيانات التي تقتضيها التخصيصات، وإذا من قوله: فلولا إذا، وإن المتكررة، وحمل بعض القول بعضا إيجازا واقتصارا. انتهى. وتقول: إذا ليست شرطية، فتسد ترجعونها مسد جوابها، بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها المحذوف بعد فلولا، لدلالة ترجعونها في التخصيص

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٣١٩

الثاني عليه، فجاء التخصيص الأول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم، وجاء التخصيص الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم، وهم لا يقدرون على رجوعها، إذ مربوبيتهم موجودة، فهم مقهورون لا قدرة لهم.." [١]

"فقال: فارجع، ففي الفاء معنى التسبب، والمعنى: أن العيان يطابق الخبر.

والفطور، قال مجاهد: الشقوق، فطر ناب البعير: شق اللحم وظهر، قال الشاعر:

بنى لكم بلا عمد سماء ... وسواها فما فيها فطور

وقال أبو عبيدة: صدوع، وأنشد قول عبيد بن مسعود:

شققت القلب ثم رددت فيه ... هواك فليط فالتأم الفطور

وقال السدي: خروق. وقال قتادة: خلل، ومنه التفطير والانفطار. وقال ابن عباس:

وهن وهذه تفاسير متقاربة، والجملة من قوله: هل ترى من فطور في موضع نصب بفعل معلق محذوف، أي فانظر هل ترى، أو ضمن معنى **فارجع البصر معنى** فانظر ببصرك هل ترى؟ فيكون معلقا. ثم ارجع البصر: أي ردده كرتين هي تثنية لا شفع الواحد، بل يراد بها التكرار، كأنه قال: كرة بعد كرة، أي كرات كثيرة، كقوله: لبيك، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض، وأريد بالتثنية التكثير، كما أريد بما هو أصل لها التكثير، وهو مفرد عطف على مفرد، نحو قوله:

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم ... بيتا وأبعدهم عن منزل الزام

يريد: لو عدت قبور كثيرة. وقال ابن عطية وغيره: كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر. وقيل: أمر **برجع البصر إلى** السماء مرتين، غلط في الأولى، فيستدرك بالثانية. وقيل: الأولى ليرى حسنها واستواءها، والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها.

وقرأ الجمهور: ينقلب جزما على جواب الأمر والخوارزمي عن الكسائي: يرفع الباء، أي فينقلب على حذف الفاء، أو على أنه موضع حال مقدرة، أي إن **رجعت البصر وكررت النظر لتطلب** فطور شقوق أو خللا أو عيبا، رجع إليك مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها، وهو كال من كثرة النظر، وكلاله يدل على أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد، لأنه لا **يكل البصر بالنظر** مرتين اثنتين. والحسير: الكال، قال الشاعر:

لهن الوجى لم كر عونا على النوى ... ولا زال منها ظالع وحسير

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩٤/١٠

يقال: حسر بعيره يحسر حسورا: أي كل وانقطع فهو حسير ومحسور، قال الشاعر يصف ناقة:
فشطرها نظر العينين محسور." (١)

"ويقولون: هي واقعة سمعا وهذه مسألة يبحث عنها في علم أصول الدين وفيه ذكر دلائل الفريقين مستوفاة وقد رأيت فيها لأبي جعفر الطوسي وهو من عقلاء الإمامية سفرا كبيرا ينصر فيه مقالة أصحابه نفاة الرؤية وقد استدل نفاة الرؤية بهذه الآية لمذهبهم وأجيبوا بأن الإدراك غير الرؤية، وعلى تسليم أن الإدراك هو الرؤية فالأبصار مخصوصة أي أبصار الكفار الذين سبق ذكرهم أو لا تدركه في الدنيا، قال الماتريدي: والبصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في **حاسة النظر به** تدرك المبصرات وفي قوله: وهو يدرك الأبصار دلالة على أن الإدراك لا يراد به هنا مجرد الرؤية إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح، لأنا نحن نرى الأبصار فدل على أن معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشيء فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار وهو محيط بحقيقتها، وقال الزمخشري: والمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك.

وهو اللطيف الخبير يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف وهو يدرك الأبصار لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللف انتهى، وهو على مذهبه الاعتزالي وتظافرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤية المؤمنين الله في الآخرة، وقد اختلفوا هل رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ببصره ليلة المعراج؟ فذهب جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى إنكار ذلك، وقالت عائشة وابن مسعود وأبو هريرة على خلاف عنهما بذلك، وذهب ابن عباس وكعب والحسن وعكرمة وأحمد بن حنبل وأبو الحسن الأشعري وجماعة من الصحابة إلى أنه رآه ببصره وعيني رأسه، وروي هذا عن ابن مسعود وأبي هريرة والأول عن ابن م سعود أشهر، وقيل: وهو يدرك الأبصار معناه لا يخفى عليه شيء وخص الأبصار لتجنيس الكلام يعني المقابلة، وقال الزجاج: في هذا دليل على أن الخلق لا يدركون الأبصار أي لا يعرفون كيفية **حقيقة البصر الذي** صار به الإنسان مبصرا من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه:
وهو اللطيف الخبير قال أبو العالية:
لطيف باستخراج الأشياء خبير بأماكنها.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٢٢/١٠

قد جاءكم بصائر من ربكم هذا وارد على لسان الرسول لقوله آخره وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما **أن البصر نور** العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه بما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز ما هو للقلوب." (١)

"وهذا معنى ما قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد قالوا: لو أتيناهم بآية كما سألوا لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحلنا بينهم وبين الهدى فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. والفرق بين هذا القول والذي بدأنا به أولا أن ذلك استئناف إخبار بما يفعل بهم تعالى في الدنيا. وهذا إخبار على تقدير مجيء الآية المقترحة فذلك واقع وهذا غير واقع، لأن الآية المقترحة لم تقع فلم يقع ما رتب عليها.

وقال مقاتل: نقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان وعن الآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات.

وقيل: تقليبها بإزعاج نفوسهم هما وغما.

وقال الكرماني: معناه أنا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الأعين منهم انتهى.

ولا يستقيم هذا التفسير لقوله: كما لم يؤمنوا به أول مرة لا على التعليل ولا على التشبيه إلا إن جعل متعلقا بقوله أنها إذا جاءت لا يؤمنون أي كما لم يؤمنوا به أول مرة فيصح على بعد في تفسير التقليب بإحاطة العلم.

وقال الكعبي: المراد أنا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والألطاف من حيث أخرجوا أنفسهم عن الهداية بسبب الكفر انتهى.

وهو على طريقة الاعتزالي ومعنى تقليب القلب والبصر ما ينشأ عن القلب والبصر من الدواعي إلى الحيرة والضلال، لأن القلب والبصر يتقلبان بأنفسهما فنسبة التقليب إليهما مجاز. وقدمت الأفئدة لأن موضع الدواعي والصوارف هو القلب فإذا حصلت الداعية في القلب **انصرف البصر إليه** شاء أم أبى، وإذا حصلت الصوارف في القلب **انصرف البصر عنه** وإن كان **تحدق النظر إليه** ظاهرا وهذه التفاسير على أن ذلك في الدنيا.

وقالت فرقة: إن ذلك إخبار من الله تعالى يفعل بهم ذلك في الآخرة.

فروي عن ابن عباس أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا. والمعنى لو ردوا لحلنا بينهم وبين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤/٦٠٦

الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا انتهى. وهذا ينبو عنه تركيب الكلام.

وقيل: تقليبها في النار في جهنم على لهيبها وجمرها ليعذبوا كما لم يؤمنوا به أول مرة يعني في الدنيا وقاله الجبائي.." (١)

"جنب مخففا، وأجنب رباعيا لغة نجد، وجنب مشددا لغة الحجاز، والمعنى: منع، وأصله من الجانب. الهوى: الهبوط بسرعة، قال الشاعر:

وإذا رميت به الفجاج رأيته ... تهوي مخارمها هوى الأجدل

شخص البصر أحد النظر، ولم يستقر في مكانه. المهطع: المسرع في مشيه. قال الشاعر:

بمهطع سرح كأن عنانه ... في رأس جذع من أراك مشذب

وقال عمران بن حطان:

إذا دعانا فأهطعنا لدعوته ... داع سميع فلبونا وساقونا

وقال أبو عبيدة: قد يكون الإهطاع الإسراع وإدامة النظر. المقنع: هو الرافع رأس المقبل ببصره على ما بين يديه، قاله ابن عرفة والقتبي. وقال الشاعر:

يباكرن العصاة بمقنعات ... نواجذهن كالحدإ الوقيع

نصف الإبل بالإقناع عند رعيها أعالي الشجر، ويقال: أقنع رأسه نكسه وطأطأه، فهو من الأضداد. قال المبرد: وكونه بمعنى رفع أعرف في اللغة انتهى. وقيل: منه قنع الرجل إذا رضي، كأنه رفع رأسه عن السؤال. وفم مقنع معطوفة أسنانه إليه داخلا، ورجل مقنع بالتشديد عليه بيضة الرأس معروف، ويجمع في القلة على أرؤس. الطرف: العين. وقال الشاعر:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

ويقال: طرف الرجل طبق جفنه على الآخر، وسمي الجفن طرفا لأنه يكون فيه." (٢)

"هم أهل السعادة ومن كان في هذه أعمى هم أهل الشقاوة ولا يظلمون فتيلا أي لا ينقصون أدنى شيء وتقدم شرح الفتيل في سورة النساء. والظاهر أن الإشارة بقوله:

في هذه إلى الدنيا وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد أي: من كان في هذه الدار أعمى **عن النظر في** آيات الله وعبره والإيمان بأنبيائه، فهو في الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦١٧/٤

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٤٣/٦

الآخرة، وإما أن يكون فهو يوم القيامة أعمى معنى أنه خبر إن لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح. وقال مجاهد: هو أعمى في الآخرة عن حججه.

وقال ابن عباس أيضا: ومن كان في هذه النعم يشير إلى نعم التكريم والتفضيل فهو في الآخرة التي لم تر ولم تعاين أعمى. وقيل: ومن كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل وفي الدنيا يهتدي إلى التخلص من الآفات، وفي الآخرة لا يهتدي إلى ذلك ألبتة. وقيل: فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة. وقيل: **أعمى البصر كما** قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا «١» وقوله: ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا «٢» .

وقيل: من كان في الدنيا أعمى عن إبصار الحق والاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

وقال ابن عطية: والظاهر عندي أن الإشارة بهذه إلى الدنيا أي من كان في دنياه هذه وقت إدراكه وفهمه أعمى **عن النظر في** آيات الله فهو في يوم القيامة أشد حيرة وعمى لأنه قد باشر الخيبة ورأى مخائل العذاب، وبهذا التأويل تكون معادلة التي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه. وإذا جعلنا قوله في الآخرة بمعنى في شأن الآخرة لم تطرد المعادلة بين الآيتين. وقال الزمخشري: والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة، أما في الدنيا فلفقد النظر، وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل. ومن ثم قرأ أبو عمر الأول مما لا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله أعمالكم «٣» وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة انتهى. وتعليله ترك إمالة أعمى الثاني أخذه الزمخشري من أبي علي قال أبو علي:

لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر، وأعمى ليس كذلك لأن تقديره أعمى من كذا

---

(١) سورة الإسراء: ١٧/ ٩٧.

(٢) سورة طه: ٢٠/ ١٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ١٣٩ وغيرها.." [١]

"وبين هنا أصله ظرف استعمل اسما بدخول من عليه. وقيل: من زائدة.

وقيل البين هنا البعد أي اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق. ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور أو من

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٨٨/٧

الشهادة ويكون مصدرا ومكانا وزمانا، فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود ومن الشهادة، يجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر، وأن يكون من مكان الشهادة، وأن يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة. وعن قتادة: هو يوم قتل المؤمنين حين اختلف الأحزاب وقيل ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه يوم اختلافهم، وتقدم الكلام على التعجب الوارد من الله في قوله تعالى فما أصبرهم على النار «١» وأنه لا يوصف بالتعجب.

قال الحسن وقتادة: لئن كانوا صما وبكما عن الحق فما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة، ولكنهم يسمعون ويبصرون حيث لا ينفعهم السمع ولا البصر. وعن ابن عباس إنهم أسمع شيء وأبصره. وقال علي بن عيسى: هو وعيد وتهديد أي سوف يسمعون ما يخلع قلوبهم، ويبصرون ما يسود وجوههم. وعن أبي العالية: إنه أمر حقيقة للرسول أي أسمع الناس اليوم وأبصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب إذا أتوا محشورين مغلولين لكن الظالمون عموم يندرج فيه هؤلاء الأحزاب الكفارة وغيرهم من الظالمين، واليوم أي في دار الدنيا. وقال الزمخشري: أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم، والمراد بالضلال المبين **إغفال النظر والاستماع** انتهى.

وأنذرهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والضمير لجميع الناس. وقيل: يعود على الظالمين.

ويوم الحسرة يوم ذبح الموت وفيه حديث.

وعن ابن زيد: يوم القيامة.

وقيل: حين يصدر الفريقان إلى الجنة والنار وعن ابن مسعود: حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين. وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون يوم الحسرة اسم جنس لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة، ومنها يوم الموت، ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك انتهى.

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٧٥.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٦٣/٧

"جاءت التثنية على الأصل والجمع لا من اللبس إذ النهار ليس له إلا طرفان. وقيل:

هو على حقيقة الجمع الفجر الطرف الأول، والظهر والعصر من الطرف الثاني، والطرف الثالث المغرب والعشاء. وقيل: النهار له أربعة أطراف عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وعند زوال الشمس، وعند وقوفها للزوال. وقيل: الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب. وقيل: يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف فيتكرر بتكرره. وقيل: المراد بالأطراف الساعات لأن الطرف آخر الشيء. وقرأ الجمهور: وأطراف بنصب الفاء وهو معطوف على ومن آناء الليل. وقيل: معطوف على قبل طلوع الشمس وقرأ الحسن وعيسى بن عمر وأطراف بخفض الفاء عطفا على آناء.

لعلك ترضى أي تثاب على هذه الأعمال بالثواب الذي تراه وأبرز ذلك في صورة الرجاء والطمع لا على القطع. وقيل: لعل من الله واجبة. وقرأ أبو حيوة وطلحة والكسائي وأبو بكر وأبان وعصمة وأبو عمارة عن حفص وأبو زيد عن المفضل وأبو عبيد ومحمد بن عيسى الأصبهاني ترضى بضم التاء أي يرضيك ربك.

ولما أمره تعالى بالصبر وبالتسبيح جاء النهي عن **مد البصر إلى** ما متع به الكفرة يقال: **مد البصر إلى** ما متع به الكفار، يقال: مد نظره إليه إذا **أدام النظر إليه**، والفكرة في جملته وتفصيله. قيل: والمعنى على هذا ولا تعجب يا محمد مما متعناهم به من مال وبنين ومنازل ومراكب وملابس ومطاعم، فإنما ذلك كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام، وإنها عما قليل تفنى وتزول. والخطاب وإن كان في الظاهر للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد أمته وهو كان صلى الله عليه وسلم أبعد شيء **عن النظر في** زينة الدنيا وأعلق بما عند الله من كل أحد، وهو القائل في الدنيا

«ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله»

وكان شديد النهي عن الاغترار بالدنيا والنظر إلى زخرفها ولا تمدن أبلغ من لا تنظر لأن **مد البصر يقتضي** الإدامة والاستحسان بخلاف النظر، فإنه قد لا يكون ذلك معه والعين لا تمد فهو على حذف مضاف أي لا تمدن نظر عينيك والنظر غير الممدد معفو عنه. وذلك مثل من فاجأ الشيء ثم غض بصره. والنظر إلى الزخارف مركوز في الطبائع فمن رأى منها شيئا أحب **إدمان النظر إليه**، وقد شدد المتقون في **غض البصر عن** أبنية الظلمة وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لأنهم إنما اتخذوها لعيون النظارة حتى يفتخروا بها،

فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها. وانتصب أزواجا على أنه مفعول به، والمعنى أصنافا من." (١)

"وعن أبي العالية وابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذا فهو من الاستتار، ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين. ذلك أي **غض البصر وحفظ** الفرج أطهر لهم إن الله خبير بما يصنعون من **إحالة النظر وانكشاف** العورات، فيجازي على ذلك. وقدم **غض البصر على** حفظ الفرج **لأن النظر بريد** الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتزاز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته. وقال بعض الأدباء:

وما الحب إلا نظرة إثر نظرة ... تزيد نموا إن تزده لجاجا

ثم ذكر تعالى حكم المؤمنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الأبصار وفي الحفظ للفروج. ثم قال ولا يبدين زينتهن واستثنى ما ظهر من الزينة، والزينة ما تتزين به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لمن استثني. وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الحسد لا **يحل النظر إليها** لغير هؤلاء وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والآذان، فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم **أن النظر لا** يحل إليها لملابستها تلك المواقع **بدليل النظر إليها** غير ملابسة لها، وسومح في الزينة الظاهرة لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها الفقيرات منهن وهذا معنى قوله إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره، والأصل فيه الظهور وسومح في الزينة الخفيفة.

أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك. وقال ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب، ونص على ذلك أحمد قال: الزينة الظاهرة الثياب، وقال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد «١» وفسرت الزينة بالثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم. وقال الحسن في جماعة: الوجه والكفان. وقال ابن جريج: الوجه والكحل والخاتم والخضاب

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٩٩/٧

والسوار.

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ٣١.." (١)

"قوله تعالى: ﴿هل ينظرون﴾ : «هل» لفظه استفهام والمراد به النفي كقوله:

٩١١ - وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

أي: ما ينظرون، وما أنا، ولذلك وقع بعدها «إلا» كما تقع بعد «ما» .

و «ينظرون» هنا بمعنى ينتظرون، وهو معدى بنفسه، قال امرؤ القيس:

٩١٢ - فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر ينفعني لدى أم جندب

وليس المراد هنا بالنظر تردد العين، لأن المعنى ليس عليه. واستدل بعضهم على ذلك **بأن النظر بمعنى البصر يتعدى** بإلى، ويضاف إلى الوجه، وفي الآية الكريمة متعد بنفسه، وليس مضافا إلى الوجه، ويعني بإضافته إلى الوجه قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣] فيكون بمعنى الانتظار. وهذا ليس بشيء. أما قوله: «إن الذي **بمعنى البصر يتعدى** بإلى." (٢)

"العلم غير مطابق للمعلوم كذلك لا **يقع النظر البصري** غير مطابق لذلك الشيء المبصر المنظور إليه، فكان المراد التخمين والظن لا اليقين والعلم. كذا قيل، وفيه نظر لأنا لا نسلم **أن البصر لا** يخالف المبصر، لجواز أن يحصل خلل فيه وسوء **في النظر فيتخيل** الباصر الشيء شيئين فأكثر وبالعكس.

وفي انتصاب «رأي العين» ثلاثة أوجه تقدم منها اثنان: النصب على المصدر التوكيدي أو النصب على المصدر التشبيهي كما عرفت تحقيقه. والثالث: أنه منصوب على ظرف المكان، قال الواحدي: «كما تقول:» ترونهم أمامكم «ومثله:» هو مني مزجر الكلب ومناط العيوق «، وهذا إخراج للفظ عن موضوعه مع عدم المساعد معنى وصناعة.

و» رأى «مشترك بين» رأى «بمعنى أبصر، ومصدره الرأي والرؤية، وبمعنى اعتقد وله الرأي، وبمعنى الحلم وله الرؤيا كالدنيا، فوقع الفرق بالمصدر، فالرؤية للبصر خاصة، والرؤيا للحلم فقط، والرأي مشترك بين البصرية والاعتقادية يقال: هذا رأي فلان أي: اعتقاده، قال:

١١٩٣ - رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه ... خوارج تراكين قصد المخارج

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٣/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٦٢/٢

قلت: وهذه الآية قد أكثر الناس فيها القول فتتبعته وقرنت كل شيء بما يلائمه.

قوله: ﴿من يشآء﴾ مفعول» يشاء «محذوف أي: من يشاء تأييده، والباء/ سببية، أي: بسبب تأييده وهو تفعيل من الأيد وهو القوة.

وقرأه ورش «يويد» بإبدال الهمزة واوا محضة وهو تسهيل قياسي قال." (١)

"قوله تعالى: ﴿ماذا في السماوات﴾ : يجوز أن يكون «ماذا» كله استفهاما مبتدأ، و «في السموات» خبره أي: أي شيء في السموات؟ ويجوز أن تكون «ما» مبتدأ و «ذا» بمعنى الذي، و «في السموات» صلته وهو خبر المبتدأ، وعلى التقديرين فالمبتدأ وخبره في محل نصب بإسقاط الخافض؛ لأن الفعل قبله معلق بالاستفهام، ويجوز على ضعف أن يكون «ماذا» كله موصولا بمعنى الذي وهو في محل نصب ب «انظروا» . ووجه ضعفه أنه لا يخلو: إما أن **يكون النظر بمعنى البصر فيعدى** ب «إلى» ، وإما أن يكون قلبيا فيعدى ب «في» وقد تقدم الكلام في «ماذا» .

قوله: ﴿وما تغني﴾ ، يجوز في «ما» أن تكون استفهامية، وهي واقعة موقع المصدر أي: أي غناء تغني الآيات؟ ويجوز أن تكون نافية، وهذا هو الظاهر. وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «ما» في قوله: «وما تغني» مفعولة بقوله: «انظروا» ، معطوفة على قوله: «ماذا» أي: تأملوا قدر غناء الآيات والنذر عن الكفار «. قال الشيخ:» وفيه ضعف، وفي قوله: «معطوفة على» ماذا «تجوز، يعني أن الجملة الاستفهامية التي هي ﴿ماذا في السماوات﴾ في موضع." (٢)

"الكريم. وقرأ الحسن والسلمي والأعرج وخلائق - وتروى عن أبي عمرو - «نؤخرهم» بنون العظمة. و «تشخص» صفة ل «يوم» ومعنى **شخوص البصر حدة النظر وعدم** استقراره في مكانه، ويقال: شخص سهمه وبصره وأشخصهما صاحبهما، وشخص بصره: لم يطرف جفنه، ويقال: شخص/ من بلده، أي: بعد، والشخص: سواد الإنسان المرئي من بعيد.." (٣)

"وهذا الذي قاله مقاتل حسن؛ ولهذا قال: ﴿ذلكم خير لكم﴾ يعني: الاستئذان خير لكم، بمعنى: هو خير للطرفين (١) : للمستأذن ولأهل البيت، ﴿. لعلكم تذكرون﴾ .

وقوله: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ ، وذلك لما فيه من التصرف في ملك

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٥/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٧١/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١٩/٧

الغير بغير إذنه، فإن شاء أذن، وإن شاء لم يأذن ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ أي: إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده ﴿فارجعوا هو أزكى لكم﴾ أي: رجوعكم (٢) أزكى لكم وأطهر ﴿والله بما تعملون عليم﴾ .

وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: "ارجع"، فأرجع وأنا مغتبط (٣) [لقوله] (٤) ، ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ .

وقال سعيد بن جبير: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ أي: لا تقفوا على أبواب الناس.

وقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ هذه الآية الكريمة أخص من التي (٥) قبلها، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد، إذا كان له (٦) فيها متاع، بغير إذن، كالبيت المعد للضيف، إذا أذن له فيه أول مرة، كفى.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم﴾ ، ثم نسخ واستثنى فقال ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم﴾ : وكذا روي عن عكرمة، والحسن البصري.

وقال آخرون: هي بيوت التجار، كالخانات (٧) ومنازل الأسفار، وبيوت مكة، وغير ذلك. واختار ذلك ابن جرير، وحكاه، عن جماعة. والأول أظهر، والله أعلم.

وقال مالك عن زيد بن أسلم: هي بيوت الشعر.

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) ﴾ .

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه (٨) ، وأن يغضوا (٩) أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعا، كما رواه مسلم في صحيحه، من حديث يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جده جرير بن عبد الله البجلي، رضي الله عنه، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم، عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري.

وكذا رواه الإمام أحمد، عن هشيم، عن يونس بن عبيد، به. ورواه أبو داود والترمذي

---

(١) في ف، أ: "من الطرفين".

(٢) في أ: "رجعوكم".

(٣) في أ: "متغيط".

(٤) زيادة من ف، أ.

(٥) في أ: "الذي".

(٦) في ف، أ: "لكم".

(٧) في أ: "في الخانات".

(٨) في ف: "إليهم".

(٩) في ف: "يغمصوا".." (١)

"والنسائي، من حديثه أيضا (١) . وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي رواية لبعضهم: فقال: "أطرق بصرك"، يعني: انظر إلى الأرض. والصرف أعم؛ فإنه قد يكون إلى الأرض، وإلى (٢) جهة أخرى، والله أعلم.

وقال أبو داود: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، حدثنا شريك، عن أبي ربيعة الإيادي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة"

ورواه الترمذي من حديث شريك (٣) ، وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديثه.

وفي الصحيح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والجلوس على الطرقات". قالوا: يا رسول الله، لا بد لنا من مجالسنا، نتحدث فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أبيتم، فأعطوا الطريق حقه". قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" (٤) .

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا فضل (٥) بن جبير: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف. وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم" (٦) .

وفي صحيح البخاري: "من يكفل (٧) لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أكفل له الجنة" (٨) .

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: كل ما عصي الله به، فهو كبيرة.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤١/٦

وقد ذكر الطرفين فقال: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ .

ولما **كان النظر داعية** إلى فساد القلب، كما قال بعض السلف: "النظر سهام سم إلى القلب"؛ ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك، فقال: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ . وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنى، كما قال ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المعارج:٢٩، ٣٠] وتارة يكون بحفظه **من النظر إليه**، كما جاء في الحديث في مسند أحمد (٩) والسنن:

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٥٩) والمسند (٣٦١/٤) وسنن أبي داود برقم (٢١٤٨) وسنن الترمذي برقم (٢٧٧٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٢٣٣) .

(٢) في أ: "أو إلى".

(٣) سنن أبي داود برقم (٢١٤٩) وسنن الترمذي برقم (٢٧٧٧) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٤٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

(٥) في هـ: "فضال".

(٦) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٩٢/٧) من طريق أبي القاسم البغوي، به. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٤/٨) وابن حبان في المجروحين (٢٠٤/٢) من طريق فضال بن جبير. ويقال: ابن زبير، به. وقال ابن حبان: "فضال بن جبير لا يحل الاحتجاج به".

(٧) في أ: "كفل".

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد، رضي الله عنه.

(٩) في أ: "المسند".." (١)

"قال ابن عطية:» جاء ينظر على لفظ «من» ، وإذا جاء على لفظها، فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى، وإذا جاء أولا على معناها، فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ؛ لأن الكلام يلبس حينئذ «.

قال أبو حيان:» وليس كما قال، بل يجوز أن تراعي المعنى أولا، فتعيد الضمير على حسب ما تريد به من

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢/٦

المعنى: من تأنيث، وتثنية، وجمع، ثم تراعي اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا، وفي ذلك تفصيل تقدم أول البقرة [البقرة٨] .

فصل

أخبر – تعالى – في الآية أن الإيمان، والتوفيق به لا بغيره، فقال: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ بأسماعهم الظاهرة، ولا ينفعهم، ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ يريد: صمم القلب ﴿ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك﴾ : بعينه الظاهرة ولا ينفعه، ﴿أفأنت تهدي العمي﴾ يريد: عمى القلب، ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ وهذه التسلية من الله – عز وجل – لنبيه – عليه الصلاة والسلام – يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا أن تهدي من سلبته البصر، ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه بأنه لا يؤمن.

والمقصود: إعلام الرسول – عليه الصلاة والسلام –: بأنهم قد بلغوا في معرض العقل، إلى حيث لا يقبلون العلاج، فالطبيب إذا رأى مريضا لا يقبل العلاج، أعرض عنه، ولم يستوحش من عدم قبوله للعلاج، فكذلك أنت لا تستوحش من حال هؤلاء الكفار.

فصل

احتج أهل السنة بهذه الآية: على أن أفعال العباد من الله؛ لأن الآية دلت على: أن قلوب الكفار بالنسبة إلى الإيمان، كالأصم بالنسبة إلى استماع الكلام. وكالأعمى بالنسبة إلى نظر الأشياء، فكما أن هذا ممتنع؛ فكذلك حصول الإيمان في القلب ليس باختيار الإنسان، واحتج المعتزلة على صحة قولهم، بقوله – تعالى – بعدها: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ [يونس: ٤٤] فدل ذلك على: أنه – تعالى ما ألجأ أحدا إلى فعل القبائح، ولكنهم يقدمون عليها باختيارهم، وأجاب الواحدي: «بأنه – تعالى – إنما نفى الظلم عن نفسه؛ لأنه يتصرف في ملك نفسه، ومن كان كذلك، لم يكن ظالما، وإنما قال: ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب» .

فصل

احتج ابن قتيبة بهذه الآية، على أن السمع أفضل من البصر؛ لأنه – تعالى – قرن بذهاب السمع، ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر، إلا ذهاب البصر، فكان السمع." (١)

"الكسر، والباقون بضمها نقلوا حركة الهمزة إلى اللام.

قوله: «ماذا» يجوز أن يكون «ماذا» كله استفهاما مبتدأ، و «في السماوات» خبره أي: أي شيء في

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٣٨/١٠

السموات؟ ويجوز أن تكون «ما» مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي، و «في السماوات» صلته وهو خبر المبتدأ، وعلى التقديرين فالمبتدأ وخبره في محل نصب بإسقاط الخافض لأن الفعل قبله معلق بالاستفهام، ويجوز على ضعف أن يكون «ماذا» كله موصولا بمعنى «الذي» وهو في محل نصب ب «انظروا» . ووجه ضعفه أنه لا يخلو: إما أن يكون النظر بمعنى البصر فيعدى ب «إلى» ، وإما أن يكون قلبيا فيعدى ب «في» ، وقد تقدم الكلام في «ماذا» .

فصل

المعنى: قل للمشركين الذين يسألونك عن الإيمان: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ واعلم أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بالنظر في الدلائل. قال عليه الصلاة والسلام : «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» والدلائل إما أن تكون من عالم السموات، أو من عالم الأرض، أما الدلائل السماوية، فهي حركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها، وما يختص به كل واحد منها، وأما الدلائل الأرضية، فهي النظر في أحوال العناصر العلوية، وفي أحوال المعادن والنبات، وأحوال الإنسان، وينقسم كل واحد من هذه الأجناس إلى أنواع لا نهاية لها. ولو أن الإنسان أخذ يتفكر في كيفية حكمة الله تعالى في تخليق جناح بعوضة لانقطع عقله قبل أن يصل إلى أول مرتبة من مراتب تلك الفوائد.

ثم لما أمر بهذا التفكر بين بعده أن هذا التفكر والتدبر في هذه الآيات لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الأزل بأنه لا يؤمن فقال: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ .

قوله: «وما تغني» يجوز في «ما» أن تكون استفهامية، وهي واقعة موقع المصدر أي: أي غناء تغني الآيات؟ ويجوز أن تكون نافية، وهو الظاهر.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «ما» في قوله: «وما تغني» مفعولة بقوله: «انظروا» معطوفة على قوله: «ماذا» أي: تأملوا قدر غناء الآيات والنذر عن الكفار.

قال أبو حيان: وفيه ضعف، وفي قوله: معطوفة على «ماذا» تجوز، يعنى أن الجملة الاستفهامية التي هي «ماذا في السماوات» في موضع المفعول؛ لأن «ماذا» وحده منصوب ب «انظروا» فتكون «ماذا» موصلة، و «انظروا» بصرية لما تقدم من أنه لو كانت بصرية." (١)

"فالجواب من وجوه:

الأول: المراد به التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب إن كان غافلا، كقوله تعالى: ﴿ولا تكونن من

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤١٨/١٠

المشركين﴾ [الأنعام: ١٤] ﴿ولا تدع مع الله إلها آخر﴾ [القصص: ٨٨] .

والثاني: المقصود منه بيان أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظالم، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما للك أحد لا جرم كان عدم الانتقام محالا.

الثالث: أن المراد: ولا تحسبنه يعاملهم الله معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معالمة الرقيب عليهم المحاسب على النقير، والقطمير.

الرابع: أن هذا الخطاب، وإن كان خطابا للنب صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه خطاب مع الأمة.

قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: هذا تسلية للمظلوم، وتهديد للظالم.

قوله: ﴿إنما يؤخرهم﴾ أي: لأجل يوم، فاللام للعلة.

وقيل: بمعنى «إلى» أي: للغاية.

وقرأ العامة «يؤخرهم» بالياء، لتقدم اسم الله تعالى. وقرأ الحسن وال‍سلمي، والأعرج، [وخلائق] رضي الله عنهم: «نؤخرهم» بنون العظمة.

ويروى عن أبي عمرو «نؤخرهم» بنون العظمة.

و «تشخص» صفلة ل «يوم» . ومعنى **شخوص البصر حدة** النظر، وعدم استقراره في مكانه، ويقال: شخص سمعه، وبصره، وأشخصهما صاحبهما، وشخص بصره، أي: لم يطرف جفنه، **وشخوص البصر يدل** على الحيرة والدهشة، ويقال: شخص من بلده أي: بعد والشخص: سواد الإنسان المرئي من بعيد.

قوله: ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم﴾ حالان من المضاف المحذوف إذا التقدير: أصحاب الأبصار، إذا يقال: شخس زيد بصره، أو تكون الأبصار دلت على أربابها فجاءت الحال من المدلول عليه، قالهما أبو البقاء.

وقيل: «مهطعين» منصوب بفعل مقدر، أي: تبصرهم مهطعين، ويجوز في «مقنعي» أن يكون حالا من الضمير في: «مهطعين» فيكون حالا، وإضافة: «مقنعي» غير حقيقة؛ فلذلك وقع حالا.

والإهطاع: قيل: الإسراع في المشي؛ قال: [البسيط]." (١)

"أما بيان كمال العلم، فقوله – تعالى –: ﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ أفاد الحصر بأن العلم بهذه الغيوب ليس إلا لله – تعالى –.

وأما بيان كمال القدرة، فقوله – عز وجل –: ﴿ومآ أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ والساعة: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة؛ لأنها تفجأ الإنسان في ساعة يموت الخلق كلهم بصيحة واحدة أي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٠٦/١١

إذا قال له: ﴿كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] والمراد ب «لمح البصر» : طرفة العين **وهو النظر بسرعة**، يقال: لمحه ببصره لمحا ولمحانا، وقيل: أصله من لمحان البرق، وقولهم: لأرينك لمحا باصرا، أي: أمرا واضحا، والمراد بيان كمال القدرة.

وقوله: ﴿أو هو أقرب﴾ ليس المراد منه الشك، بل المراد: بل هو أقرب.

قال الزجاج: المراد به: الإبهام على المخاطبين أنه – تعالى – يأتي بالساعة إما بقدر لمح البصر، أو بما هو أسرع؛ لأن **لمح البصر عبارة** عن انتقال الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، والحدقة مركبة من أجزاء لا تتجزأ، **فلمح البصر عبارة** عن المرور على جملة أجزاء الحدقة، ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة، والزمان الذي يحصل فيه **لمح البصر مركب** من أزمان متعاقبة، والله – تعالى – قادر على إقامة القيامة في زمان واحد من تلك الأزمان؛ فلهذا قال – تعالى –: ﴿أو هو أقرب﴾ تنبيها على ذلك، فقوله: ﴿أو هو أقرب﴾ ، أي: أمره، فالضمير للأمر، والتقدير: أو أمر الساعة أقرب من لمح البصر.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ نزلت في الكفار الذين استعجلوا القيامة استهزاء.

قوله." (١)

"يغض. ولما **كان النظر إلى** الزخارف كالمركوز في الطبائع قيل: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي: لا تفعل ما أنت معتاد له. ولقد شدد المتقون في وجوب **غض البصر عن** ابنية الظلمة، ولباس الفسقة، ومراكبهم وغير ذلك، لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغرى لهم على اتخاذها. قال أبو مسلم: ليس المنهي عنه هنا **هو النظر بل** هو الأسف، أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

قال أبو رافع: نزل ضيف بالرسول – عليه السلام – فبعثني إلى يهودي، فقال قل له: إن رسول الله يقول: يعني كذا وكذا من الدقيق، وأسلفني إلى هلال رجب، فأتيته، فقلت له ذلك، فقال: والله لا ابيعه ولا أسلفه إلا بهن، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته بقوله فقال: «والله لئن باعني وأسلفني لقضيته، وإني لأمشين في السماء وآمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية. وقال عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» .

وقال أبو الدرداء: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له. وعن الحسن:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٧/١٢

لولا حمق الناس لخربت الدنيا.

وعن عيسى ابن مريم – عليه السلام – لا تتخذوا دارا فتتخذكم لها عبيدا.." (١)

"قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ الآية. الغض: إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية.

قال:

٣٨٢٦ – فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفي «من» أربعة أوجه:

أحدها: أنها للتبعيض، لأنه يعفى عن الناظر أول نظرة تقع من غير قصد.

والثاني: لبيان الجنس، قاله أبو البقاء. وفيه نظر من حيث إنه لم يتقدم مبهم يكون مفسرا ب «من» .

الثالث: أنها لابتداء الغاية، قاله ابن عطية.

الرابع: قال الأخفش: إنها مزيدة.

فصل

قال الأكثرون: المراد غض البص عما يحرم والاقتصار به على ما يحل.

فإن قيل: كيف دخلت «من» في **غض البصر دون** حفظ الفرج؟

فالجواب: أن ذلك دليل على أن **أمر النظر أوسع**، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن، وكذا الجواري المستعرضات، وأما أمر الفروج فمضيق.

وقيل: معنى ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ أي: ينقصوا من نظرهم بالبصر إذا لم يكن من عمله فهو مغضوض. وعلى هذا «من» ليست زائدة، ولا هي للتبعيض، بل هي صلة للغض، يقال: غضضت من فلان: إذا نقصت منه.

فصل

العورات تنقسم أربعة أقسام:." (٢)

"أعمى لا يبصرنا؟ فقال عليه السلام:» أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه «؟ . وإن كان محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة.

وإن كان زوجها أو سيدها الذي له وطؤها فلها أن تنظر إلى جميع بدنه، غير أنه **يكره النظر إلى** الفرج كهو

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٦/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٤٩/١٤

معها.

فصل

ولا يجوز للرجل أن يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته، لأنه عليه السلام سئل عنه فقال:» الله أحق أن يستحيى منه «وقال عليه السلام:» إياكم والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله «.

قوله:» ويحفظوا فروجهم «أي: عما لا يحل.

وقال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه.

وهذا ضعيف، لأنه تخصيص من غير دليل، والذي يقتضيه الظاهر حفظ الفروج عن سائر ما حرم عليهما من الزنا واللمس والنظر.

قوله

: ﴿ذلك

أزكى

لهم

﴾ .

أي: **غض البصر وحفظ** الفرج أزكى لهم، أي: خير لهم وأطهر ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ عليم بما يفعلون.

قوله: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ الكلام فيه كما تقدم وقدم **غض البصر على** حفظ الفرج **لأن النظر بريد** الزنا، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه.

قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ أي: لا يظهرن زينتهن لغير محرم، والمراد بالزينة: الخفية، وهما زينتان: خفية وظاهرة. فالخفية: مثل الخلخال والخضاب في الرجل،." (١)

"الخضاب والخواتيم والثياب، لأن سترها فيه حرج، لأن المرأة لا بد لها من مزاولة الأشياء بيديها، والحاجة إلى كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح.

قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: «الزينة الظاهرة التي استثنى الله الوجه والكفان» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٤/١٤

وقال ابن مسعود: هي الثياب، لقوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] .

وقال الحسن: الوجه والثياب.

وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف. فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل **الأجنبي** **النظر إليها** إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئا منها غض البصر.

فصل

واتفقوا على تخصيص قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ بالحرائر دون الإماء والمعنى فيه ظاهر، لأن الأمة مال، فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها، وذلك لا يمكن إلا بالنظر إليها على الاستقصاء.

قوله: «وليضربن» . ضمن «يضربن» معنى «يلقين» فلذلك عداه ب «على» . وقرأ أبو عمرو في رواية بكسر لام الأمر.

وقرأ طلحة: «بخمرهن» بسكون الميم. وتسكين «فعل» في الجمع أولى من تسكين المفرد. وكسر الجيم من «جيوبهن» ابن كثير والأخوان وابن ذكوان.

والخمر: جمع خمار، وفي القلة يجمع على أخمرة. قال امرؤ القيس:." (١)

"فصل

اختلف الناس في أن فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه إلى السموات أم لا؟

قال ابن الخطيب: أما الظاهريون من المفسرين فقد قطعوا بذلك، وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء الصرح. والذي عندي أن هذا بعيد، والدليل عليه أن فرعون لا يخلو إما أن يقال: إنه كان مجنونا أو عاقلا، فإن كان مجنونا لم يجز من الله عز وجل أن يذكر حكاية كلامه في القرآن، وإن كان عاقلا فنقول: إن كل عاقل يعلم ببديهة عقله أنه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء يكون أرفع من الجبل العالي ويعلم أيضا ببديهة عقله أنه لا يتفاوت **في البصر من** حال السماء بين أن ينظر إليها من أسفل الجبال وبين أن ينظر إليها من أعلى الجبال، وإذا كان هذان العلمان بديهيان امتنع أن يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه إلى السماء، وإذا كان فاسدا معلوما بالضرورة امتنع إسناده إلى فرعون. والذي عندي في تفسير هذه الآية، أن فرعون كان من الدهرية، وغرضه من هذا الكلام إيراد شبهة في نفي الصانع وتقريره أنه قال: إنا لا نرى شيئا نحكم عليه أنه إله العالم، فإنه لو كان موجودا لكان في السماء، ونحن لا سبيل لنا إلى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه، ثم إنه لأجل المبالغة لبيان أنه لا يمكن الصعود إلى السماء قال: ﴿ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٦/١٤

الأسباب﴾ والمقصود أنه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول إلى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا. ونظيره قوله تعالى: ﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السمآء فتأتيهم بآية﴾ [الأنعام: ٣٥] وليس المراد منه أن محمدا عليه الصلاة والسلام طلب نفقا في الأرض، أو وضع سلما إلى السماء بل المعنى أنه لما عرف أن هذا المعنى ممتنع فقد عرف أنه لا سبيل لك إلى تحصيل ذلك المقصود، كذا ههنا غرض فرعون من قوله: ﴿يا هامان ابن لي صرحا﴾ يعني أن الاطلاع إلى إله موسى لما كان لا سبيل إليه إلا بهذا الطريق، وكان هذا الطريق ممتنعا، فحينئذ يظهر منه أنه لا سبيل إلى معرفة الإله الذي يثبته موسى.

واعلم أن هذه الشبهة فاسدة؛ لأن طرق العلم ثلاثة: الحس، والخبر، النظر، ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب؛ وذلك لأن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد بين لفرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى إنما هو الحجة، والدليل كما قال: ﴿ربكم ورب آبآئكم الأولين﴾ [الشعراء: ٢٦] ﴿رب المشرق والمغرب﴾ [ ]."(١)

"وقيل: يغشاها أنوار الله؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما وصل إليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الأنوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة، وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد. وقيل: أبهمه تعظيما له. والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي، ويكون بمعنى الإتيان، يقال: فلان يغشاني كل وقت أي يأتيني.

فصل

قال الماوردي في معاني القرآن: قيل: لما اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قال: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة زكية فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعملا ونية، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره.

وروى أبو الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» وسئل أبو الدرداء عن معنى هذا الحديث فقال: هو مختصر بمعنى من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار.

قوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ اللام في البصر يحتمل وجهين:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤/١٧

أحدهما: المعروف أي ما زاغ بصر محمد – عليه الصلاة والسلام – وعلى هذا فقدم الزيغ لوجوه إن قيل: بأن الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت إليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد – عليه الصلاة والسلام – وإن قيل إن الغاشي أنوار الله تعالى ففيه وجهان:

أحدهما: معناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها.

والثاني: ما زاغ البصر بصعقة، بخلاف موسى – «عليه الصلاة والسلام –» فإنه قطع النظر وغشي عليه، ففي الأول بيان أدب محمد – صلى الله عليه وسلم – وفي الثاني بيان قوته.

الوجه الثاني: لتعريف الجنس أي ما زاغ بصره أصلا في ذلك الوضع لعظم هيبته.

فإن قيل: لو كان كذلك لقال: ما زاغ بصر، فإنه أدل على العموم، لأن النكرة في معرض النفي تعم.." (١)

"فصل

قال أهل السنة: إن الله تعالى قدر الأشياء أي أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما جعل لهم بتيسير الله وبقدرة الله وإلهامه سبحانه وتعالى لا إله إلا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القرآن والسنة. لا كما قال القدرية وغيرهم من أن الأعمال إلينا، والآجال بيد غيرنا.

قال أبو ذر: «قدم وفد نجران على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا، فنزلت هذه الآيات إلى قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ فقالوا يا محمد: يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ فقال: أنتم خصماء الله يوم القيامة» .

فصل

روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون لقدر الله، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم» أخرجه ابن ماجه في سننه. وخرج أيضا عن ابن عباس وجابر قالا: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب أهل الإرجاء والقدر» .

قوله: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ أي إلا كلمة واحدة وهو قوله «كن» . «كلمح بالبصر» أي قضائي في

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/١٧٤

خلقي أسرع من لمح البصر. **واللمح: النظر بالعجلة** يقال: لمح البرق ببصره؛ وفي الصحاح: لمحه وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم اللمحة، ولمح البرق والنجم لمحا، أي لمع.

قال البغوي: قوله «واحدة» يرجع إلى المعنى دون اللفظ أي وما أمرنا إلا واحدة.

وقيل: معناه وأما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة كما تقدم، وهي رواية عطاء عن ابن عباس، وروى الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.

فصل

قال ابن الخطيب: إن الله تعالى إذا أراد شيئا قال له: كن فهناك شيئان الإرادة والقول، فالإرادة قدر، والقول قضاء، وقوله: «واحدة» يحتمل أمرين:." (١)

"ولهذا قال المفسرون: الاعتبار **هو النظر في** حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها.

وقوله عز وجل: ﴿يا أولي الأبصار﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أهل اللب والعقل والبصائر.

قال الفراء: أي من عاين تلك الوقائع والأبصار جمع البصر.

ومن جملة الاعتبار هنا أنهم اعتصموا بالحصون من الله، فأنزلهم الله - تعالى - منها، وسلط عليهم من كان ينصرهم، وأنهم هدموا أموالهم بأيديهم، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه.

واستدل الأصوليون بهذه الآية على وجوب العمل بالقياس.

وقوله تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ .

العامة: على مده وهو الإخراج.

يقال: أجليت القوم، وجلا هو جلاء.

وقال الماوردي: الجلاء أخص من الخروج؛ لأنه لا يقال إلا لجماعة، والإخراج يكون للجماعة والواحد.

وقال غيره: الفرق بينهما أن الجلاء كان مع الأهل والولد، بخلاف الإخراج فإنه لا يستلزم ذلك.

وقرأ الحسن وعلي ابنا صالح: «الجلا» بألف فقط.

وطلحة: مهموزا من غير ألف ك «النبأ» .

والمعنى: أنه لولا أنه قضى أنه سيجليهم عن ديارهم، وأنه يبقون مدة، فيؤمن بعضهم ويولد لهم من يؤمن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٤/١٨

﴿لعذبهم في الدنيا﴾ أي: بالقتل كما فعل بإخوانهم «بني قريظة» ، والجلاء مفارقة الوطن يقال: جلا بنفسه جلاء، وأجلاه غيره إجلاء.

وأما قوله: ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ ، فهو كلام مبتدأ غير معطوف على ما قبله، إذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم ألا يوجد؛ لأن «لولا» تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط.." (١)

"٤٧٩٢ - شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليط فالتأم الفطور

قوله: «ينقلب» .

العامة: على جزمه على جواب الأمر.

والكسائي في رواية برفعه. وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون حالا مقدرة.

والثاني: أنه على حذف الفاء، أي: فينقلب.

و «خاسئا» حال وقوله: «وهو حسير» حال، إما من صاحب الأولى، وإما من الضمير المستتر في الحال قبلها، فتكون متداخلة. وقد تقدمتا «خاسئا» و «حسير» في «المؤمنين» و «الأنبياء» .

فصل في تفسير الآية

لما قال: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ كأنه قال بعده: ولعلك لا تحكم بمقتضى **ذلك البصر الواحد**، ولا يعتمد عليه لاحتمال وقوع الغلط في النظرة الواحدة، ولكن ارجع البصر، **واردد النظر مرة** أخرى، حتى يتيقن لك أنه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ألبتة.

قال القرطبي: أمر أن ينظر في خلقه ليعتبروا به، ويتفكروا في قدرته، فقال: **﴿فارجع البصر هل** ترى من فطور﴾ أي: اردد طرفك إلى السماء، ويقال: قلب بصره في السماء، ويقال: اجتهد بالنظر إلى السماء، والمعنى متقارب، وإنما قال: «فارجع» - بالفاء - وليس قبله فعل مذكور؛ لأنه قال: «ما ترى» والمعنى: انظر، ثم **ارجع البصر هل** ترى من فطور، قاله قتادة.

قال مجاهد والضحاك: و «الفطور» الشقوق.

وقال قتادة: من خلل.

وقال السدي: من خروق.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٦٨/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣١/١٩

"قال الكسائي؛ يقال: فقع لونها يفقع فقوعا، إذا خلصت صفرته، والإفقاع: سوء الحال، وفواقع الدهر: بوائقه، وفقع بأصابعه: إ ذا صوت، ومنه حديث أبن عباس: «نهى عن التفقيع في الصلاة» ، وهي الفرقعة، هي غمز الأصابع حتى تنقض، قاله القرطبي.

واختلفوا هل كانت جميعها صفراء حتى قرونها وأظلآفها، أو الصفرة المعتادة؟ قولان. وفي قوله «فاقع» لطيفة، وهي أنه وصفها باسم الفاعل الذي هو نعت للدوام والاستمرار. يعني: في الماضي والمستقبل.

وفي قوله: «تسر» لطيفة، وهي أنه أتى بصيغة المضارع وهو يقتضي التجدد والحدوث، بخلاف الماضي.

وفي قوله: «الناظرين» آية لطيفة، وهي أنه أتى بصيغة الجمع المحلى بالألف واللام، ليعم كل ناضر منفردين ومجتمعين.

وقيل: المراد بالنظر **نظر البصر للمرء** والمرأة أو المراد **به النظر بعين** اليقين، وهو التفكر في المخلوقات.

قوله: ﴿تسر الناظرين﴾ جلمة في محل رفع صفة ل «بقرة» أيضا، وقد تقدم أنه يجوز أن تكون خبرا عن «لونها» بالتأويلين المذكورين.

و «السرور» لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه، ومنه [السرير] الذي يجلس عليه إذا كان لأولي النعمة، وسرير الميت تشبيها به في الصورة وتفاؤلا بذلك.

قوله: ﴿ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ تقرير للسؤال عن حالها وصفتها، واستكشاف زائد، ليزدادوا بيانا لوصفها، وفي مصحف عبد الله: «سل لنا ربك يبين لنا ما هي؟ وما صفتها» .

قوله: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ البقر: اسم إن، وهو اسم جنس كما تقدم.

وقرأ محمد ذو الشامة الأموي: «إن الباقر» وهو جمع البقر ك «الجامل» جماعة الجمل؛ قال الشاعر: [الكامل]

٥٨٤ - مالي رأيتك بعد عهدك موحشا ... خلقا كحوض الباقر المتهدم." (١)

"الأول: وعليه الأكثرون: أن فائدته إبطال ما كان عليه الجاهلية من أنهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيل القاتل، ففائدة التخصيص زجرهم عن ذلك، وللقائلين بالقول الأول: أن يقولوا: قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ يمنع من جواز قتل الحر بالعبد، لأن القصاص عبارة عن المساواة، وقتل الحر بالعبد لم يحصل فيه رعاية المساواة، لأنه زائدة عليه في الشرف، وفي أهلية القضاء، والإمامة، والشهادة؛ فوجب ألا يشرع، أقصى ما في الباب أنه ترك العمل بهذا النص في قتل العالم بالجاهل، والشريف

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٤/٢

بالخسيس بالإجماع إلا أنه يبقى في غير محل الإجماع على الأصل، ثم إن سلمنا أن قوله ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ يوجب قتل الحر بالعبد، إلا أنا بينا أن قوله: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد﴾ يمنع من جواز قتل الحر بالعبد؛ لأن هذا خاص، وما قبله عام، والخاص مقدم على العام، ولا سيما إذا كان الخاص متصلا بالعام في اللفظ، فإنه يكون بمنزلة الاستثناء، ولا شك في وجوب تقديمة على العام.

الوجه الثاني: من بيان فائدة التخصيص: نقله محمد بن جرير، عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – والحسن البصر: أن هذه الصور هي التي يكتفي فيها بالقصاص، بل لا بد من التراجع، إلا أن أكثر المحققين زعم أن هذا النقل لم يصح عن علي – رضي الله عنه – وهو أيضا ضعيف **عند النظر لأنه** قد ثبت أن الجماعة تقتل بالواحد، ولا تراجع، فكذلك يقتل الذكر بالأنثى، ولا تراجع.

قوله «فمن عفي» يجوز في «من» وجهان:

أحدهما: أن تكون شرطية.

والثاني: أن تكون موصولة، وعلى كلا التقديرين، فموضعها رفع بالابتداء؛ وعلى الأول: يكون «عفي» في محل جزم بالشرط؛ وعلى الثاني: لا محل له، وتكون الفاء واجبة في قوله: «فاتباع» على الأول، ومحلها وما بعدها الجزم وجائزة في الثاني، ومحلها وما بعدها الرفع على الخبر، والظاهر أن «من» هو القاتل، والضمير في «له وأخيه» عائد على «من» و «شيء» هو القائم مقام الفاعل، والمراد به المصدر، وبني «عفي» للمفعول، وإن كان قاصرا؛ لأن القاصر يتعدى للمصدر؛ كقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ [الحاقة: ١٣] ، والأخ هو المقتول، أو ولي الدم، وسماه أخا للقاتل؛ استعطافا عليه، وهذا المصدر القائم مقام الفاعل المراد به الدم المعفو عنه، و «عفي» يتعدى إلى الجاني، وإلى الجناية ب «عن» ؛ تقول: «عفوت عن زيد، وعفوت عن ذنب زيد» فإذا عدي إليهما معا، تعدى إلى الجاني ب «اللام» ، وإلى الجناية ب «عن» ؛ تقول «عفوت لزيد عن ذنبه» ، والآية من هذا الباب، أي: «فمن عفي له عن جنايته» وقيل: «من» هو ولي أي من جعل له من دم أخيه بدل الدم، وهو القصاص، أو الدية،." (١)

"الأأول: بمعنى «ما» كهذه الآية، وقوله: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف: ٥٣] .

الثاني: بمعنى «قد» كقوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان: ١] أي: قد أتى، وقوله: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ [ص: ٢١] و ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ [الغاشية: ١] ، أي: قد أتاك.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٢٢٠

والثالث: بمعنى «ألا» قال تعالى: ﴿هل أدلكم﴾ [طه: ٤٠] أي: ألا أدلكم، ومثله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: ألا أنبئكم.

الرابع: بمعنى الاستفهام، قال تعالى: ﴿هل من شركآئكم من يفعل﴾ [الروم: ٤٠] .

و «ينظرون» هنا بمعنى ينتظرون، وهو معدى بنفسه، قال امرؤ القيس: [الطويل]

١٠٢٨ - فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر ينفعني لدى أم جندب

وليس المراد هنا بالنظر تردد العين؛ لأن المعنى ليس عليه؛ واستدل بعضهم على ذلك بأن النظر بمعنى البصر يتعدى ب «لى» ، ويضاف إلى الوجه، وفي الآية الكريمة متعد بنفسه، وليس مضافا إلى الوجه، ويعني بإضافته إلى الوجه قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فيكون بمعنى الانتظار، وهذا ليس بشيء، أما قوله: إن الذي بمعنى البصر يتعدى ب «إلى» فمسلم، وقوله: «وهو هنا متعد بنفسه» ممنوع، إذ يحتمل أن يكون حرف الجر وهو «إلى» محذوفا؛ لأنه يطرد حذفه مع «أن» و «أن» ، إذا لم يكن لبس، وأما قوله: «يضاف إلى الوجه» ، فممنوع أيضا، إذ قد جاء مضافا للذات؛ قال تعالى: ﴿أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل﴾ [الغاشية: ١٧] . والضمير في «ينظرون» عائد على المخاطبين بقوله: «زللتم» فهو التفات.

قوله: ﴿إلا أن يأتيهم﴾ هذا مفعول «ينظرون» وهو استثناء مفرغ، أي: ما ينظرون إلا إتيان الله.

والمعنى ما ينظرون، يعني التاركون الدخول في السلم.

قوله تعالى: «في ظلل» فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن يتعلق بيأتيهم، والمعنى: يأتيهم أمره أو قدرته أو عقابه أو نحو ذلك، أو يكون كناية عن الانتقام، إذ الإتيان يمتنع إسناده إلى الله تعالى حقيقة.

والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال، وفي صاحبها وجهان:

أحدهما: هو مفعول يتيهم، أي: في حال كونهم مستقرين في ظلل، وهذا حقيقة.." (١)

"أحدهما: أنها البصرية، ويؤيد ذلك تأكيده بالمصدر المؤكد، وهو قوله: «رأي العين» .

قال الزمخشري: «رؤية ظاهرة مكشوفة، لا لبس فيها» ؛ لأن الإدراك عند المعتزلة واجب الحصول عند اجتماع الشرائط، وسلامة الحاسة، ولهذا اعتذر القاضي عن هذا الموضع [بوجوه] :

أحدها: أن عند الاشتغال بالمحاربة لا يتفرغ الإنسان لأن يدير حدقته حول العسكر، وينظر إليهم على

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٤٨١

سبيل التأمل

وثانيها: أنه قد يحصل من الغبار ما يمنع من إدراك البعض.

وثالثها: يجوز أن يقال: إن الله تعالى خلق في الهواء ما منع من إدراك ثلث العسكر، [فعلى هذا] ، يتعدى لواحد، ومثليهم نصب على الحال.

الثاني: أنها من رؤية القلب، فعلى هذا يكون «مثليهم» مفعولا ثانيا، وقد رده أبو البقاء فقال: ولا يجوز أن تكون الرؤية من رؤية القلب - على كل الأقوال - لوجهين: أحدهما: قوله: «رأي العين» .

الثاني: أن رؤية القلب علم، ومحال أن يعلم الشيء شيئين.

وأجيب عن [الوجه] الأول بأن انتصابه انتصاب المصدر التشبيهي، أي: رأيا مثل رأي العين، أي: يشبه رأي العين، فليس إياه على التحقيق، وعن الثاني بأن الرؤية هنا يراد بها الاعتقاد، فلا يلزم المحال المذكور، وإذا كانوا قد أطلقوا العلم - في اللغة - على الاعتقاد - دون اليقين - فلأن يطلقوا عليه الرأي أولى وأحرى. ومن إطلاق العلم على الاعتقاد قوله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ [الممتحنة: ١٠] ؛ إذ لا سبيل إلى العلم اليقيني في ذلك؛ إذ لا يعلم ذلك إلا الله تعالى، فالمعنى: فإن اعتقدتموهن، والاعتقاد قد يكون صحيحا، وقد يكون فاسدا، ويدل على هذا التأويل قراءة من قرأ «ترونهم» - بالتاء والياء مبنيا للمفعول - ؛ لأن قولهم: أرى كذا - بضم الهمزة - يكون فيما عند المتكلم فيه شك وتخمين، لا يقين وعلم، فلما كان اعتقاد التضعيف في جمع الكفار، أو في جمع المؤمنين تضمينا وظنا؛ لا يقينا دخل الكلام ضرب من الشك، وأيضا - كما يستحيل حمل الرؤية هنا على العلم - يستحيل أيضا حملها على رؤية البصر بعين ما ذكرتم من المحال، وذلك كما أنه لا يقع العلم غير مطابق للمعلوم، كذلك لا يقع النظر البصري غير مطابق لذلك الشيء المبصر المنظور إليه، فكان المراد التخمين والظن، لا اليقين والعلم، كذا قيل، وفيه نظر؛ لأنا لا نسلم." (١)

"أن البصر لا يخالف المبصر؛ لجواز أن يحصل خلل في البصر، وسوء في النظر، فيتخيل الباصر الشيئ شيئين فأكثر، وبالعكس.

احتج من قال: إن الرائي هو المشركون بوجوه: الأول: أن تعلق الفعل بالفاعل أشد من تعلقه بالمعفول، فجعل أقرب المذكورين السابقين فاعلا وأبعدهما مفعولا أولى من العكس، وأقرب المذكورين هو قوله: ﴿كافرة يرونهم﴾ .

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٦٦

الثاني: مقدم الآية – وهو قوله ﴿قد كان لكم آية﴾ خطاب مع الكفار، فقراءة نافع – بالتاء – تكون خطابا مع أولئك الكفار، والمعنى: ترون يا مشركي قريش المسلمين مثليهم، فهذه القراءة لا تساعد غلا على كون الرائي مشركا.

الثالث: أن الله تعالى جعل هذه الحالة آية للكفار حتى تكون حجة عليهم، ولو كانت هذه الحالة حاصلة للمؤمن لم يصح جعلها حجة على الكافر.

واحتج من قال: الراءون هم المسلمون بأن الرائين لو كانوا هم المشركين لزم رؤية ما ليس بموجود وهو محال – ولو كان الراءون هم المؤمنين لزم أن لا يرى ما هو موجود، وهذا ليس بمحال فكان أولى، قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علنيا رجلا واحدا، ثم قللهم الله – أيضا – في أعينهم حتى رأوا عددا يسيرا أقل من أنفسهم، قال ابن مسعود: «حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلا منهم، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفا» .

فصل

وجه النظم أنه – تعالى – لما أنزل الآية المتقدمة في اليهود، وهي قوله: ﴿ستغلبون وتحشرون﴾ ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، أظهروا التمرد، وقالوا: لسنا أمثال قريش في الضعف، وقلة المعرفة بالقتال، بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما نغلب به كل من ينازعنا، فقال تعالى: إنكم – وإن كنتم [أغنياء] ، أقوياء، أرباب قدرة وعدة فإنكم – ستغلبون، ثم ذكر – تعالى – ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك، فقال: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا﴾ يعني واقعة بدر؛ فإن الكثرة والعدة كانت للكفار، والقلة وعدم السلاح من جانب المسلمين، ثم إن الله تعالى قهر الكفار، ونصر المسلمين، وهذا يدل على أن النصر بتأييد الله ونصره.." (١)

"شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء ... الآية [الروم: ٢٨] ثم وقفهم سبحانه على جحدهم بنعمته في تنبيهه لهم على مثل هذا من **مواضع النظر المؤدية** إلى الإيمان.

وقوله سبحانه: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا هذه أيضا آية تعديد نعم، «والأزواج» هنا: الزوجات، وقوله: من أنفسكم: يحتمل أن يريد خلقة حواء من نفس آدم، وهذا قول قتادة «١» والأظهر عندي أن يريد بقوله من أنفسكم، أي: من نوعكم كقوله: لقد جاءكم رسول من أنفسكم [التوبة: ١٢٨] ، وال حفدة: قال ابن عباس:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٦٧

هم أولاد البنين «٢» وقال الحسن: هم بنوك وبنو بنيك «٣» ، / وقال مجاهد: ال حفدة الأنصار والأعوان «٤» وقيل غير هذا، ولا خلاف أن معنى «الحفد» الخدمة والبر والمشي مسرعا في الطاعة ومنه في القنوت: «وإليك نسعى ونحفد» ، والحفدان أيضا: خبب فوق المشي.

وقوله سبحانه: فلا تضربوا لله الأمثال ... الآية: أي: لا تمثلوا لله الأمثال، وهو مأخوذ من قولك: هذا ضريب هذا، أي: مثيله، والضرب: النوع.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ٧٥ الى ٧٨]

ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٧٥) وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم (٧٦) ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا **كلمح البصر أو** هو أقرب إن الله على كل شيء قدير (٧٧) والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨)

وقوله تعالى: ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآية: الذي هو مثال في هذه الآية هو

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٦١٦) برقم: (٢١٧٦٢) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٤٠٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٣٣) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٦١٩) برقم: (٢١٧٩٧- ٢١٧٩٨) ، وذكره البغوي (٣/ ٧٧) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٤٠٨) ، وابن كثير (٢/ ٥٧٧) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٣٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم. [.....]

(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٦١٨) برقم: (٢١٧٨٣) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٤٠٨) ، وابن كثير (٢/ ٥٧٧) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٣٤) ، وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٦١٨) برقم: (٢١٧٨٧) ، وذكره البغوي (٣/ ٧٧) ، وابن عطية (٣/ ٤٠٨) ، وابن كثير (٢/ ٥٧٧) .." [1]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٤٣٤

"الذي يدخله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، انتهى، أخرجه «١» في «الموطإ» .

وقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أظهر ما في من أن تكون للتبعيض، لأن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض بخلاف الفروج إذ حفظها عام لها، والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وحفظ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لا يحل.

قلت: النواظر «٢» صوارم مشهورة فاغمدها في غمد الغض والحياء من نظر المولى وإلا جرحك بها عدو الهوى، لا ترسل **بريد النظر فيجلب** لقلبك رديء الفكر، **غض البصر يورث** القلب نورا، وإطلاقه يقدح في القلب نارا. انتهى من «الكلم الفارقية في الحكم الحقيقية» .

قال ابن العربي»

في «أحكامه» : قوله تعالى: ذلك أزكى لهم يريد: أطهر وأنمى، يعني: إذا غض بصره كان أطهر له من الذنوب وأنمى لعمله في الطاعة.

قال ابن العربي «٤» : ومن غض البصر: كف التطلع إلى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ٣٧ ب زهرة الحياة/ الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى [طه: ١٣١] . يريد ما عند الله تعالى، انتهى.

وقوله تعالى: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ... الآية: أمر الله تعالى النساء في هذه الآية **بغض البصر عن** كل ما يكره- من جهة **الشرع- النظر إليه**، وفي حديث أم سلمة قالت: كنت أنا وعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن أم مكتوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«احتجبن، فقلن: إنه أعمى! فقال صلى الله عليه وسلم: «أفعمياوان أنتما» «٥» ومن الكلام فيها كالتي قبلها.

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٢) كتاب «السلام» : باب جامع السلام حديث (٨) .

(٢) في ج: النظر.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٦٦) .

(٤) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٦٦) .

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٦٢) كتاب «اللباس» : باب قول الله تعالى: وقل للمؤمنات يغضضن من

أبصارهن حديث (٤١١٢) ، والترمذي (٥/ ٩٤) كتاب «الأدب» : باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال، حديث (٢٧٧٨) ، وأحمد (٦/ ٢٩٦) ، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٩٣) كتاب «عشرة النساء» : باب نظر-." (١)

"الجفون والغمز بالعين، أو النظرة التي تفهم معنى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم [لأصحابه في شأن رجل ارتد ثم جاء ليسلم: «هلا قام إليه رجل منكم حين تلكأت عنه، فضرب عنقه؟ فقالوا:
يا رسول الله، ألا أو مأت إلينا؟ فقال صلى الله عليه وسلم] «١» : ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين» «٢» ، وفي بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل/: أنا مرصاد الهمم أنا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون، وقال مجاهد: «خائنة الأعين» : **مسارقة النظر إلى** ما لا يجوز «٣» ، ثم قوى تعالى هذا الإخبار بقوله: وما تخفي الصدور مما لم يظهر على عين ولا غيرها، وأسند أبو بكر بن الخطيب عن مولى أم معبد الخزاعية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو: «اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» «٤» ، انتهى.
قال القشيري في: «التحبير» ومن علم اطلاع الحق- تعالى عليه- يكون مراقبا لربه وعلامته أن يكون محاسبا لنفسه، ومن لم تصح محاسبته، لم تصح مراقبته، وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر، فقال:
يستعين عليه بعلمه أن نظر الله إليه سابق على نظره إلى ما ينظر إليه، انتهى.
وقوله سبحانه: والله يقضي بالحق أي: يجازي الحسنة بعشر والسيئة بمثلها، وينصف المظلوم من الظالم إلى غير ذلك من أقضية الحق والعدل، والأصنام لا تقضي بشيء، ولا تنفذ أمرا، ويدعون معناه: يعبدون.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٢١ الى ٢٥]
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (٢١) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب (٢٢) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٢٣) إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب (٢٤) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال (٢٥)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/ ١٨٢

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ١٠٥) كتاب «تحريم الدم» باب: الحكم في المرتد برقم: (٤٠٦٧) ، والحاكم (٢/ ٥٤) ، والدارقطني (٣/ ٥٩) ، والبيهقي (٨/ ٢٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠) برقم: (٣٠٣١٧) ، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٥) ، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٣) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٣) ، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٨) ، وذكره الهندي في «كنز العمال» (٢/ ١٨٤) (٣٦٦٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٤٩) ، وعزاه إلى الحكيم الترمذي.." [(١)]

"الدنيا «١» ، قال القرطبي «٢» : وقال السدي: (أحسنكم عملا) ، أي: أكثركم للموت ذكرا، وله أحسن استعدادا، ومنه أشد خوفا وحذرا، انتهى من «التذكرة» ، ولله در القائل: [الطويل]

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى ... عن الشغل باللذات للمرء زاجر

أبعد اقتراب الأربعين تربص ... وشيب فذاك منذر لك ذاعر

فكم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوال دواثر

وأنت على الدنيا مكب منافس ... لخطابها فيها حريص مكاثر

على خطر تمسي وتصبح لاهيا ... أتدري بماذا لو عقلت تخاطر

وإن امرأ يسعى لدنياه جاهدا ... ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

كأنك مغتر بما أنت صائر ... لنفسك عمدا أو عن الرشد جائر

فجد ولا تغفل فعيشك زائل ... وأنت إلى دار المنية صائر

ولا تطلب الدنيا فإن طلابها ... وإن نلت منها ثروة لك ضائر

وكيف يلذ العيش من هو موقن ... بموقف عدل يوم «٣» تبلى السرائر

لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت ... لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

انتهى،، وطباقا قال الزجاج: هو مصدر، وقيل: جمع طبقة، أو جمع طبق، والمعنى: بعضها فوق بعض، وقال إبان بن ثعلب: سمعت أعرابيا يذم رجلا فقال: شره طباق/ وخيره غير باق، وما ذكره بعض المفسرين

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١١٠/٥

في السموات من أن بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا، ضعيف لم يثبت بذلك حديث.
وقوله سبحانه: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت معناه من قلة تناسب، ومن خروج عن إتقان، قال بعض العلماء: خلق الرحمن، معني به السموات وإياها أراد بقوله:
هل ترى من فطور وبقوله: ينقلب **إليك البصر ..** الآية، وقال آخرون: بل يعني به جميع ما خلق سبحانه من الأشياء فإنها لا تفاوت فيها، ولا فطور جارية على غير إتقان، قال منذر بن سعيد: أمر الله تعالى بالنظر إلى السماء وخلقها، ثم أمر بتكرير النظر، وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خللا أو نقصا فإن بصره ينقلب خاسئا

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٦٩) عن الحسن.
(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٣٥) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٢) ، وعزاه لابن أبي الدنيا، والبيهقي في «شعب الإيمان» .
(٣) في د: حين.." [1]

"﴿لا تدركه **الابصار﴾ البصر حاسة النظر وقد** تطلق على العين من حيث أنها محلها وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كانت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الإطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة ﴿وهو يدرك الابصار﴾ أي يحيط بها علمه إذ لا تخفى عليه خافية ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ فيدركه ما لا تدركه الأبصار ويجوز أن يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة االف أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستفادا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى." [2]
"ثم قال تعالى: وهو يدرك الأبصار أي: يحيط علمه بها إذ لا تخفى عليه خافية، وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الأبصار، ويجوز أن يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريق اللف، أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مقابلا للكثيف، لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها. قاله البيضاوي وأبو السعود.

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٥٧/٥
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٧٠/٣

الإشارة: اعلم أن الحق جل جلاله قد تجلى لعباده في مظاهر الأكوان، لكنه لحكمته وقدرته، قد تجلى بين الضدين، بين الأنوار والأسرار، بين الحس والمعنى، بين مظهر الربوبية وقالب العبودية. فالأنوار ما ظهر من الأواني، والأسرار ما خفي من المعاني، فالحس ما يدرك بحاسة البصر، والمعنى ما يدرك بالبصيرة. فالحس رداء للمعنى، فمن فتح الله بصيرته استولى نور بصيرته على نور بصره، فأدرك المعاني خلف رقة الأواني، فلم تحجبه الأواني عن المعاني، بل تمتحق في حقه الأواني، ولا يرى حينئذ إلا المعاني. لذلك قال الحلاج، لما سئل عن المعرفة، قال: (استهلاك الحس في المعنى) ، فإذا فني العبد عن شهود حسه بشهود معناه، غاب وجوده في وجود معبوده، فشاهد الحق بالحق. فالعارفون لما فنوا عن أنفسهم، لا يقع بصرهم إلا على المعاني، فهم يشاهدون الحق عيانا. ولذلك قال شاعرهم:

مذ عرفت الإله لم أر غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال في الحكم: «ما حجبك عن الحق وجود موجود معه إذ لا شيء معه، وإنما حجبك توهم موجود معه» .

وقوله تعالى: لا تدركه الأبصار أي: الأبصار الحادثة، وإنما تدركه الأبصار القديمة في مقام الفناء. وقال الورتجبي: لا تدركه الأبصار، إلا بأبصار مستفادة، من أبصار جلاله، وكيف يدركه الحدثان؟ ووجود الكون عند ظهور سطوات عظمته عدم. هـ. أو لا تحيط به، إذ الإحاطة بكنه الربوبية متعذرة. وعلى هذا حمل الآية في نوادر الأصول، قال: إدراك الهوية ممتنع، وإنما يقع التجلي بصفة من صفاته.

وقال ابن عبد الملك في شرح مشارق الصغاني، ناقلا عن المشايخ: إنما يتجلى الله لأهل الجنة، ويريهم ذاته تعالى، في حجاب صفاته، لأنهم لا يطيقون أن يروا ذاته بلا حجاب مرتبة من مراتب الصفات. وقال الورتجبي:

التجلي لا يكون بكلية الذات، ولا بكلية الصفات، وإنما يكون على قدر الطاقات، فيستحيل أن يقال: تجلى كل الهوى لذرة واحدة، وإنما يتجلى لها على قدرها. هـ.

وتتفاوت الناس في **لذة النظر يوم** القيامة على قدر معرفتهم في الدنيا، وتدوم لهم النظرة على قدر استغراقهم هنا، فمن كان هنا محجوبا لا يرى إلا الحس، كان يوم القيامة كذلك، إلا في وقت مخصوص، يغيبه الحق تعالى." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٥٣/٢

"على القلوب والتصميم على الكفر، بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر، وقيل: هو متعلق بقوله: وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب، فما لهم لا يبادرون بالإيمان بالقرآن، وماذا ينتظرون بعد وضوحه؟ وإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به؟! .. قاله البيضاوي.
ثم بين أن أمرهم بيده، فقال: من يضلل الله فلا هادي له أصلا، ولا يقدر أحد عليه، ونذرهم «١» في طغيانهم يعمهون: يتحيرون. ومن قرأ بالياء فمناسب لقوله: (من يضلل) ، ومن جزمه فعطف على محل: (فلا هادي له) لأنه جواب الشرط.
الإشارة: قد أرشد الحق- تعالى- عباده إلى التفكر والاعتبار، وقد تقدم الكلام عليه في «آل عمران» ، وقد علم هنا أهل الاستدلال كيفيته وهو أن ينظر الإنسان في آمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ظهر على يديه من المعجزات وخوارق العادات، وأعظمها القرآن العظيم، ثم ما أتى به من العلوم اللدنية والأسرار الربانية، وما نطق به من الحكم العجيبة، وما أخبر به من قصص الأمم الدارسة والشرائع المتقدمة، مع كونه أميا لم يقرأ ولم يكتب، ولم يجالس أحدا ممن له خبرة بذلك، فتطلع عليه شمس المعرفة به حتى لا يخالطه وهم، ولا يخطر بساحته خاطر سوء، ثم يتفكر في عجائب ملكوت السموات والأرض، وما اشتملتا عليه من ضروب المصنوعات، وعجائب المخلوقات، فيتحقق بوجود الصانع القادر على كل شيء، هذا إن لم يجد شيخا يخرجه من سجن الدليل، وإن وجده استغنى عن هذا بإشراق شمس العرفان، والخروج إلى فضاء الشهود والعيان.
ثم ذكر أمر الساعة، التي خوفهم بها بقوله: وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٨٧]
يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٨٧)
قلت: إنما سميت القيامة ساعة: لسرعة حسابها، أو وقوعها، لقوله: وما أمر الساعة إلا **كلمح البصر أو** هو أقرب.

---
(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وابو جعفر (نذرهم) بنون العظمة ورفع الراء على الاستئناف، وقرأ أبو عمرو

وعاصم ويعقوب بالياء على الغيبة ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء عطفا على محل قوله تعالى فلا هادي له راجع الإتحاف (٢/ ٧٠) .." (١)

"الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما أدى إليها من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك. وعن أبي عبيد: «ما قرعت بابا على عالم قط» . فالرجوع هو أزكى لكم أي: أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة، والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة. والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه، فيجازيكم عليه. وهو وعيد للمخاطبين.

ليس عليكم جناح في أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة أي: غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة، بل يتمتع بها من يضطر إليها، من غير أن يتخذها مسكنا كالربط، والخانات، والحمامات، وحوانيت التجار. فيها متاع لكم أي: منفعة كاستكنان من الحر والبرد، وإيواء الرجال والسلع، والشراء والبيع، والاغتسال، وغير ذلك، فلا بأس بدخولها بغير استئذان. روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إن الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان، وإنا لنختلف في تجارتنا إلى هذه الخانات، فلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت «١» . وقيل: هي الخرابات، يتبرز فيها، ويقضون فيها حاجتهم من البول وغيره، والظاهر: أنها من جملة ما ينتظم في البيوت، لا أنها المرادة فقط. والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات. والله تعالى أعلم.

الإشارة: التصوف كله آداب، حتى قال بعضهم: اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا. فيتأدبون بالسنة في حركاتهم وسكناتهم، ودخولهم وخروجهم، فهم أولى بالأدب، فيستأذنون كما أمر الله عند دخول منزلهم برفع صوتهم بذكر الله، أو بالتسبيح، أو بالسلام قبل الدخول. وكذا عند دخول منزل غيرهم، أو منزل بعضهم بعضا. وأما مع الشيخ: فالأدب هو الصبر حتى يخرج، تأدبا بقوله تعالى: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم «٢» ، فلا يقرعون بابه، ولا يطلبون خروجه إلا لضرورة فادحة.

ولما كان الاستئذان إنما شرع من أجل النظر، أمر بغض البصر، فقال:

[سورة النور (٢٤) : آية ٣٠]

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٨٩/٢

(١) ذكره الواحدي فى أسباب النزول، (ص ٣٣٤) ، ونسبه للمفسرين. وعزاه الآلوسى فى تفسيره (٩/ ١٣٧) لابن أبى حاتم عن مقاتل.
(٢) الآية ٥ من سورة الحجرات.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: قل للمؤمنين، ويندرج فيهم المستأذنون بعد دخولهم البيوت اندراجا أوليا، أي: قل لهم: يغضوا من أبصارهم، و «من» : للتبعيض، والمراد: غض البصر عما يحرم، والاقتصار على ما يحل. ووجه المرأة وكفاها ليس بعورة، إلا خوف الفتنة، فيحل للرجل الصالح أن يرى وجه الأجنبية بغير شهوة. وفي الموطأ: هل تأكل المرأة مع غير ذي محرم، أو مع غلامها؟ قال مالك: لا بأس بذلك، على وجه ما يعرف للمرأة أن تأكل معه من الرجال، وقد تأكل المرأة مع زوجها ومع غيره ممن يؤاكله. هـ. وقال ابن القطان: فيه إباحة إبداء المرأة وجهها ويديها للأجنبي، إذ لا يتصور الأكل إلا هكذا، وقد أبقاه الباجي على ظاهره، وقال عياض: ليس بواجب أن تستر المرأة وجهها، وإنما ذلك استحباب أو سنة لها، وعلى الرجل غض بصره. ثم قال في الإكمال: ولا خلاف أن فرض ستر الوجه مما اختص به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. هـ.

وقل رهم أيضا: يحفظوا فروجهم، إلا على أزواجهم، أو ما ملكت إيمانهم، وتقييد الغض بمن التبعيضية، دون حفظ الفروج لما في النظر من السعة، فيجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفيها وقدميها، وإلى رأس المحارم والصدور والساقين والعضدين. قاله النسفي. قلت: ومذهب مالك: حرمة نظر الساقين والعضدين من المحرم، فإن تعذر التحرر منه، كشغل البنات في الدار، باديات الأرجل، فليتمسك بقول الحنفي، إن لم يقدر على غض بصره. قاله شيخنا الجنوي.

ذلك أزكى لهم أي: أطهر لهم من دنس الإثم أو الريبة، إن الله خبير بما يصنعون، وفيه ترغيب وترهيب، يعني: أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم، فكيف يجيلون أبصارهم، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟! فعليهم، إذا عرفوا ذلك، أن يكونوا منه على حذر.." (٢)

"[سورة النور (٢٤) : آية ٣١]

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٩/٤
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠/٤

أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن بالتستر والتصون عن الزنا، فلا تنظر إلى ما لا يحل **لهن النظر إليه** من عورات الرجال والنساء، وهي من الرجل: ما عدا الوجه والأطراف، ومن النساء: ما بين السرة والركبة، فلا يحل للمرأة أن تنظر إلى الرجل ما سوى الوجه والأطراف، أو بشهوة. وقيل: إن حصل الأمن من الشهوة جاز، وعليه يحمل نظر عائشة إلى الحبشة.

ويحفظن فروجهن من الزنا والمساحقة. وإنما قدم **غض البصر على** حفظ الفروج **لأن النظر بريد** الزنا، ورائد الفجور، فبذر الهوى طموح العين. ولا يبدين زينتهن كالحلي، والكحل، والخضاب، والمراد بالزينة: مواضعها، فلا يحل للمرأة أن تظهر مواضع الزينة، كانت متحلية بها أم لا، وهي: الرأس، والأذن، والعنق، والصدر، والعضدان، والذراع، والساق. والزينة هي: الإكليل، والقرط، والقلادة، والوشاح، والدملج، والسوار، والخلخال. إلا ما ظهر منها إلا ما جرت العادة بإظهارها، وهو الوجه والكفان، إلا لخوف الفتنة، زاد أبو حنيفة: والقدمين، ففي ستر هذه حرج فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات، وظهور قدميها، ولا سيما الفقيرات منهن. قاله النسفي.

وليضربن بخمرهن على جيوبهن أي: وليضعن خمرهن، جمع خمار، وهو ما يستر الرأس، على جيوبهن، وهو شق القميص من ناحية الصدر، وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن، فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن، وكانت واسعة، يبدو منها صدورهن وما حواليها، فأمرن بإسدال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها. وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء والوضع، فعدي بعلى.

ولا يبدين زينتهن أي: مواضع الزينة الباطنة كالصدر، والرأس، ونحوهما، كرره: ليستثني منه ما رخص فيه، وهو قوله: إلا لبعولتهن لأزواجهن، فإنهم المقصودون بالزينة. ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج، أو آبائهن، ويدخل فيهم الأجداد، أو آباء بعولتهن فقد صاروا محارم، أو أبنائهن، ويدخل فيهم الأحفاد، أو أبناء بعولتهن لأنهم صاروا محارم أيضا، أو إخوانهن الشقائق." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣١/٤

"الإشارة: **غض البصر عما** تكره رؤيته: من أسباب جمع القلب على الله وتربية الإيمان. وفي الحديث: «من غض بصره عن محارم الله، عوضه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه» «١» . وفي إرسال البصر: من تشتيت القلب، وتفريق الهم، ما لا يخفى، وفي ذلك يقول الشاعر:

وإنك، إن أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك، يوما، أتعبتك المناظر

ترى، ما لا كله أنت قادر ... عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

فالعباد والزهاد يغضون بصرهم عن بهجة الدنيا، والعارفون يغضون بصرهم عن رؤية السوى، فلا يرون إلا تجليات المولى. قال الشبلي: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي: أبصار الرؤوس عن المحارم، وأبصار القلوب عما سوى الله. هـ.

وقوله تعالى: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، قال بعضهم: لا يجوز كل ما يستدعي فتنة للغير من إظهار حال مع الله، مما هو زينة السريرة، فلا يظهر شيئا من ذلك إلا لأهله، إلا إذا ظهر عليه شيء من غير إظهار منه، ولا قصد غير صالح. هـ. فلا يجوز إظهار العلوم التي يفتتن بها الناس من حقائق أسرار التوحيد، ولا من الأحوال التي تنكرها الشريعة، فيوقع الناس في غيبته. وأما قضية لص الحمام «٢» فحال غالبة لا يقتدى بها. والله تعالى أعلم.

ثم أمر بالتوبة **لأن النظر لا** يسلم منه أحد في الغالب، فقال:

وتوبوا إلى الله ...

يقول الحق جل جلاله: وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون إذ لا يكاد يخلو أحدكم من تفريط، ولا سيما في الكف عن الشهوات، وقيل: توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية، فإنه، وإن جب بالإسلام، لكن يجب الندم عليه، والعزم على الكف عنه، كلما يتذكر، ويخطر بالبال. وفي تكرير الخطاب بقوله: أيها المؤمنون: تأكيد للإيجاب، وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال، حتما. قيل: أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس

---

(١) ورد «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه» أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤) عن أبى أمامة رضي الله عنه.

وأخرج الحاكم (٤/ ٣١٤) عن ابن مسعود مرفوعا: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من

مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه» .

(٢) راجع قصة لص الحمام عند التعليق على إشارة الآية ٢٦٧ من سورة البقرة. (١/ ٣٠١)." [(١)]

"المرأة فرارا منه ؛ فعادت النتيجة في حافرتها على أن خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين ؛ لأن المرأة متاع، هو خير متاع الدنيا، وهو أشد أمتعة الدنيا تعرضا للخيانة.

لأن العين الخائنة إذا نظرت إلى شيء من محاسنها فقد استغلت بعض منافع ذلك الجمال خيانة ومكرا. فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه ما لا يخفى على أدنى عاقل، وكذلك إذا لمس شيئا من بدنها بدن خائن سرت لذة ذلك اللمس في دمه ولحمه بطبيعة الغريزة الإنسانية، ولا سيما إذا كان القلب فارغا من خشية الله تعالى، فاستغل نعمة ذلك البدن خيانة وغدرا، وتحريك الغرائز بمثل **ذلك النظر واللمس** يكون غالبا سببا لما هو شر منه. كما هو مشاهد بكثرة في البلاد التي تخلت عن تعاليم الإسلام، وتركت الصيانة. فصارت نساؤها يخرجن متبرجات عاريات الأجسام إلا ما شاء الله. لأن الله نزع من رجالها صفة الرجولة والغيرة على حريمهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نعوذ بالله من مسخ الضمير والذوق، ومن كل سوء، ودعوى الجهلة السفلة: أن دوام خروج النساء بادية الرءوس والأعناق والمعاصم، والأذرع والسوق، ونحو ذلك يذهب إثارة غرائز الرجال ؛ لأن كثرة الإمساس تذهب الإحساس ؛ كلام في غاية السقوط والخسة ؛ لأن معناه: إشباع الرغبة مما لا يجوز، حتى يزول الأرب منه بكثرة مزاولته، وهذا كما ترى. ولأن الدوام لا يذهب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء ؛ لأن الرجل يمكث مع امرأته سنين كثيرة حتى تلد أولادهما، ولا تزال ملامسته لها، ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته. كما هو مشاهد لا ينكره إلا مكابر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

وقد أمر رب السموات والأرض، خالق هذا الكون ومدبر شئونه، العالم بخفايا أموره وبكل ما كان وما سيكون **بغض البصر عما** لا يحل ؛ قال تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن. . . الآية [٢٤ \ ٣٠، ٣١] .

ونهى المرأة أن تضرب برجلها لتسمع الرجال صوت خلخالها في قوله: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣/٤

من زينتهن [٢٤ \ ٣١] ، ونهاهن عن لين الكلام، لئلا يطمع أهل الخنى فيهن، قال تعالى: فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض." (١)

"كالسواد والبياض، والحركة والسكون، أو المتضائفين كالأبوة والبنوة، والفوق والتحت، أو العدم والملكة كالبصر والعمى.

فإن الوجود والعدم لا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد من جهة واحدة، وكذلك الحركة والسكون مثلا، وكذلك الأبوة والبنوة، فكل ذات ثبتت لها الأبوة لذات استحالت عليها النبوة لها، بحيث يكون شخص أبا وابنا لشخص واحد، كاستحالة اجتماع السواد والبياض في نقطة بسيطة، أو الحركة والسكون في جرم، **وكذلك البصر والعمى** لا يجتمعان.

فخيلوا لهم أن التقدم والتمسك بالدين متباينان تباين مقابلة، بحيث يستحيل اجتماعهما، فكان من نتائج ذلك انحلالهم من الدين رغبة في التقدم، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

والتحقيق أن النسبة بين التقدم والتمسك بالدين بالنظر إلى العقل وحده، **وقطع النظر عن** نصوص الكتاب والسنة إنما هي تباين المخالفة، وضابط المتباينين تباين المخالفة أن تكون حقيقة كل منهما في حد ذاتها تباين حقيقة الآخر، ولكنهما يمكن اجتماعهما عقلا في ذات أخرى ؛ كالبياض والبرودة، والكلام والقعود، والسواد والحلاوة.

فحقيقة البياض في حد ذاتها تباين حقيقة البرودة، ولكن البياض والبرودة يمكن اجتماعها في ذات واحدة كالثلج، وكذلك الكلام والقعود فإن حقيقة الكلام تباين حقيقة القعود، مع إمكان أن يكون الشخص الواحد قاعدا متكلما في وقت واحد. وهكذا فالنسبة بين التمسك بالدين والتقدم بالنظر إلى حكم العقل من هذا القبيل، فكما أن الجرم الأبيض يجوز عقلا أن يكون باردا كالثلج، والإنسان القاعد يجوز عقلا أن يكون متكلما، فكذلك المتمسك بالدين يجوز عقلا أن يكون متقدما، إذ لا مانع في حكم العقل من كون المحافظ على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، مشتغلا في جميع الميادين التقدمية كما لا يخفى، وكما عرفه التاريخ للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بالنظر إلى نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى: ولينصرن الله من ينصره الآية [٢٢ \ ٤٠] وقوله: وكان

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٢٨

حقا علينا نصر المؤمنين [٣٠ \ ٤٧] ، وقوله: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون." (١)

"قوله تعالى: والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما [٣٣ \ ٣٥] ، وأوضح تأكيد حفظ الفرج عن الزنى في آيات أخر ؛ كقوله تعالى: ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا [١٧ \ ٣٢] ، وقوله تعالى: والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب الآية [٢٥ \ ٦٨ - ٧٠] ، إلى غير ذلك من الآيات، وأوضح لزوم حفظ الفرج عن اللواط، وبين أنه عدوان في آيات متعددة في قصة قوم لوط ؛ كقوله: أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون [٢٦ \ ١٦٥ - ١٦٦] ، وقوله تعالى: ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر [٢٩ \ ٢٨ - ٢٩] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا كلام أهل العلم وأدلتهم في عقوبة فاعل فاحشة اللواط في سورة «هود» ، وعقوبة الزاني في أول هذه السورة الكريمة.

واعلم أن الأمر بحفظ الفرج يتناول حفظه من انكشافه للناس، وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنى ؛ كما قال تعالى: والذين هم لفروجهم حافظون الآية [٢٣ \ ٥] ، وتارة يكون بحفظه **من النظر إليه** كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن «: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» ، اهـ منه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال الزمخشري في الكشاف: من للتبعيض والمراد **غض البصر عما** يحرم، والاقتصار به على ما يحل، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه، فإن قلت: كيف دخلت في **غض البصر دون** حفظ الفرج؟ قلت: دلالة على أن **أمر النظر أوسع**، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن، وصدورهن، وثديهن، وأعضادهن، وأسوقهن، وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات، والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين، وأما أمر

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٩/٣

الفرج فمضيق، وكفاك فرقا أن **أبيح النظر إلا** ما استثني منه، وحظر الجماع إلا ما استثني منه، ويجوز أن يراد مع حفظها من الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء.." (١)

"وعن ابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنى إلا هذا فإنه أراد به الاستتار، اهـ كلام الزمخشري.

وما نقل عن ابن زيد من أن المراد بحفظ الفرج في هذه الآية الاستتار فيه نظر، بل يدخل فيه دخولا أوليا حفظه من الزنى واللواط، ومن الأدلة على ذلك تقديمه الأمر **بغض البصر على** الأمر بحفظ الفرج ؛ **لأن النظر بريد** الزنى، كما سيأتي إيضاحه قريبا إن شاء الله تعالى، وما ذكر **جواز النظر إليه** من المحارم لا يخلو بعضه من نظر، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى وتفصيله في سورة «الأحزاب» ، كما وعدنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك، أنا نوضح مسألة الحجاب في سورة «الأحزاب» .

وقول الزمخشري: إن من في قوله: يغضوا من أبصارهم للتبعيض، قاله غيره، وقواه القرطبي بالأحاديث الواردة في أن نظرة الفجاءة لا حرج فيها، وعليه أن يغض بصره بعدها، ولا ينظر نظرا عمدا إلى ما لا يحل، وما ذكره الزمخشري عن الأخفش، وذكره القرطبي وغيرهما من أن من زائدة، لا يعول عليه. وقال القرطبي: وقيل الغض: النقصان، يقال: غض فلان من فلان، أي: وضع منه، فالبصر إذا لم يمكن من عمله، فهو موضوع منه ومنقوص، ف من صلة للغض، وليست للتبعيض، ولا للزيادة، اهـ منه.

والأظهر عندنا أن مادة الغض تتعدى إلى المفعول بنفسها وتتعدى إليه أيضا بالحرف الذي هو من ومثل ذلك كثير في كلام العرب، ومن أمثلة تعدي الغض للمعقول بنفسه قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقول عنترة:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

وقول الآخر:

وما كان غض الطرف منا سجية ... ولكننا في مذحج غربان

لأن قوله: غض الطرف مصدر مضاف إلى مفعوله بدون حرف.." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٥٠٧

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٥٠٨

"ومن أمثلة تعدي الغض بـ من قوله تعالى: يغضوا من أبصارهم ويغضضن من أبصارهن وما ذكره هنا من الأمر بغض البصر قد جاء في آية أخرى تهديد من لم يمتثله، ولم يغض بصره عن الحرام، وهي قوله تعالى: يعلم خائنة الأعين [٤٠ \ ١٩] .

وقد قال البخاري – رحمه الله -: وقال سعيد بن أبي الحسن، للحسن: إن نساء العجم يكشفن صدرهن ورءوسهن، قال: اصرف بصرك عنهن، يقول الله – عز وجل -: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال قتادة: عما لا يحل لهم، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن خائنة الأعين النظر إلى ما نهي عنه، اهـ محل الغرض منه بلفظه.

وبه تعلم أن قوله تعالى: يعلم خائنة الأعين فيه الوعيد لمن يخون بعينه بالنظر إلى ما لا يحل له، وهذا الذي دلت عليه الآيتان من الزجر عن النظر إلى ما لا يحل جاء موضحا في أحاديث كثيرة.

منها: ما ثبت في الصحيح، عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه -: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «: إياكم والجلوس بالطرقات» ، قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، قال «: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» ، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم -؟ قال «: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» ، انتهى، هذا لفظ البخاري في «صحيحه» .

ومنها ما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: أردف النبي – صلى الله عليه وسلم – الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلا وضيئا فوقف النبي – صلى الله عليه وسلم – للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، فالتفت النبي – صلى الله عليه وسلم – والفضل ينظر إليها، فأخلف بيده، فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها، الحديث.

ومحل الشاهد منه: أنه – صلى الله عليه وسلم – صرف وجه الفضل عن النظر إليها، فدل ذلك على أن نظره إليها لا يجوز، واستدلال من يرى أن للمرأة الكشف عن وجهها بحضرة الرجال الأجانب بكشف الخثعمية وجهها في هذا الحديث، سيأتي إن شاء الله الجواب عنه في." (١)

"الأمر الثاني: هو ما قدمنا من أن المرأة كلها عورة يجب عليها أن تحتجب، وإنما أمر بغض البصر خوف الوقوع في الفتنة، ولا شك أن مس البدن للبدن، أقوى في إثارة الغريزة، وأقوى داعيا إلى الفتنة من

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٥٠٩

النظر بالعين، وكل منصف يعلم صحة ذلك.

الأمر الثالث: أن ذلك ذريعة إلى التلذذ بالأجنبية، لقلة تقوى الله في هذا الزمان وضياع الأمانة، وعدم التورع عن الريبة، وقد أخبرنا مرارا أن بعض الأزواج من العوام، يقبل أخت امرأته بوضع الفم على الفم ويسمون ذلك التقبيل الحرام بالإجماع سلاما، فيقولون: سلم عليها، يعنون: قبلها، فالحق الذي لا شك فيه التباعد عن جميع الفتن والريب وأسبابها، ومن أكبرها لمس الرجل شيئا من بدن الأجنبية، والذريعة إلى الحرام يجب سدها ؛ كما أوضحناه في غير هذا الموضع، وإليه الإشارة بقول صاحب «مراقي السعود» :

سد الذرائع إلى المحرم ... حتم كفتحها إلى المنحتم

قوله تعالى: يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله. أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول للناس الذين يسألونه عن الساعة: إنما علمها عند الله، ومعلوم أن إنما صيغة حصر.

فمعنى الآية: أن الساعة لا يعلمها إلا الله وحده.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء واضحا في آيات أخر من كتاب الله ؛ كقوله تعالى: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية [٣١ \ ٣٤] .

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الخمس المذكورة في قوله: إن الله عنده علم الساعة الآية، هي المراد بقوله تعالى: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو [٦ \ ٥٩] ، وكقوله تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون [٧ \ ١٨٧] ، وقوله تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها [٧٩ \ ٤٢ - ٤٤] ، وقوله تعالى:." (١)

"الريح، والطير، والجن، فقال للمخبر وهو الهدهد: سننظر، أصدقت أم كنت من الكاذبين.

ونحن في هذه الآونة لسنا أشد إمكانيات من نبي الله سليمان آنذاك، وليس المخبرون عن مثل هذه النظريات أقل من الهدهد، فليكن موقفنا على الأقل موقف من سينظر أيصدق الخبر أم يظهر كذبه؟ والغرض من هذا التنبيه هو ألا نحمل لفظ القرآن فيما هو ليس صريحا فيه ما لا يحتمله، ثم يظهر كذب النظرية أو

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٥٧/٦

صدقها، فنجعل القرآن في معرض المقارنة مع النظريات الحديثة، والقرآن فوق ذلك كله: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [٤١ \ ٤٢] .

قوله تعالى: ثم **ارجع البصر كرتين** ينقلب **إليك البصر خاسئا** وهو حسير.

المنصوص هنا **إرجاع البصر كرتين**، ولكن **حقيقة النظر أربع** مرات.

الأولى في قوله: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت [٦٧ \ ٣] .

والثانية في قوله: **فارجع البصر هل** ترى من فطور [٦٧ \ ٣] .

والثالثة والرابعة في قوله: ثم **ارجع البصر كرتين** [٦٧ \ ٤] .

وليس بعد **معاودة النظر أربع** مرات من تأكيد، والحسير: العيي الكليل العاجز المتقطع دون غاية، كما في قول الشاعر:

من مد طرفا إلى ما فوق غايته ... ارتد خسآن من الطرف قد حسرا

قال القرطبي: يقال قد حسر بصره يحسر حسورا، أي: كل وانقطع نظره من طول مدى، وما أشبه ذلك فهو حسير ومحسور أيضا.

قال:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... فعاد إلي الطرف وهو حسير

قوله تعالى: ولقد زينا السماء الدنيا.

فالدنيا تأنيث الأدنى أي: السماء الموالية للأرض، ومفهومه أن بقية السماوات ليست فيها مصابيح التي هي النجوم والكواكب كما قال: بزينة الكواكب [٣٧ \ ٦] . ويدل لهذا." (١)

"أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون [٣٦ \ ٧١ - ٧٣] .

وكذلك في خصوصها في قوله: والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم [١٦ \ ٥ - ٧] .

إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها البتة، وكل منها دليل على القدرة بذاته. أما الجبال: فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت، ويشغل تفكيرهم في كل حين ؛ لقربها من حياتهم في الأمطار والمرعى في

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٣٠/٨

سهولها، والمقيل في كهوفها وظلها، والرهبة والعظمة في تطاولها وثباتها في مكانها. وقد وجه الأنظار إليها أيضا في موطن آخر في قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا [٧٨ \ ٦ - ٧] ، ثوابت كما بين تعالى أنها رواسي للأرض أن تميد بكم والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم كما أسلفنا.

أما السماء ورفعها: أي: ورفعتها في خلقها، وبدون عمد ترونها، وبدون فطور أو تشقق على تطاول زمنها، فهي أيضا محط أنظارهم، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم.

ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات الله الدالة على البعث، كما تقدم مرارا.

وتقدم للشيخ عند قوله تعالى: إن في خلق السماوات والأرض الآية [٢ \ ١٦٤] . بيان كونها آية. أما الأرض وكيف سطحت، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله: لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس [٤٠ \ ٥٧] .

وقوله: كيف سطحت [٨٨ \ ٢٠] آية ثابتة ؛ لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها، فإنها ترى مسطحة، أي: من النقطة التي هي في امتداد البصر، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها ؛ لأن الجرم المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حدا بعيدا يكاد سطحه يرى مسطحا من **نقطة النظر إليه**، وفي كل ذلك آيات متعددات للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم.

وتقدم للشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - التنبيه على هذا المعنى، عند الكلام على." (١)

"(٤٨٥٥٢) - عن سفيان بن عيينة - من طريق ابن أبي عمر - في قوله: (لم حشرتني أعمى)، قال: عن حجتي أخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (٢٨٣) - .

(وقد كنت بصيرا (١٢٥))

(٤٨٥٥٣) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (وقد كنت بصيرا)، قال: في الدنيا أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢٠١) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٤٨٥٥٤) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (وقد كنت بصيرا)، قال: عالما بحججي تفسير مجاهد ص (٤٦٨)، وأخرجه ابن جرير (١٦) / (٢٠١) من طريق ابن جريج - .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٥١٧

(٤٨٥٥٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - قوله: (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا)، قال: كان بعيد البصر، قصير النظر، أعمى عن الحق أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢٠١) - وعلق يحيى بن سلام (١) / (٢٩٠) آخره، وعقب عليه بقوله: أي: في الدنيا - .

(٤٨٥٥٦) - قال مقاتل بن سليمان: (وقد كنت بصيرا) في الدنيا عليما بها، وهذا مثل قوله سبحانه: (هلك عني سلطانيه) [الحاقة: (٢٩)]، يعني: ضلت عني حجتي، وهذا قوله حين شهدت عليه الجوارح بالشرك والكفر تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٤٥) - .

(٤٨٥٥٧) - عن سفيان بن عيينة - من طريق ابن أبي عمر - في قوله: (وقد كنت) بها (بصيرا) في الدنيا، قال: كانت لي في الدنيا حجة، وكان لي كلام أخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (٢٨٣) - .

(٤٨٥٥٨) - قال يحيى بن سلام: (وقد كنت بصيرا) في الدنيا، عالما بحجتي في الدنيا، وإنما علمه ذلك عند نفسه في الدنيا، كان يحاج في الدنيا جاحدا لما جاءه من الله تفسير يحيى بن سلام (١) / (٢٩٠) - أفادت الآثار اختلاف المفسرين في معنى: (وقد كنت بصيرا)؛ فقيل: وقد كنت بصيرا بحججي - وقيل: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء - ورجح ابن جرير ((١٦) / (٢٠٢)) مستندا إلى دلالة العموم شمول معنى الآية، بـ «أن الله - جل ثناؤه - عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصص منه معنى دون معنى، فذلك على ما عمه» - .

(قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦))

". (١)

"أزواجه: يا رسول الله، أينظر بعضنا إلى بعض؛ إلى عورته؟ فقال: «لكل امرئ منهم يومئذ ما يشغله **عن النظر إلى** عورة أخيه».=

(٤٩٨٦٥) - قال هلال: قال سعيد بن جبير: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) [الأنعام: (٩٤)]، قال: كيوم ولدته أمه، يرد عليه كل شيء انتقص منه مثل يوم ولد أخرجه ابن جرير (١٦) / (٤٣٠)، من طريق القاسم، عن الحسين، عن عباد بن العوام، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به - وسنده حسن - .

(٤٩٨٦٦) - عن عقبة بن عامر الجهني، قال: يجمع الناس في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة، كما خلقوا أول يوم أخرجه ابن جرير (١٦) / (٤٣٠) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٣٦/٢٥

(٤٩٨٦٧) - عن إسماعيل السدي، قال: يبعثهم الله يوم القيامة على قامة آدم، وجسمه، ولسانه -السريانية -، عراة، حفاة، غرلا، كما ولدوا عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر)

(٨٦٨٤٩) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر)، قال: القرآن عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٩٨٦٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - (ولقد كتبنا في الزبور) قال: الكتب، (من بعد الذكر) قال: التوراة أخرجه ابن جرير (١٦) / (٤٣٣) - .

(٤٩٨٧٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سعيد بن جبير - في الآية، قال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن - والذكر: الأصل الذي نسخت منه هذه الكتب، الذي في السماء - والأرض: أرض الجنة عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن مردويه - .

(٤٩٨٧١) - عن سعيد بن جبير، مثله عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٤٩٨٧٢) - تفسير عبد الله بن عباس، في قوله: (ولقد كتبنا في الزبور) يعني: زبور داود (من بعد الذكر) من بعد التوراة علقه يحيى بن سلام (١) / (٣٥٠) - .

." (١)

"الحلم فليستأذنوا) أخرجه ابن جرير (١٧) / (٢٤٤) - .

(٥٢٨٦٠) - عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء [بن أبي رباح]: أيستأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا أخرجه ابن جرير (١٧) / (٢٤٥) - ساق ابن كثير ((١٠) / (٢١٠)) هذا القول، وعلق عليه بقوله: «وهذا محمول على عدم الوجوب، وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله، ولا يفاجئها به؛ لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها» - .

مسألة

(٥٢٨٦١) - عن عبد الله بن بسر، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: «السلام عليكم، السلام عليكم» - وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود (٧) / (٤٨٤) - (٤٨٥) ((٥١٨٦)) - قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٢) / (٢٣٤): «إسناده حسن» - وقال في فيض القدير

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٠/٢٦

(٥) / (٨٧) ((٦٥٢٣)): «رمز المصنف - السيوطي - لحسنه، وفيه كما قال ابن القطان: بقية، وحاله معروف - ومحمد بن عبد الرحمن بن عدة ذكره أبو حاتم، ولم يذكر له حالا، قال ابن القطان: فهو عنده مجهول» - وقال السفاريني في غذاء الألباب (١) / (٣١٠): «حديث حسن» - .

(٥٢٨٦٢) - عن أبي هريرة، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا **دخل البصر فلا** إذن له» أخرجه أحمد (١٤) / (٣٩٠) - (٣٩١) ((٨٧٨٦))، وأبو داود (٧) / (٤٧٥) ((٥١٧٣)) - قال ابن حجر في الفتح (١١) / (٢٤): «سند حسن» - وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (١) / (٣٩٤) - وقال الألباني في الضعيفة (٦) / (٩٥) ((٢٥٨٦)): «ضعيف» - .

(٥٢٨٦٣) - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه» أخرجه مسلم (٣) / (١٦٩٩) ((٢١٥٨))، والثعلبي (٧) / (٨٥) - .

(٥٢٨٦٤) - عن هزيل، قال: جاء رجل، فوقف على باب النبي - صلى الله عليه وسلم - يستأذن، فقام على الباب، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : «هكذا عنك أي: تنح عن الباب إلى جهة أخرى - عون المعبود (٤) / (٥٠٩).، فإنما الاستئذان من النظر» أخرجه أبو داود (٧) / (٤٧٦) ((٥١٧٤)) - علق ابن كثير ((١٠) / (٢٠٦)) على هذا الحديث بقوله: «قد رواه أبو داود الطيالسي، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن طلحة بن مصرف، عن رجل، عن سعد، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - - رواه أبو داود من حديثه» - .

(١) ".

"(٥٢٨٦٥) - عن سهل بن سعد، قال: اطلع رجل من جحر في حجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومعه مدرى المدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط، وأطول منه، يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لا مشط له - النهاية (درى) - يحك بها رأسه، فقال: «لو أعلم أنك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الاستئذان من **أجل البصر -** وفي لفظ - : إنما جعل الله الإذن من أجل البصر» أخرجه البخاري (٧) / (١٦٤) ((٥٩٢٤))، (٨) / (٥٤) ((٦٢٤١))، (٩) / (١٠) - (١١) ((٦٩٠١))، ومسلم (٣) / (١٦٩٨) ((٢١٥٦)) - .

(٥٢٨٦٦) - عن سعد بن عبادة، قال: جئت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في بيت، فقمت

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٨/٢٨

مقابل الباب، فاستأذنت، فأشار إلي: أن تباعد، وقال: «وهل الاستئذان إلا من أجل النظر؟!» أخرجه الطبراني في الكبير (٦) / (٢٢) ((٥٣٨٦)) - قال الهيثمي في المجمع (٨) / (٤٣) - (٤٤) ((١٢٨٠٩)): «ورجاله رجال الصحيح» - .
(فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم)
(٥٢٨٦٧) - عن سعيد بن جبير - من طريق عطاء - في قوله: (فإن لم تجدوا فيها أحد فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم): يعني: في الدخول أخرجه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٥٦٨) ((١٤٣٥٥))، (١٤٣٥٨)، (١٤٣٦٠)) - - (ز)
(٥٢٨٦٨) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (فإن لم تجدوا فيها أحدا) - يقول: إن لم يكن لكم فيها متاع فلا تدخلوها إلا بإذن أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٤٣٨) من طريق عاصم بن حكيم، وابن جرير (١٧) / (٢٤٧)، وابن أبي حاتم (٨) / (٢٥٦٨) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - انتقد ابن جرير ((١٧) / (٢٤٨) بتصرف) قول مجاهد مستندا للغة، فقال: «وهذا القول الذي قاله مجاهد قول بعيد من مفهوم كلام العرب؛ لأن العرب لا تكاد تقول: ليس بمكان كذا أحد، إلا وهي تعني: ليس بها أحد من بني آدم - وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم ومن كان سبيله سبيلهم، فلا تقول ذلك فيها» - وكذا انتقده ابن عطية ((٦) / (٣٧١))، فقال: «هو في غاية الضعف، وكأن مجاهدا رأى أن البيوت غير المسكونة إنما تدخل دون إذن - إذا كان فيها للداخل متاع، ورأى لفظة» المتاع «متاع البيت الذي هو البسط والثياب، وهذا كله ضعيف» - .
." (١)

"فإن كنتم لا بد فاعلين فردوا السلام، وغضوا الأبصار، واهدوا السبيل، وأعينوا على الحمولة» أخرجه البزار (١١) / (٣٩٤) ((٥٢٣٢))، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص (٢٤٥) ((٧٥١)) - قال البزار: «ولا نعلم لابن عباس طريقا غير هذا الطريق، وداود بن علي كان في نسبه عال، ولم يكن بالقوي في الحديث، على أنه لا يتوهم عليه إلا الصدق، وإنما يكتب حديثه ما لم يروه غيره» - وقال الهيثمي في المجمع (٨) / (٦٢) ((١٢٩٣٨)): «رواه البزار، وفيه محمد بن أبي ليلى، وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله وثقوا» - .
(٥٢٩٤٤) - عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إياكم والجلوس على

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٩/٢٨

الطرقات» - قالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها - فقال: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه» - قالوا: وما حق الطريق، يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» أخرجه البخاري (٣) / (١٣٢) ((٢٤٦٥))، (٨) / (٥١) ((٦٢٢٩))، ومسلم (٣) / (١٦٧٥) ((٢١٢١)) - .

(٥٢٩٤٥) - عن أبي أمامة: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذ ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم» أخرجه الطبراني في الكبير (٨) / (٢٦٢) ((٨٠١٨))، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٣) / (١٤٤) ((٢٢٥٧)) - قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (١) / (٤٥٢) ((٦٣٣)): «رواه فضال بن جبير عن أبي أمامة - قال ابن عدي: وهذا غير محفوظ، ولم يتكلم في فضال أحد من المتقدمين - وأنكر عليه ابن عدي وابن حبان أحاديثه عن أبي أمامة، لا يتابع عليها» - وقال الهيثمي في المجمع (١٠) / (٣٠١) ((١٨١٧٠)): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه فضال بن الزبير، ويقال: ابن جبير، وهو ضعيف» - وقال ابن حجر في الأحاديث العشرة العشارية الاختيارية ص (٤٥) - (٤٦) ((١٠)): «هذا حديث حسن؛ وطالوت بن عباد قال فيه أبو حاتم: صدوق - وضعفه غيره - كذا قال ابن الجوزي - قال الذهبي: وقد تعبت في التفتيش لأجد أحدا ضعفه فلم أقدر على ذلك» - وحسنه بشواهده الألباني في الصحيحة (٤) / (٣٠) ((١٥٢٥)) - .

(٥٢٩٤٦) - عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «النظر إلى محاسن المرأة سهم من نبال إبليس مسموم، فمن رد بصره ابتغاء ثواب الله أبدله الله بذلك عبادة تسره» أخرجه الثعلبي (٧) / (٨٦) - (٨٧)، والحكيم الترمذي في النوادر - كما في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥) / (٢١٤٣) - فيه عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي، قال البخاري: تركوه - وقال أبو حاتم: كان يضع الحديث - ينظر: ميزان الاعتدال (٣) / (٣٠١) - .

(٥٢٩٤٧) - عن أبي أمامة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول

". (١)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤١/٢٨

"عن الضحاك بن مزاحم - من طريق جويبر - في قوله: (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)، قال: تتقلب في الجوف، ولا تقدر تخرج حتى تقع في الحنجرة، فهو قوله: (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) [غافر: (١٨)] أخرجه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٦٠٩) - .

(٥٣٦٦١) - عن زيد بن أسلم - من طريق عبد الله بن عياش - في قوله: (يخافون يوما)، قال: يوم القيامة أخرجه ابن وهب في الجامع (١) / (٥٩) - (٦٠) ((١٣٣))، وابن جرير (١٧) / (٣٢٥)، وابن أبي حاتم (٨) / (٢٦٠٩) - .

(٥٣٦٦٢) - قال مقاتل بن سليمان: ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب) حين زالت من أماكنها من الصدور، فنشبت في حلوقهم عند الحناجر - قال: (والأبصار) يعني: تقلب أبصارهم فتكون زرقا تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٢٠١) - .

(٥٣٦٦٣) - قال يحيى بن سلام: (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) قلوب الكفار وأبصارهم - وتقلب القلوب: أن القلوب انتزعت من أماكنها، فغصت به الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها، ولا هي تخرج، وهو قوله: (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) [غافر: (١٨)] - وأما تقلب الأبصار: فالزرق الزرق: البياض - اللسان (زرق) - بعد الكحل، والعمى **بعد البصر تفسير** يحيى بن سلام (١) / (٤٥٢) - ذكر ابن عطية ((٦) / (٣٩٢) بتصرف) في قوله: (تتقلب فيه القلوب والأبصار) قولين، فقال: «واختلف الناس في تقلب القلوب والأبصار، كيف هو؟ فقالت فرقة: يرى الناس الحقائق عيانا، فتتقلب قلوب الشاكين ومعتقدي الضلال عن معتقداتها إلى اعتقاد الحق على وجهه، وكذلك الأبصار - وقالت فرقة: هو تقلب على جمر جهنم» - ثم علق عليهما قائلا: «ومقصد الآية هو وصف هول يوم القيامة، فأما القول الأول فليس يقتضي هولا، وأما الثاني فليس التقلب في جمر جهنم في يوم القيامة، وإنما هو بعده» - ثم رجح مستندا إلى لغة العرب أن "معنى الآية: أن ذلك اليوم لشدة هوله ومطلعه القلوب والأبصار فيه مضطربة قلقة متقلبة من طمع في النجاة إلى طمع، ومن حذر هلاك إلى حذر، ومن نظر في هول **إلى النظر في** الآخر، والعرب تستعمل هذا المعنى في الحروب ونحوها، ومنه قول الشاعر: بل كان قلبك في جناحي طائر" - .

آثار متعلقة بالآية

(١) ".

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥٠/٢٨

"(٥٧٤٢٤) - عن وهب بن منبه - من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم - (قبل أن يرتد إليك طرفك): تمد عينيك، فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك - قال: ذلك أريد أخرجه ابن جرير (١٨) / (٧٢) - .
(٥٧٤٢٥) - عن قتادة بن دعامة: هو أن يبعث رسولا إلى منتهى طرفه، فلا يرجع حتى يؤتى به تفسير الثعلبي (٧) / (٢١١)، ونحوه في تفسير البغوي (٦) / (١٦٥) - علق ابن عطية ((٦) / (٥٤٠)) على قول قتادة، وقول مجاهد من طريق ابن أبي نجيح: «وهذان القولان يقابلان قول من قال: إن القيام هو من مجلس الحكم» - .
(٥٧٤٢٦) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك): ارتداد الطرف: أن يرمي ببصره حيث، بلغ ثم يرد طرفه، قال: فدعاه - أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٨٩) - .
(٥٧٤٢٧) - عن محمد بن السائب الكلبي - من طريق معمر - قال: (قبل أن يرتد إليك طرفك): قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٨٢) وزاد: وقال غيره: هو النظر، وأخرجه ابن جرير (١٨) / (٧٢) مبهما قائله، فقال: «عن معمر، قال: قال غير قتادة» - .
(٥٧٤٢٨) - قال مقاتل بن سليمان: قال سليمان: (أنا آتيك به) بالسرير (قبل أن يرتد إليك طرفك) الذي هو على منتهى بصرك، وهو جاء إليك - فقال سليمان: لقد أسرعت إن فعلت ذلك - فدعا الرجل باسم الله الأعظم، ومنه: ذو الجلال والإكرام تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٠٧) - .
(٥٧٤٢٩) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك): فمد عينيك، فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك - قال: ذلك أريد أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٨٧) - .
(٥٧٤٣٠) - عن ابن وهب، حدثني مالك [بن أنس] عن هذه الآية: (قال الذي عنده علم من الكتاب آتيك به) بعرش تلك المرأة، (قبل أن يرتد إليك طرفك) قال:
". (١)

" - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (من تفاوت)، قال: من اختلاف أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٣٠٤)، وابن جرير (٢٣) / (١١٩) من طريق سعيد أيضا - وعزاه السيوطي إلى عبد بن

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣/٣٠

حميد، وابن المنذر – لم يذكر ابن جرير ((٢٣) / (١١٩)) غير قول قتادة – .

(٧٧٨٢٧) – عن عطاء الخراساني – من طريق يونس بن يزيد – في قول الله تعالى: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)، قال: يقال: لا يفوت بعضه بعضا أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء ص (٩٨) – .

(٧٧٨٢٨) – قال مقاتل بن سليمان: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)، يقول: ما ترى ابن آدم في خلق السموات من عيب تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٣٨٩) – أفاد قول مقاتل أن قوله تعالى: (في خلق الرحمن) مراد به السموات، وقد ذكر ذلك ابن عطية ((٨) / (٣٥٢)) وزاد قولا آخر، فقال: «وقال آخرون: (في خلق الرحمن) معني به: جميع ما في خلق الله تعالى من الأشياء، فإنها لا تفاوت فيها ولا فطور، جارية على غير إتقان، ومتى كانت فطور لا تفسد الشيء المخلوق من حيث هو ذلك الشيء، بل هي إتقان فيه، فليست تلك المرادة في الآية، وقال منذر بن سعيد: أمر الله تعالى بالنظر إلى السماء وخلقها، ثم أمر بالتكرير في النظر، وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خللا أو نقصا، فإن بصره ينقلب خاسئا حسيرا» – .

(فارجع البصر هل ترى من فطور (٣))

(٧٧٨٢٩) – عن عبد الله بن عباس، في قوله: (هل ترى من فطور)، قال: شقوق عزاه السيوطي إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه – .

(٧٧٨٣٠) – عن عبد الله بن عباس، في قوله: (من فطور)، قال: تشقق أو خلل عزاه السيوطي إلى ابن المنذر – .

(٧٧٨٣١) – عن عبد الله بن عباس – من طريق العوفي – قال: (هل ترى من فطور)،
". (١)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٦٢/٤١